**ست نظريات حول انتصار الثورة**

**الإسلامية**

**الناشر: مركز الدراسات الثقافية الدولية لمنظمة العلاقات الثقافية الإسلامية**

**ترجمة: مختار الأسدي**

**هذا الكتاب**

**بعد مرور عقدين على انتصار الثورة الإسلامية في إيران ورغم الكتابات الغزيرة التيحاولت تفسير هذا الحدث التاريخيالكبير، إلاّ أن أسراره ما زالت غامضة على الكثيرين. دليل ذلك، هو الآراء المتناقضةوالمتدافعة المطروحة حول هذا الموضوع.**

**إن التحدي الكبير أمام المنظّرين الأجانب هو عدم وضوح النص الثقافي الإيراني أوتفاصيله لديهم عند قراءة الظاهرة، وكذلكعدم فهمهم لمسار الحركة الثورية في المجتمع الإيراني. أما التحدّي الأهم أمامالمحلّلين المحلّيين فهو افتقادهم إلى العمق اللازم للتحليل، وما يتبع ذلك من رؤى وأطروحات بدت سطحية على هذا الصعيد.** **يحتوي هذا الكتاب على عدد من النظريات والرؤى المهمة التي تناقش جذور وأسبابوخلفيات الثورة الإسلامية وسرّ انتصارهاالسريع وغير المتوقّع، وتداخل القوى والدوافع التي قادت إلى هذا الانتصار. وكذلكإلى الفرق بين (إسلام) قائدها و(إسلام) الآخرين، أو قل (تشيّعه) و (تشيّعهم).في الذكرى المئوية لولادة الإمام الخميني وعلى أعتاب الذكرى الثانية والعشرينلانتصار الثورة الإسلامية في إيران، يجدر بنا أن نقرّ أو نعترف بأن أبعاداً مختلفة من هذه الحركة الجماهيرية وآثارها الكبرى مازالت باقية قيد الكتمان ولم تُكشف بعد.**

**من خلال عرض نظريات ورؤى مختلفة بل ومتقاطعة، يحاول هذا الكتاب أن يتفحص هذهالظاهرة المهمة في القرن العشرينتفحّصا علمياً، لاسيما حين يوضح المحرر في مقدمة الكتاب كيفية اختياره للمقالاتوالبحوث المعروضة وكيفية ترتيبها منطقياً.**

**إن عرض المواقف المتعاطفة مع الدولة وكذلك المتقاطعة أي المضادة لحكومة الثورةالإسلامية، مع استخدام اللغة الوصفية فيكشف الحقائق وملاحقتها في إيران، جعلت الكتاب أَكثر جِدّةً وأكثر جاذبية وإثارةًومتعة..جدير بنا في هذا السياق أن نتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة الذين ساهموا فيإعداد هذا الكتاب ونخصّ منهم الدكتور صادق حقيقت، محرر النص الفارسي، كما نسجل التقدير والإمتنان للسيد المترجم حسين أعرابيالذي حرّر النص الانكليزي، والأستاذسعيد عدالت نژاد مدير مركز الدراسات الإسلامية، آملين أن يقوم الأساتذة والسياسيونوالاجتماعيون بتمهيد الطريق للمزيد من هذه البحوث والدراسات وذلك بتطوير هذا الجهد ومواصلة المشوار وعبر تقديم مقترحاتهموتعليقاتهم ورؤاهم النقدية الهادفة.**

**قسم الدارسات الإسلامية**

**مركز الدراسات الثقافية الدولي**

**مقدمة الكتاب**

**المشهد: الثورة الإسلامية في إيران في ذكراها الحادية والعشرين. هذه الظاهرةالفريدة التي صدمت توقعّات ونظريات علماءالاجتماع وعصفت بحساباتهم وأربكت مجسّاتهم وتركت أعمق الأثر على الأفكار والرؤىالموجودة فعلا في العلوم الاجتماعيةوالسياسية، ولفتت بل أشغلت اهتمامات العديد من المفكرين والمثقفين المتابعين. إنالتساؤلات الكثيرة التي تبدأ بـ (كيف) و) لماذا) انتصرت هذه الثورة؟ أصبحت عناوين بارزة استغرقت مقالات وبحوث وكتب كثيرةومتنوعة داخل إيران وخارجها. كيف خسر الشاه سلطانه؟ وكيف انقلبت عليه الأوضاع وهو المؤيَّد والمدعوم بالقوى الأجنبيةولديه جيش قوامه 000,700 رجل؟ هذاهو السؤال الذي استحوذ على عقل الشاه نفسه وشلّ تفكيره أيام (الانقلاب) أو الثورة.** **وبما أنه لم يجد جواباً شافياً ودقيقاً لهذا السؤال، راح يصدّق ما صُوّر له أوتصوّره من أن هناك مؤامرة دولية تقودها أو توجههاقوى عظمى ضده وضد ملكه. وبعد عقدين من انتصار الثورة الإسلامية، وفي إطار بحرٍ غامرمن الكتابات على هذا الصعيد، ما زالت أسباب انتصار هذه الثورة سراً غامضاً لم يُكشف للكثيرين، ودليل ذلك وجود أوبروز تحليلات متناقضة وآراء متدافعة فيكشف عناصر وعوامل الانتصار في هذه الثورة. التحدّي الأكبر الذي واجه ويواجه المنظّرين الأجانب في هذا السياق، هو فقدانهمالرؤية الثقافية المقارنة، أو الفهم اللازم لتفاصيلمفردات هذه الظاهرة، وأبعاد التحرك الثوري للشعب الإيراني.**

**ربما يكون التحدي الأهم أمام أغلب المحلّلين المحلّيين هو فقدانهم لعمق التحليلالذي يقودهم أحياناً إلى استخلاص نتائج سطحيةفي نهاية طرحهم وفي مثل هذا الحدث التاريخي الهامّ.**

**إضافة إلى ذلك، هناك نقاط مهمة تتعلق بجوهر الثورة الإسلامية نفسها، إحداها: الانتصار السريع وغير المتوقع لهذه الثورة،فضلاً عن تباين القوى التي انصهرت فيها وشاركت في تحقيق انتصارها.**

**وفي الحقيقة، هناك أسباب وعوامل أخرى عديدة منها قيادة الإمام الخميني (رض) ودورالإسلام والأيديولوجية الشيعية**

**والمشاركة الجماهيرية الواسعة وفرصة تعبئة الجميع في لحظات تاريخية حاسمة، وكذلكالأجواء السياسية المفتوحة (وفقاً لشعاركارتر حول حقوق الإنسان)، وصمَمْ وانصعاق القوى العظمى، ومرض الشاه، وانهيارالتنسيق بين الفعاليات الاقتصادية والثقافيةوالسياسية وعامل التحديث (كعامل طارئ)، كلها أجتمعت في لحظة تاريخية نموذجية واحدةوحقّقت ذلك الانتصار الخاطفالفريد.** **لقد تمّ جمع وتنقيح عدد من وجهات النظر المهمة المتعلقة بجذور وامتدادات وخلفياتالثورة الإسلامية الإيرانية في هذا الكتاب،كما تمّ حصر وتصنيف أسباب انتصارها في ست مقالات أو رؤى، هي:**

**1 ـ نظرية المؤامرة.**

**2 ـ نظرية التحديث.**

**3 ـ النظرية الإقتصادية.**

**4 ـ النظرية الدينية.**

**5 ـ النظرية الدكتاتورية.**

**6 ـ ونظرية القيادة الدينية.**

**ومن هذا التصنيف، سوف نعرض لسبع مقالات في هذا الطرح. فأصحاب نظرية المؤامرة بعيدونجداً عن الواقع حيث أفردنالهم إيضاحات في عنواني المقالتين السادسة والسابعة.وفي الحقيقة لقد كشف الزمن عنخواء نظرية المؤامرة هذه. وحتى لوكانت هناك بعض الشكوك في أذهان البعض في أيام الثورة الأولى مما يشير إلى تدخّلالقوى العظمى وضلوعها في تحقيقالانتصار، إلا أن هذه الشكوك قد تبدّدت الآن تماماً في الذكرى الحادية والعشرينلوقوع هذا الحدث التاريخي الهام، ولم تعُد لهذهالرؤية أذُن صاغية، إلاّ لدى عدد ضئيل لا يعتدّ به أصلاً في الحسابات التاريخيةالمسؤولة.** **1 ـ جاءت المقالة الأولى تحت عنوان «لمحة خاطفة نحو المداخل المختلفة في دراسةالثورة الإسلامية الإيرانية» لـ (حُميرامشير زادة). نُشرت الطبعة الأولى منها في مجلة (راهبرد) العدد 9 ربيع 1996. خلاصةهذه المقالة تصلح لأن تكون مقدمةلعرض وجهات النظر الأولى التي سوف تُطرح وتُناقَش بالتفصيل. إضافة إلى ذلك، وبعيداًعن التحليلات العلمية والإعلامية،تناقش مشير زاده خمسة عناصر مهمة، مؤكّدةً على ما يلي:**

**\* أهمية العوامل الثقافية.**

**\* أهمية العوامل الاجتماعية والاقتصادية.**

**\* العوامل النفسية.**

**\* المدخل السياسي للثورة.**

**\* المدخل ألسببي أو منهج تعدد الأسباب.**

**تختتم الكاتبة مقالتها بالتأكيد على إن المنهج أو المدخل ألسببي الأخير يمكن أنيساعد في فهم وتوضيح هذا الحدث التاريخي الهامّشريطة أن تتمحور عناصره المتفاوتة في إطار نظري دقيق.**

**تأسيساً على ذلك، ومن الإشارة إلى الأسباب والعوامل المختلفة، فان المنهج ألسببيهذا يمكن أن يكون ذا قدرة توضيحية مهمة أيأكثر أهميةً من المناهج أو المداخل الأخرى.** **السجال الآن هو: أولا: إننا يجب أن نطرح بدقّة هذه الأسباب والعوامل ،وثانياً: أننكون حذرين من أنّ التأكيد على المدخلالمذكور لا يقودنا أو يستدرجنا إلى العموميات أكثر من اللازم التي قد تنتهي بنا إلىالضبابية والغموض.** **فالثورة، كأيّ حدث اجتماعي آخر، تتشكل من خلال اتحاد أو ائتلاف عشرات العواملالاقتصادية والسياسية والاجتماعيةوالثقافية.**

**والنقطة المهمة هي: «أيّ من هذه العوامل هو الأهم وكيف التحمت في إفراز هذهالظاهرة؟». وكما هو مدوّن، فإن مقالة مشيرزاده تصلح ببساطة لتقديم التقنيات المختلفة لتحليل الثورة الإسلامية كما إن تصنيفهالهذه المداخل جاء مبتكراً بحيث يمنح القارئ إمكانية التصنيف وكذلك إمكانية دراسة كل رؤية من الرؤى الواردة في إطارها أواستحقاقها الخاص. إنها وضعت نظرية أميرأرجمند في إطار المنهج الثقافي مثلاً، فيما نحن نستحسن ـ من وجهة نظرنا ـ أن توضعفي الإطار العللي المتعدد الأبعاد. هذه المسألة سوف تناقش بالتفصيل في المقالة السابعة.** **2 ـ سُميّت المقالة الثانية: «التجديد أو (التحديث) والثورة الإسلامية» وجاءتبمثابة اقتطاف من كتاب (جذور الثورة(**

**(Rootsof Revolution) الذي يُعتبر ترجمة لتاريخ إيران بقلم نيكي كدي Nikkie Keddie وقد تُرجم هذا الكتاب إلى**

**الفارسية من قبل عبد الرحيم گواهي.**

**تؤكّد كدي أيضاً على الأسباب المتعددة أكثر من تأكيدها على التحديث، مثلالأيديولوجية الثورية والعوامل الاقتصادية والسياسية.**

**ومع ذلك فإنها تركّز بشكلٍ أساس على مسألة التحديث. ولهذا السبب أطلقنا على هذهالمقالة عنوان «التحديث والثورةالإسلامية».**

**أنصار هذه النظرية يلاحقون بدايات الثورة وجذورها في مطلع الستينات. ففي تلك الفترةوتحت ضغط شديد من قبل الولاياتالمتحدة تبنّى الشاه مشروع إصلاح الأرض ومشاريع التنمية، ولما كان التقدم في مشروعالتنمية الاقتصادية قد واجه عقباتعديدة في إيران ولم يكن متوائممع التنمية السياسية فقد نشبت أزمة حادة بين سنتي 1978 ـ 1979. وكان تآلف العواملالأخرى هو السبّب في اندلاع الثورة الإيرانية.**

**تمّ في هذه النظرية رصد أهم أسباب انتصار الثورة الإسلامية، إذ أصبحت قريبة جداً منهدفها الكبير.**

**أن مجرد تنافر بسيط بين التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي ـ الاقتصادي لا يمكنأن ينهض بتوضيح سرّ انتصار الثورةالإسلامية الإيرانية. وإذا وضعنا عوامل أخرى كالأيديولوجية الشيعية الثوريةوالقيادة الفريدة للإمام الخميني كعوامل ثانوية، فإننا سنبتعد كثيراً عن الحقيقة. الذي يبدو منطقياً هو أنّ نظرية الحداثة يمكن أن تُجسّدفقط كأرضية مهمة لظهور الثورة الإسلاميةو(ضمور شرعية الإمبراطورية) أو اضمحلالها. هذه الفكرة بالذات تمّ توظيفها فيالمقالة السابعة، الأمر الذي جعلها مفعمة بالشواهد الحسية حتى النهاية.**

**3 ـ الدارسة الثالثة هي: «جمهورية إيران الإسلامية في منظور مقارن» بقلم سعيد أميرأرجمند.**

**هذه المقالة تُرجمت إلى الفارسية من قبل عباس زارع وطُبعت عام 1998 ضمن مجموعةمقالات جاءت تحت عنوان «مداخلنظرية إلى الثورة الإسلامية» Theoretical Approaches to Islamic Revolution وتأتيأهمية هذا العمل في إقدامالكاتب على الفصل بين أسباب وشروط الثورة الإسلامية من جهة، وبين لا هوتية هذهالثورة من جهة أخرى. فبنائه التفكيكي هذا وضع أمير أرجمند المسائل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في جانب ،والمحفّزاتالأخلاقية والمعنوية والأيديولوجية الثورية للتشيع كسبب مطلق للثورة في جانب آخر، بل في الموضع الثاني. هذا الفصل جاء متشابهاًبدرجةٍ ما مع التقسيم المقدّم في المقالة السابعة.** **4 ـ المقالة الرابعة: «دور الأيديولوجية والقيادة والأمة في الثورة الإسلامية» وهي مقالة مختارة من كتاب عنوانه «تحليل للثورة الإسلامية»:AnAnalysis of the Islamic Revolution.[2] منوچهر محمدي، كاتب هذه المقالة، في ترجمته لأسباب انتصار الثورة، يقدّم أولاً الأمة أي الشعب،بعدها يوضح مفهوم القيادة والدين كأهم عاملين في هذا الانتصار ،وفي الوقت نفسه يؤكد على الدين ويعطيه أهمية أكبر. ولهذا السببقمنا بقلب ترتيب الأسباب الثلاثة هذه في عنوان مقالتنا.** **وفي الحقيقة إن هذه المقالة تهدف إلى البرهنة على الدور الرئيسي للدين في انتصارالثورة.** **5 ـ البحث الخامس: «الدين هو العنصر الأهم في انتصار الثورة الإسلامية» وهو بحثمختار من‏كتاب(الثورة ‏الإسلامية ‏ وجذورهاRoots and its Revolution Islamic The) لـ عميد زنجاني[3].** **الكاتب المذكور كان ولسنوات عديدة المرجع الأكثر أهمية في تشخيص المدخل العام لـ «جذور الثورة الإسلامية» في الجامعات الإيرانية. وهو يَعتبر الدين العامل الأساس في انتصار الثورة فيما يعَتبر العناصرالأخرى عوامل ثانوية مساعدة. ومن جهة نظرنا، لا يوجد هناك تمييز بين (الدين) و(القيادة الدينية) في المقالتين الرابعةوالخامسة. في المقالة السابعة سوف نرى، إن هذا التمييز يصبح ضروريا جداً.** **6 ـ المقال السادس: الموسوم بـ «دراسة مقارنة لنظريات متباينة حول أسباب وحوادث الثورة الإسلامية» هو تجميع لمقالتين من نفس العنوان: الأولى من كتاب «الثورة الإسلامية والجذور»[4]، والأخرى: أجزاء منكتاب «مقدمة للثورة الإسلامية» بقلم صادق زيبا كلام (1980).** **المجموعة المذكورة، توليفة من عدة مقالات وبحوث قُدّمت إلى المؤتمر الأول للثورةالإسلامية وجذورها عام 1995، وفيها يحاول الكاتب تفنيد النظريات الأربعة:** **المؤامرة، التحديث، الاقتصاد، الدين، ويقدّم عليها جميعاً (نظرية الدكتاتورية) كأهمسبب لانتصار الثورة الإسلامية. ونظراً لوجود إيضاحات مفصلة كثيرة بشأن هذه النظرية وإنها طُبعت في كتاب «مقدمة للثورةالإسلامية»[5] من قبل نفس الكاتب، فإننا أضفنا أجزاء من هذا الكتاب إلى المقالة المذكورة.** **إن نظرية الدين تؤكد على أن إرهاصات الثورة الأولى بدأت في محاولاته التوضيحيةللبرهنة على دور الدكتاتورية. من وجهة نظرنا، وكما هو نقده للنظريات الأربعة المذكورة، فان هذا النقد هو الآخر يأتي علىفرضيته في ترجيح دور الدكتاتورية في مسلسل تبيان الأسباب.** **7 ـ المقالة السابعة تبدأ بنقدنا التفسيري للنظريات الخمسة، وبعدها نطرح نظرية أخرىتحت عنوان: «دور القيادة الدينية في انتصار الثورة الإسلامية».** **تأسيساً على هذه الرؤية، يكون العنصر الأكثر أهمية في تأكيد هذا المبنى في تقويمالثورة و(إضعاف شرعية المَلكية) هو التجديد أو التحديث، ومع ذلك فان العامل الأكثر حسماً في تحقيق انتصار الثورة الإسلامية هوالقيادة الدينية للإمام الخميني (رضى‏الله ‏ عنه).** **في هذه المقالة تمّ تمييز عامل القيادة هذا بشكل واضح عن عامل الدين، أي عاملالزعامة الدينية عن الأيديولوجية الثورية للشيعة.** **يؤكد الكاتب أنّ الاستدلال على صحة هذه النظرية أو عدم صحتها قد تم تأجيله لفرصةلاحقة أخرى ،وإننا في هذه المخطوطة المطبوعة سوف لا نتعدّى كثيراً الاستدلال على وجود هذه النظرية فقط.** **هذه المقالات السبع تتداخل منطقياً بعضها مع البعض الآخر. ومن هنا فإننا نأمل بأنننهض بهذه المجموعة لتقديم عون محدود للباحثين، واضعين بين أيدي محبّي الثورة الإسلامية ودعاتها شيئاً يمكّنهم من فهمهذه الظاهرة التاريخية العظيمة والاقتراب من استيعاب أسباب انتصارها.**

**سيد صادق حقيقت**

**لمحة خاطفة إلى المداخل المختلفة**

**في دراسة الثورة الإسلامية الإيرانية.**

**بقلم**

**حُميرا مشير زاده**

**مقدمه :** **إن دراسة الثورات السياسية والاجتماعية تحتل فضاءً أو مساحة مهمة في بحوث العلومالإجتماعية.** **كما إن حدوث أو وقوع الثورات الطارئ والنادر يمنح احتمالات استثنائية وفريدة للبحثالعلمي ويزوّده بإمكانات مهمة لاختبار النظريات وفحص الخبرات والدعاوى القائمة ،ويقدم كذلك استنتاجات واستدلالات جديدةومتينة. فحتى عقود قليلة انصرمت، كانت نظريات الثورة تركّز على تجارب الثورات الفرنسية والروسية والصينية فقط.** **في العقود المتأخرة، وبعد تفجّر الصراعات والانتفاضات وأخيراً الثورات في العالمالثالث، فان ما يسمى «الجبهات الاستطلاعية أو الكاشفة» fronts exploration تحركت باتجاه التاريخ[6]، ما أن دراسات جادّة فيالنهضات والثورات في الأقطار المتحررة حديثاً، وأقطار ما يسمى بـ (العالم الثالث)، قد اتسعت بشكل مُلفت للنظر. ومع ثورتين ناجحتين في إيران ونيكاراغوا وجد هذا الملفّ عمقاً جديداً، راحت بحوثهتترى في نهاية السبعينات. إنّ النهضات الفائرة للشعوب بين سنتي 1978 و 1979 وانفجار الثورة الإسلامية وانتصارها الكاسحوتأسيس أول جمهورية إسلامية معاصرة تُعتبر أهم أحداث العالم في تلك الفترة، حيث أصبحت مركز الاهتمام والتحقيقلكل الثورات وقطب رحاها.** **قبل بداية الهيجان الذي انتهى بانتصار الثورة الإسلامية في ذلك، ورغم المحاولاتالعلمية العديدة، في رسم مخطط الثورة وتفسير الحدث كنظرية كان يمكن التنبؤ به ودراسته كظاهرة، إلاّ أن عدداً قليلاً جداًمن الناس توقّعوا سقوط الشاه فضلاً عن الانقلاب عليه، وكذلك سقوط الملكية القديمة وتأسيس الجمهورية الإسلامية.** **إنّ احتمال إيجاد أو خلق حالة من القلق واللااستقرار في منطقة من مناطق الشرقالأوسط، التي كانت تُعتبر (جزيرة الاستقرار) Island ofstability لم يكن مأخوذاً في الحسبان. وفي الحقيقة، فان حدث الجمهوريةالإسلامية أدهش معظم المتابعين والمحللين، من صحفيين وسياسيين أجانب في الخارج، وأدهش أيضاً خبراء وباحثينومنظرّين إيرانيين في الداخل.** **ومع انتصار الثورة الإسلامية بدأ سيلٌ جارف لمختلف التحليلات لم ينقطع بعد.** **والآن وبعد مرور سبع عشرة سنة أصبح عدد الكتب والمقالات المدونّة عن سبب الثورةوطبيعتها يشكّل كمّا هائلاً من المجلدات لا يمكن إحصاؤه. ومع ذلك فان هناك اختلافاً ولغطاً ما زالا قائمين بين الباحثين حولطبيعة الحكم البهلوي وتركيبة المجتمع الإيراني وغير ذلك.. إضافة إلى ذلك فان الدراسات والنظريات النقدية المعنية بالثورةالإسلامية لم تذهب عميقاً في تحليل أبعاد هذه الثورة ولم تدرسها من كافة زواياها، ومع ذلك فان الثورة الإسلامية لعبت دوراًهاماً في بلورة آراء المنظّرين وأفكارهم، وفي تقديم النموذج النظري الجديد المعتبر.** **إن هدفنا من هذا الخط العريض هو الاستذكار السريع والعابر لتصورات مختلفة للعديد منالكتّاب الأجانب الذين راحوا يقتبسون من الثورة الإسلامية ما يشاؤون، آملين منجانبنا أنّ كشْف أو تجلية هذه التصوّراتوالرؤى سيفتح الطريق أمام الباحثين الإيرانيين للمزيد من الدراسة والتحقيق العميقين.** **إن تحليل الثورة الإسلامية يقع في قالبين رئيسيين، فهناك كتابات بسيطة تأخذ البعدالإعلامي والصحفي، وهذه الكتابات ليست علمية بطبيعة الحال، وهناك أعمال أخرى راحت تدرس الثورة وتحللها بشكل أعمق وابتداءًمن جانبها النظري المنظور.** **وهنا، وبعد الإشارة إلى هذه التحليلات الصحفية غير العلمية، سوف نمرّ مروراً علىالرؤى النظرية المختلفة الخاصة بالثورة، ونتوقف قليلاً عند أبعادها الأكثر عمقاً.**

**التحليلات الصحفية وغير العلمية:**

**إن أعمال وكتابات الكثير من السياسيين والعسكريين والدبلوماسيين والصحفيين وغيرهمالخاصة بالثورة الإسلامية تقع ضمن هذه التصنيف. بعض هؤلاء يختزنون خلفية بيوغرافية خاصة ربما تنطوي على ذكريات وخواطرما قبل الثورة وما بعدها. بعض آخر، أو مجموعة أخرى تعرض بُعداًثانياً وربما تقارير غير دقيقة، تقدّم خلالهامسلسلاً من العوامل كأسباب للثورة بدون أي مرجع نظري أو مرجّح علمي. هذا النمط من الكتابة يعرض برنامج الثورة بشكل روائيوينطلق تحليله بشأنها من هذا المنطلق. بالتأكيد، أنّ بعض هذه الأعمال، وبسبب تدفقها الروائي المتين، يمكن أنتكون مفيدة للمحللين والباحثين.** **كما أن قسماً من هذه المادة كانت كُتبت من قِبل سياسيين غربيين وموظفين سياسيينأجانب، وتحديداً سفراء لأقطار غربية في طهران ومن يدور في فلكهم في العاصمة الإيرانية.ومن بين هذه الكتابات يمكن الإشارةإلى خواطر السفير البريطاني أنثوني بارسونز، والسفير الأمريكي وليم سليفان وكذلك الجنرال روبرت هويسر[7].سوليفان ـالذي عاش في طهران بين عامي 1977 و 1979، كان شاهداً على انفجار الثورة متابعا لمسلسل أحداثها إلى نهايتها، يصف تلكالفترة بأسلوب قصصي روائي في كتابه (رسالة إلى إيران) Mission to Iran مبرّزا دور الشخصيات القيادية في الدائرةالسياسية وفي مخطط الثورة الإيرانية.** **يصف محتوى الكتاب الظروف الاقتصادية، وموقف العسكر وقوى الشرطة والأمن الداخليوالبناء الاجتماعي ودور الشيعة في المجتمع الإيراني، ويقدّم بعض المعلومات للقارئ في كلّ حقل من هذه الحقول. ومع ذلكيعترف بعدم إحاطته بإيران أو الوضع الإيراني قبل توّليه منصبه كسفير كما أنه لم يبذل جهداً في توضيح خلفية المعلوماتوالأمور التي دونّها[8] أو استقى معلوماته منها.** **أعمال أخرى من مثل هذا الطرح الروائي تضمنت ذكريات وكتابات لبعض الشخصيات المسؤولةفي حكومة بهلوي. ومن بين من سنشير إليهم هنا هو محمد رضا بهلوي نفسه، والذي يبحث بعد سقوطه ـ وفي كتاب (جوابللتاريخ)History to Answer سبب ظهور الثورةوعاقبة السقوط وميكانيكية المؤامرة عند الحكومات الغربية. كانت مذكرّاته ومحاولته هذه هشّتان وتعبّران عن بساطة وسذاجة[9] وقد ظهرت مشدودة تماماً إلى (نظرية المؤامرة) conspiracy theory ومع كل حادثة ذات علاقة بمصدر أنساني، وكأن هذه النظرية تمتلك قدرة مطلقة قادرة على أن تفعل كل شيءترغب فعله متى شاءت وأنّى شاءت. وفي قضية الشاه تظهر حقيقة هذه القوة المطلقة متجليّة في الغرب والقوى الغربيةوتحديداً في الولايات المتحدة وبريطانيا. إن تفسير الشاه للأحداث كان منشدّاً تماماً لحالة رعب وهلع واضحة كان الرجل يعيشها، أوتجاه هاجس مخيف كان مغروزاً أو كامناً في ذهنه لمدة طويلة.** **شخصيات أخرى ذات علاقة مع الحكم البهلوي تبنّت نفس التحليل للثورة. على العموم، لميقدّم هؤلاء أي دليل لتصديق أو معاضدة هذا التحليل، وبالتالي يمكن قراءة هذا النوع من التحليلات والكتابات كمشاريعدراسات نفسية في فهم الشخصيات التي تعتقد بها، فريدون هويدا، حسين فردوست، عباس غارة باقي، وبرويز راجي، وكلهم خبراءوعسكريون في عهد بهلوي، كانوا وضعوا الثورة الإسلامية في مذكراتهم وفق هذا المنحى.[10]** **مثال على ذلك، فريدون هويدا، شقيق رئيس الوزراء آنذاك أمير عباس هويدا، وواحد منأقرب المقربين لنظام الحكم في إيران، في كتابه (سقوط الشاه) The Fall of the Shah، وبعد استعراض مسلسل الأزمة التي أدّتإلى هذا السقوط، يعود إلى جذور هذه الأزمة.وحين يصف الثورة ،يروح عميقاً في تحليل البنى الدكتاتورية وأخطاءالملكية أو خطلها إذ يعتبرها عوامل صميمية في انبثاق الثورة، كما يسلّط الضوء على الانهيار المالي، ورقابة المطبوعات،والانحطاط الأخلاقي وتضخم مشتريات الأسلحة ،وانحدار الاقتصاد ،ونظام الحزب الواحد وسوء تقدير فاعلية العامل الدينيوكلها يعتبرها عوامل رئيسية في الثورة. [11] في هذا العرض، تمّ إلفات النظر إلى توجّه الشاه الزائد عن الحد نحوالدكتاتورية، دون الأخذ بعين الاعتبار العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبنى التحتية الأخرى.** **عدد من الصحفيين حاولوا تحليل الثورة إلاّ إن هذه الكتابات لم ترقَ إلى قيمة البحثالعلمي المطلوب.فبعضهم لم يكونوا في عداد الباحثين الجيدين لفقدانهم الاعتماد على المصادر المعتمدة وضعف مداركهم الخاصة فيالميزان العلمي. الآخرون، مع ذلك، ممن كانوا أكثر وثاقة وأمانة ورغم اعتبارهم روائيين تاريخيين، ألاّ أنهم قدموا معلوماتقيمّة للقراء باعتمادهم وثائق وشهادات رسمية وغير رسمية وأحياناً من وحي تجاربهم الشخصية.** **ضمن هذا النوع من الكتابات التي حاولت تحليل الثورة تحليلاً علمياً في جوانبهاالتاريخية، وإطارها الشكلي هو كتاب «قصة الثورة»The story of theRevolution. المادة المعروضة في هذا الكتاب اعتمدت على مصادر علمية لا بأس بوثائقيتها. ويعتبرالكتاب عرضاً موجزاً للأحداث المهمة التي مرت بها إيران في العقود المتأخرة. يصف الكاتب في البداية الحركات المدنية فيعهد القاجار حيث يشير إلى فاعلية مساهمة المؤسسة الدينية ،باحثاً عن جذور الثورة الإسلامية في تلك الأحداث. يعزو الكاتب بداية الثورة إلى سياسة الحقبة البهلوية عموماً حيث الحكم المستبد،والعداء المستحكم تجاه المؤسسة الدينية ،والتدّخل الأجنبي لاسيما ذاك الذي ضلع به الأمريكان بعد انقلاب 19 أغسطس عام 1953. وفقاًللكاتب أيضاً، وفي السنين الأخيرة من حكم محمد رضا شاه، حيث تنفيذ السياسات الاقتصادية الطموحة، وتأكيد القوى الأجنبيةعلى مسائل حقوق الإنسان، وجدت الحكومة نفسها تحت ضغط شديد لا فكاك لها منه.** **إنّ تسلسل الأحداث الذي رسم مسار الثورة، كانت له الحصة الأكثر تفصيلاً من العرض فيهذا الكتاب وتحديداً من فترة يناير 1977 إلى فبراير 1978، كما أن أجواء الثورة وصفحاتها المتعاقبة ونشراتها الخبريةوخطاباتها مثبّتة بدقة. وفي فصله التحليلي ينطوي الكتاب على آراء وأفكار العديد من السياسيين والباحثين حول الثورة الإيرانية.** **في نهاية الكتاب زوّد الكاتب تحليله عن الثورة بقائمة مصطلحات اجتماعية طويلة أوقصيرة ضمّنها العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. وبهذا الفصل يفنّد الكاتب التنظير السطحي لنظريةالمؤامرة سواء ارتكز هذا التنظير على الدور الأمريكي في إيجاد حزام أخضر حول السوفييت لمنع الاختراق الشيوعي، أو الدورالبريطاني المزعوم في الإعداد للانتقام من أمريكا التي حلّت محلّها في إيران.[12]** **بين الكتّاب غير الإيرانيين، يمكن أن نشير إلى دلب هيروHiro [13]Dlip الذي يراجعالمفهوم الإسلامي ونشوء التشيع والعلاقة بين الشيعة وعلمائهم والحكومة وجهة أخرى. وفي تحليله لأحداث حقبة بهلوي،يشير إلى نوعين من الثقافة(الثقافة التقليدية في أوساط علماء الكلام والطبقة العاملة، والثقافة المتغربّة في أوساطالتجديديين والحداثتيين والطبقات المترفة) والتي ترشحت من إصلاحات رضا شاه السريعة الخطى.** **ففي زمان رضا شاه، يوضح الكاتب مسار التحولات التي انتهت بتخويل الشاه سلطة مطلقة،مقترنة بقمع شديد للمعارضة، مع عمل متواصل لإضعاف القادة الدينيين وعزل الإمام الخميني (قدس سره).** **يعزو هيرو نمو المعارضة إلى التضخّم وفقدان الحرية في المجتمع، ويوضّح أن وجودالضعف في الوسط المعارض المنظّم، وقمع التجمعات والتنظيمات المعارضة هما اللذان فتحا الطريق أمام القادة الدينيينوأبقاهم في ساحة المواجهة لتزّعم حركة الاحتجاج. جاء هذا في سياق خاص كان الشاه عقد فيه اتفاقاً مع واشنطن حيث انفتحالمجتمع بعض الشيء على أُفُق جديد تنفست فيه المعارضة هواءً جديداً في أجواء حركة دستورية جديدة، وتململت في مناخ وفضاءاتمختلفة.** **وكما نرى، أنّ هذا النوع من الكتابات لم يرتكز على إطار نظري معيّن، ولذلك، وحينيأتي وصف ظاهرة مهمة مثل الثورة الإسلامية، فإن المعنييّن يروحون يجمعون حقائق ومعطيات من أجواء مختلفة تضع العواملالتاريخية البعيدة جداً إلى جوار الحوادث المتأخرة ،وكذلك العناصر البنيوية الحاضرة جنباً إلى جنب مع العناصرالفردية. وبدون أي تأسيس لأي ترابط منطقي مع هذه الظواهر والمستويات المتباينة أننا نجد أنفسنا هنا في تناقض حاد مع المدخلالذي يعتمد على البناء النظري ويمكن أن  يقودنا إلى الإيضاح السبببي للظاهرة، أي بلحاظ إمكانية المقارنة أولاً، وتعبيرالطريق لدى استظهارها في ظروف مشابهة في مجتمعات أخرى ثانياً. الفصل القادم سيعني بالجهود التي بُذلت في هذا السبيل.**

**محاولات لتوصيف الثورة الإسلامية:**

**خلال السبع عشرة سنة الماضية، تم طبع كمّ هائل من الأعمال العلمية الممتعةبالإعتماد على مقاربات نظرية مختلفة لتحليل الثورة الإسلامية. العديد من الكتّاب حاولوا تفسير الثورة على أرضية دعاوى ومزاعممتباينة موزّعة على ملاحظات علمية في شرح ظاهرة الثورة.محاولات عديدة استخدمت الثورة الإسلامية كقضية نظرية لتحريكنظريات ومتبنيّات أخرى. وبهذه الطريقة تمّ استخدام عدد من النماذج والأطروحات في مفاهيم ونظريات قديمة. بعض المنظرين نظّرإلى الثورة من زوايا مختلفة فيما حاول آخرون تفسير الحدث بالاعتماد على نماذج افتراضية متباينة وقدّم عرضا مركّباومرتبكا لها.** **مسلّمين بعدم جدارة النظريات الطبقية الاجتماعية الماورائية، كانت هناك محاولةمتواضعة لتوظيف هذه النظريات في توصيف الثورة الإسلامية، ومع ذلك ولما كان يمكن العثور على آثار وبصمات ذلك في الكتاباتالمتأخرة، ولو في إطار عام ورؤى عمومية حيال ظاهرة الثورة، فان مفاهيم المنظّرين ومزاعمهم وتقريراتهم كانت استُخدمتفي إطارٍ نموذجي جديد، ومن بين هذه الأعمال تلك التي أشار إليها كولدستون ضمن ما سماه الجيل الأول firstgeneration مننظريات الثورة[14].** **يبدو أن العرض الروائي لـ كرين برنتون مثلاً المنتزع من نموذج التاريخ الطبيعي[15] يتطابق عموماً مع الخطوات المختلفة لدورة حياة الثورة الإسلامية.** **بطرح المثقفين جانباً، يبدو أن أزمات الحكومة العصيّة على الحل هي التي هيأت أجواءالثورة. كما أنّ تعاطي النظام غير المسؤول مع هذه الأزمات، لاسيما إقحام بعض الإصلاحات الضرورية بصورة غير مناسبةوبأسلوب سيء، فضلاً عن افتقاده للقوة المؤثرة أو الأشخاص المؤثّرين، كل ذلك مهدّ الطريق أمام الانفجار الكبير. هذاالنموذج تمّت الإشارة إليه في بعض الأعمال المعنية بشان الثورة الإسلامية[16]، إلاّ إن إيضاح التاريخ الطبيعي لم يكن بإمكانهتفسير تلك الأزمات الحكومية وكيف ساهمت سياسات الشاه في إيجاد حكومة لم تكن تبالي أو تهتم بالعوامل الاستفزازية التي تهبّرياحها من الخارج، كما أنها لم تكن حساسة تجاه الآثار المدهشة التي تترشح عن مسارات الأحداث التاريخية العالمية على الحكوماتالقومية، وكيف فعلت التحولات الأخيرة في البنى الاجتماعية والاقتصادية (كما في قضية إيران) فعلها غير العادي في تغييرالوضع الطبقي في المجتمع.** **نموذج برنتون لم يكشف الترابط الوثيق للجماعات المعارضة وكيف تسعى لتحقيق أهدافهاالمحدّدة. بكلمة أخرى إنها لم تستطع تصوّر أو تصوير التشكّل الخفّي للعوامل المؤججة للثورة، ورغم أنّ الثورة الإيرانيةمرّت بنفس المراحل التي تمرّ بها الثورات الأخرى ، إلاّ إن الإطار الذي وضع فيه برنتون أطروحته لم يفِ بوصف الظروف والأجواءالثورية التي قادت إلى انبثاق الثورة في إيران.[17]** **من بين النظريات المهمة في دراسة الثورات والتي جاءت تحت عنوان الموجة الثالثة أوالجيل الثاني والثالث يجب أن تؤخذ بعض النظريات الاقتصادية ـ الاجتماعية، أو الإجتماعية ـ النفسية ،أو الإجتماعية ـالسياسية ـ النفسية بنظر الاعتبار، إضافة إلى ذلك يجب أن تؤخذ أهمية الإسلام والتشيّع في عموم مسار الثورة بنظر الاعتبار أيضاوجنباً إلى جنب مع إيضاحاتها الثقافية والفكرية.** **بلحاظ محدّدات الثورة، يقرّر جمع من الكتّاب بأن أبعاداً معيّنة لا ينبغي أنتستدرجنا أو تصرف انتباهنا عن الأبعاد الأخرى، ولذلك فإنهم اختاروا منهج تعدّد الأسباب في دراستهم للثورة. وتأسيساً على العواملالفكرية، والاجتماعية ـ الاقتصادية،والاجتماعية ـ النفسية، والسياسية، ومنهج تعدد الأسباب، يمكن القول أنهناك خمس إيضاحات أو تفسيرات ينبغي أن توضع في الحسبان عند محاولة قراءة الثورة الإسلامية بعمق.** **التأكيد على أهمية الثقافة:** **من هذه الزاوية، لا ينبغي البحث عن أسباب الإسلامية هي استمرار أو امتداد لهذاالنضال.** **وهذا يستتبع بطبيعة الحال القول بأنّ سقوط الملكية يجب أن لا يُبحث بمعزل عن تجاهلهذا الدور للقيم والمبادئ الدينية، وذلك في سياقات أهلية هذه المؤسسة على تعبئة الأمة اعتماداً على المشاعر الإسلامية.[18]** **الأستاذ حامد الگار في كتابه (جذور الثورة الإيرانية)، يعرض «التشيع وقيادة الإمامالخميني» كمبدأ استنهاضي فاعل، كما أن عرضه للإسلام كأيديولوجية كلها يعتبرها جذورا وامتدادات للثورة، ولكنه لا يضع هذهالعوامل كإطار علمي ونظري وحيدا لها. [19]** **عساف حسين في كتاب (إيران الإسلامية ـ ثورة ومواجهة) يؤكد بأن فهم وتقييم الثورةالإسلامية من خلال القراءة العلمانية الغربية يُعتبر مستحيلاً[20]، ومن هنا فان دراسة الثورة يجب أن يأخذ العنصرالأيديولوجي بنظر الاعتبار، وكذلك دور المعارضة الإسلامية، والشرعية، والتربية، ولاسيما القيادة[21]. إنّ تحليله هذابالتأكيد أجدر بفهم الثورة من ترسيم أسبابها الأخرى.** **بالإضافة إلى ذلك يشاطر الكتّاب المذكورين الذين لهم نظرة إيجابية عن الثورةالإسلامية بعض المحللين والنقاد الآخرين الذين أوّلوا أهمية خاصة للبُعد الثقافي. سعيد أمير أرجمند في كتابه: (العمامة أمامالتاج: الثورة الإسلامية في إيران) يرى أنه من أجل أن نفهم الثورة الإيرانية، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار عاملين رئيسيين ضروريين:** **الأول هو البناء الديني المحلي للمرجعية الشيعية، والآخر هو التحديث الحكوميللمجتمع الإيراني.إنه يلتفت التفاتة عابرة إلى العوامل الاجتماعية ـ الاقتصادية ويولي اهتماماً اكبر لدور القيم الأخلاقية فيالثورة، موضحاً الخصائص الحاسمة في الثورة كقيم شرقية، أو شرقية المنشأ. ويؤكد الكاتب على أهمية الأيديولوجية للثورة كخصيصة فاعلةلتعريف وتحديد هويتها. في هذا الكتاب تظهر الثورة كنتيجة لتلاشي بريق الشاه ونضوب الزيت في قنديل شرعيته أكثر من كونهانتيجة لتمزق أو تفكك المؤسسة العسكرية.[22]** **على أية حال، يبدو أن الرؤية الثقافية فقط لا تستطيع أن تنهض لوحدها في تفسيرالثورة لأنها تترك أو تتجاهل العديد من الأبعاد والمسائل الأخرى، مثال ذلك، لماذا لمتفلح حركة 15 خرداد 1953، التي انطوت على نفسالروح الثقافية كحركة ثورية استمرت إلى سنة 1977 ـ 1978 في تحقيق الانتصار، فيما استطاعت الثورة الإسلاميةإنجاز ذلك؟ وهذا يعني بأن العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند قراءة هذه الثورةأيضاً، في رأي (فوران) : الإشكالية في هذه الرؤية، أنها لا تركزّ على دور القوى الاجتماعية الأخرى ،كما هو تأكيدها أوتركيزها على الدور الثقافي وعامليْ التشيّع  والمؤسسة الدينية.[23]**

**التركيز على أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية:**

**الكتابات التي تؤكد أهمية الأبعاد الاجتماعية ـ الاقتصادية في انبثاق الثورةالإسلامية هي باختزال ،انعكاسات المدخل الفكري أو الثقافي أو اختصاره. ففي هذه التحليلات، يظهر التأكيد على البُنى السياسيةوالاقتصادية والاجتماعية أكثر من غيرها، فيما تعتبر العوامل الثقافية والسوسيولوجية مجرد مزاعم. وبهذا فأنها لا تصلح لهذا النموذج منالقراءة أي النموذج الوصفي أو التصويري.** **واحد من الأعمال التي تشرح الثورة الإيرانية وتعتقد بفاعلية العوامل الاقتصادية هوكتاب (الأصول الاقتصادية في الثورة الإيرانية) بقلم: روبرت لوني Looneyالذي يقوم بتحليل ستراتيجية التنمية ويستنتج منخلاله بأن تنفيذ هذا المخطط وبلحاظ الحاجة للإصلاحات الجذرية، لا يمكن أن ينجح. أي إن الحكومة لم تكن قادرة علىالتمييز بين مدار عدم القناعة الناشئ عن فقدان العدالة، وبين سوء التقديرات الاجتماعية الموروثة في البرامج الاقتصاديةالمرتكزة على نماذج التنمية.** **في برامج التنمية الاقتصادية، يجري التغاضي على العلاقة بين الأهداف التنمويةوالمشاكل الناتجة عن المسار السياسي والتي لها الدور الرئيس في تحديد وضع البلد الأمني واستقراره السياسي. وهنا يُعتبر التضخممسألة لا قيمة لها ومشكلة سهلة الحل، ولكنّ الصدمة فاجأت الجميع عندما وصلت الأمور إلى درجة لم يعد بالإمكان تجاوزها،بحيث أصبحت لها علاقة مباشرة وأكيدة مع الاستقرار السياسي، وبدل أن تنتهج الحكومة سياسة صارمة وتبذل جهداً استثنائياًللحدّ من ذلك، راحت متجاهلة هذه المسألة بل لم تكن تعتبرها ذات صلة بإثارة الأزمة.** **عند هذه النقطة، تولدت العلاقة بين التحول الاقتصادي وتقلّص الدعم الحكومي، لتكشفعن نفسها، الأمر الذي جعل من سوء توزيع الدخل القومي الشرارة أو الوقود الذي أشعل غضب الناس وأدّى إلى نفاد صبرهموقناعتهم. الترقيع البسيط في التعاطي مع هذه المشكلة لم يعد كافٍ لاحتواء عواصف الثورة التي بدأت تهبّ وتسير إلىنهايتها. من هذا المدخل يمكن اكتشاف اللامبالاة الحكومية ،وعدم ظهور أي أثر لتقدير دور البنية الاجتماعية، أو دور الأيديولوجية أوالقيادة. بعض الحكومات التي تواجه مثل هذه الظروف الاقتصادية الصعبة، تبادر لتطويق الغليان أو الصخب قبل تحوّله إلى ثورةعارمة لا يمكن تطويقها. هناك دور مهم لطبيعة التأثير البنيوي في النظامين السياسي والاجتماعي واعتماداً على شرعيةالأيديولوجية أو شرعنتها، إلاّ أن المدخل** **الاقتصادي في هذا الشأن لم يُعر هذه المسألة اهتماماً مطلوبا.[24]** **يقدّم همايون كاتوزيان في كتاب (الاقتصاد السياسي في إيران) The Political Economy of Iran وصفاً كاملاً للثورة الإسلامية بتحلي لظروف إيران من القرن التاسع عشر حتى تأسيس الجمهورية الإسلامية. انه يعرّف السنوات المحصورة بين 1961 إلى 1978 بأنها سنوات (دكتاتورية النفط). في هذه الفترة، شكلّت بعض عناصرالحداثة التي حُشرت في المجتمع وجنباً إلى جنب مع أموال النفط، إطاراً لما يُسّمى (التحديث الكاذب) أو (العصرنة الكاذبة)،إذ لم يكن هناك رفض للقيم المستوردة ولا رؤية نقدية للمفاهيم الأجنبية الدخيلة ،وكأن الشعب الإيراني شعب معوّق لا حول لهولا قوة ولا إرادة.** **يعرض الكاتب الترابط بين دكتاتورية النفط ومظاهر التحديث الكاذب وكأنه أو كأنهاالأسباب الأعمق للثورة الإيرانية، ويروح معتقداً، لنفس السبب، أن الحركة الثورية لها طبيعة مضادة للدكتاتورية وكأنها كانتهي الأخرى بالضدّ من التحديث الكاذب هذا.** **يلاحظ كاتوزيان أيضاً بأن الحكومة والبُنية الاجتماعية لإيران يختلفان بالكامل عنتلك التي في الغرب ،إذْ أننا لا نستطيع القول بأن هناك حكومة مطلقة في إيران، ولكن يمكن القول بوجود دولة مطلقة فيها، وانالحكومة في إيران كانت حكومة مركزية، أو اوتوقراطية وغير مقيّدة بأي قانون أو عُرف. إضافة إلى ذلك، ولعدم وجود الخلفيةالإقطاعية وهيمنة الحكومة المطلقة على الاقتصاد الذي كان مدعوماً بواردات النفط، فان إيران، ونقولها بشدّة، كانت بدون أيتمايز اجتماعي أو طبقي. وإن الحكومة، لم تكن تعتمد على المجتمع لأنها كانت تعتمد أساساً على أموال النفط.[25]** **رغم تحليلات كاتوزيان المقنعة ظاهرياً، إلاّ أن افتقاده القدرة على تشخيص القوىالاجتماعية والبؤر التي تحت سيطرتها، منعته من معرفة سبب انبثاق الثورة في فترة محدّدة بعينها.كانت هناك أقطار كثيرة أخرى تعيشنفس أوضاع إيران، في اعتمادها على واردات النفط، مع هيمنة دكتاتورية واضحة للحكومة، كما في العربية السعودية ونيجيريا، إلا أن ذلك لم يؤد إلى الثورة. أكثر من ذلك ـ وكما يثبت فارهي، أنّ كاتوزيان ،في تأكيده على دور الحكومة المطلقة ـ لميستطع الإجابة على السؤال القائل:** **لماذا، إذن لم تتمكن الحكومة من قمع المعارضة؟ وهذا يعني بالضمن تحديد لهيمنتها.** **بعبارة أخرى أن استخدام كاتوزيان لـ (مفهوم) الدكتاتورية أعجز تحليله عن إدراك دورالضغوط الداخلية والخارجية ووضعه في عنق الزجاجة.[26]** **ثيدا سكوكبول Theda Skocpol، المنظّرة الثورية المشهورة، وفي مقالٍ لها تحت عنوان «دولة الدخل والإسلام الشيعي في الثورة الإسلامية» وضمن استعراضها لأسباب الثورة في إيران، تقدّم عرضا مفصّلاًلاحتمال سقوط دولة ذات دخل كبير وأموال طائلة (وواردات نفطية لا تتوقف) إضافة عائدات وطنية وتنظيمات محلية قويّة مستقلة عنالحكومة تعود إلى طبقات اجتماعية أخرى كالبازار. كل ذلك لم يمنع حضور الأيديولوجية المتجذّرة في المجتمع (وهيالتشيع) وبطقوس واضحة ومواقف أسطورية لرموز مستعدة للتضحية والشهادة، وأخيراً المواجهة السهلة مع الموت، أي التحالف معالموت ضد القمع والإرهاب الحكوميين. [27]** **هذا المقال يصوّر الإشكالات الحاضرة في تعميم سكوكبول لنموذجها البنيوي على الثورةالإسلامية ،وكما كتبت الكاتبة نفسها قائلة: «إذا كانت هناك حالة واحدة فقط في التاريخ حدثت فيها ثورة بحركة جماهيريةاجتماعية غاضبة متعمدّة تدمير النظام الحاكم القديم، فهي الحالة التيتجسّدت في الثورة الإيرانية ضد الشاه»[28] ومع ذلك،تصور الكاتبة نفسها أنها بقيت أمينة لتحليلها الرئيسي في الإطار الذي وضعته دون أن تحيد، فتقول:** **«الثورة الإيرانية يجب أنتُفهم من الرؤية المنظورة المنفتحة على التاريخ، الرؤيةالتي تمتد خلال العلاقات المتبادلة بين الحكومة والمجتمع والدبلوماسية المنظمة في إيران، وحيث تضعها في مسارها السياسي والاقتصاديالشامل»[29]. ورغم ذلك فإنها لم تستطع تجاهل أهمية المعتقدات والمنظومات الثقافية في خلق الفعل الثوري، ولهذا السببنراها تركّز على العوامل المذكورة: دولة المال، التنظيمات الشيعية المحليّة ـ كملامح فريدة في الثورة الإيرانية، وهذايُشير بوضوح إلى انشعاب صريح في نظرتها الأولية في تحليل أسباب الثورة.**

**التأكيد على العوامل النفسية:**

**تأسيساً على الخصيصة الفردانية للحكومة الشاهنشاهية والتأثير الفاعل لقرارات الشاهالشخصية، فإنّ خصائص الأخير النفسية لابد أن تؤخذ بنظر الاعتبار لدراسة أسس الثورة الإيرانية.مروين زونيس في كتابها (فشلالجلالة) Majestic Failure تؤكد أن نجاح الثورة الإيرانية لم يكن مهمة حتمية أو قضاءً وقدراً، فلو كان الشاه قبلالثورة قد اتخذ بعض الإصلاحات الديمقراطية، وحتى أثناء وبعد الثورة، لكان قادراً على قمعها، أي كان يمكن أن يحتفظ بعرشه، ولكنميزاته الشخصية التي أتّسم بها منذ طفولته وشبابه جعلته متردداً وشكاكاً بشكل واضح. ولذلك فإنه تعامل مع الأحداث ببط‏ءوقلّة كفاءة، وهذا ما فتح الطريق أمام سقوطه.** **وعلى الرغم من فردية الشاه وشخصيته التي ألفتت الأنظار إلى ملامحه الشخصية، وملاحظةالعوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية الأخرى التي تنامت مع حكومته، وكذلك العوامل البنيوية التي اجتمعت كلهافي نقطة تاريخية معينة، مضافاً لها قدرة المعارضة على تعبئة كل هذه العوامل عند هذه النقطة لتفسر بمجملها انبثاق الحركةالإسلامية وانتصارها ،فضلاً عن وجود شخصيات عديدة مشابهة للشاه في تاريخ العديد من المجتمعات إلاّ إن الانقلاباتوالحركات الثورية لم تستطع إسقاطها كما فعلت معه، ولذلك يجب الالتفات إلى العوامل الأخرى التي أدّت إلى هذه النتيجة.** **الإيضاحات المقدمة في نموذج ديفيس وگار النفسي ـ الاجتماعي تمّ تبنّيها أيضاً عنددراسة الثورة الإسلامية. النقطة المركزية أو الرئيسية في هذه الملاحظات تختص بالانحناء الثاني في نموذج منحنى ـ ل J- curve model، أي في صميمها. التحوّلات الاجتماعية ـ الاقتصادية الكبيرة في الستينات وبداية السبعينات أوجدت نموّا متصاعداومتوازناً في المستوى المعيشي للشعب الإيراني، ولكن، بعد هذه الفترة من الرفاه النسبي، حدث الهبوط المفاجئ في وسطالسبعينات عندما واجهت الحكومة انكماشاً في التنمية الاقتصادية، وهذا يعني أن الفجوة التي نشأت بين الآمال والتوقعات العاليةعند الناس وبين مستوى إشباع حاجاتهم الضرورية أوجدت إحساساً واضحاً في الضعف البنيوي للحكومة وخلقت دافعاً بيّناً للغضبالثوري.** **على الرغم من محاولة حسين بشيري في البحث عن مدخل نظري مترابط لهذه الفكرة إلاّ أنهيتفّق مع الرؤية العامة لـ ديفيس، فنراه يكتب أنه بإلقاء نظرة على الوضع الإيراني في ضوء النظريات المذكورة آنفاًفإنفترة ما بين 1973 ـ 1978 وتحديداً سنّي ما قبل الثورة تظهر وكأنها في انسجام كامل مع نظرية ديفيس، ولذلك فإنّنا سوفنبيّن كيف أنّ الزيادة في المصادر المالية،** **في فترة قصيرة رفعت توقعات وآمال الطبقة الفقيرة بدخل أعلى، وكيف أنّ هذه التوقعاتاستمرت متصاعدة في حقبة الأزمة التي أعقبتها، فيما استمرت قدرة النظام على التعاطي معها بالهبوط والتراجع.[30]** **الإشكالية الأهم في هذا المدخل هي إستحالة البرهنة على الترابط بين التوقعاتالفردية لأبناء الأمة وتعميمها على الأمة كلها، أي التوقعات الجماهيرية والاحتجاج الواقعي.** **إنّ إشباع المطالب المرحلية وشدة التوقعات، وعجز الحكومة عن تحقيقها لم تنته دائماًفي مظاهرات وانتفاضات في العديد من المجتمعات. إن المسألة الأهم هي التصميم على التحكّم بمراكز القرار في الغلياناتالجماهيرية الناشئة عن الجماعات المتضرّرة، أي الأساليب التي تتحرك في إطارها هذه التحولات البنيوية وتؤثر في المواجهاتالطبقية وطبيعة التوزيع واستخدام مصادر الثروة تكون عادة مختلفة بملاحظة العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة، وكذلكالتاريخ الثقافي للمجتمع الذي يُراد دراسته.** **كجماعة ضاغطة ومؤثرة. يشير (گار) بأن التأثير الواضح للتقريب كان قد قلّل دور هذهالمؤسسة عموماً، إلاّ أندورها وحسابات رجالها بقيت كما هي تقريباً ولم تتأثر تأثراً يستحق الذكر.[31] الفجوة التي حصلتفعلاً كانت بتأثير الفعل الاجتماعي المحجَّم والمصادر المالية المحدودة، وكذلك في ازدياد كفاءة الحكومة وبروز الفئات العلمانيةـ كما إن التصدّع الذي حصل في إطار القوة المعنوية للمؤسسة الدينية وطموحاتها الجماعية قد أديّا إلى التذّمر والاستياء.** **يكتب مشيري بأن الضغوط المالية التي افتعلتها الحكومة ضد المؤسسة الدينية وآثارالجهود الحكومية لإيجاد تحولات اجتماعية في عهد بهلوي أدّت إلى ضعف موقعية هذه المؤسسة وانكماش دورها التعبوي الفاعل. ولعدموجود أرضية يمكن اعتمادها في تأكيد انكماش دور المؤسسة الدينية هذا، إلاّ إنّ دور الحرمان وتأثيره النسبي لايمكن تجاهله هو الآخر.[32]** **هذا المدخل له إشكالاته المتعددّة في التنظير للثورة، لأنه يعتمد تماماً على الزعمالقائل: بأن خبرة الشعب واثر الحرمان يحتلان نفس الموقع. نعم، انه لشيء موهم القول: بأن الحرمان وحده هو الذي يفجر الغضبالثوري.** **ربما يوجد منظّر يتبنى هذا الرأي أو يزعم هذه العلاقة فعلاً بعد أن يحيل هذا السببإلى العامليَن المؤثرَين، ولكن من الصعب تماماً التأكيد بأن هذه العلاقة صحيحة على نحو مطلق.** **إنّ القفز من الحرمان الفردي إلى الجماعي لم يكن ملحوظاً بشكل مسار الأحداث، فكيفبه يؤثر في ذلك أو يقود إلى فعل ثوري في نهاية المطاف؟ النقطة الأخيرة إذن هي: أنّ هذه الاستدلال التجريبي الذي يحاولالبرهنة على انكماش دور وفاعلية المؤسسة الدينية، ليس متيناً ويمكن أن ينُاقش بسهولة.** **المدخل السياسي للثورة:** **حاولت بعض النظريات أنّ تستخدم، صراحة أو ضمنياً التحليل البارسوني Functionalism Parsonian، كإطار نظري عام لتفسير الثورة الإيرانية. الباحثون الذين يعتمدون بشكل رئيسي على التحليلالروائي لـ هنتنغتون Huntington يضغطون على زر السرعة ويؤكدون على عامل التحديث الذي أدّى إلى الثورة. وفقاً لهذا التحليل،أنّ سرعة التحوّل هي التي وفّرت فعل القوة الموازنة وسلّطت ضغطاً هائلاً على النظام الاجتماعي. فحينما كان الشاه ينفّذبرنامجه التنموي الواسع على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، وفيما كانت تجمعات معارضة عديدة قيد التشكّل وكان يفُترض أنتستوعب في مؤسسات سياسية، قادرة على تشكيل منظومة اجتماعية ـ اقتصادية جديدة، لم يحاول الشاه بناء وجودات احتوائيةقادرة على استيعاب الفعاليات الناشئة التي أوجدها مسار التحديث.** **ابراهيميان، المبَّشِرّ الرئيسي بهذا النمط من التفكير، كتب يقول: بأن الثورة حدثتلأن الشاه نفذّ التحديث على المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي المذكور، الأمر الذي أدّى إلى اتّساع الهوّة بين الطبقةالوسطى وطبقة الصناعة العماليّة. هذا الفشل أدى بدوره إلى تعميق الهوّة بين الحكومة والوجودات الاجتماعية وأغلق قنوات الاتّصال بينالنظام السياسي وعموم السكان ،كما زاد التصدّع بين الحزب الحاكم والقوى الاجتماعية الناهضة الجديدة.والأكثر أهمية، أنّهذا الإجراء هشّم الجسور القليلة التي كانت بُنيت في الماضي بين التنظيمات السياسية والقوى الاجتماعية التقليدية، وخاصةالبازار أو الوجودات الدينية صاحبة النفوذ.[33]** **التحليل الرسمي، عموماً يقود إلى هذا الهراء، وبالتالي فلا يمكن التمييز بينالخصائص النظامية والميكانيكيات السببية، ونتيجة لذلك أن هذا النمط من السجال يعزو انبثاق الثورة إلى احتمال واحد غير واقعي وهوبروز أحداث ربما كانت استجدت بعد وقوعها. يُضاف إلى ذلك، أنّ الدور التعبوي الرئيسي لجماهير الطبقة الدنيا في مسارالثورة يحتاج إلى إدراك دور الأيديولوجية والتنظيم كخيارات مستقلة. هذه النظرية الرسمية في التحليل لا تُعير وزناً كبيراًلهذه الخيارات، وبالتالي لا تستطيع أن تقدم توضيحاً شافياً عن لماذا وكيف انقادت الجماهير إلى قائد محدّد أو جماعة معينة فيطريق الثورة وليس غيره أو غيرها.** **غالباً ما يستخدم ابراهيميان عبارات خاصة ذات جذور في الفكر الماركسي، وأحياناً لاتنسجم مع تحليله العملي للأحداث. أما تحليل هنتنغتون وإطاره المرجعي فانه لا يلفت الأنظار إلى قوة العلاقة بين الطبقاتالاجتماعية نفسها، أو بين هذه الطبقات والحكومة، فبالإضافة إلى الإشكالات الناشئة عن الحاجة إلى القراءة المنطقية، فانالدليل التجريبي لا يشير إلى العلاقة بين التحديث المتسرع ولا إلى نتائج الثورة. حتى منتصف السبعينات ،وعندما كان برنامجالشاه التحديثي في ذروته لم يكن هناك أي مراقب أكاديمي أو عالم في شؤون الدبلوماسية يتوقع احتمال حدوث تلك الثورة العارمةفي إيران.** **إن فقدان التوازن بين التقدم الاجتماعي ـ الاقتصادي والتنمية السياسية كسبب للثورةوفق تعريف ما، عبارة صحيحة ولكنها لم تخبرنا لماذا حدثت الثورة في المقطع الزمني الذي انفجرت فيه وليس في غيره، ولذلك،فان استخدام أنماط مختلفة من الإيضاحات العملية تنطوي على مشاكل تجريبية، ومنهجية جديّة وخطيرة.[34]** **أثناء دراسة الثورة الإيرانية، وبالإضافة إلى النظريات الدولة.** **ميثاق بارسا في كتابه (الأصول الاجتماعية في الثورة الإيرانية)، وبالاعتماد على هذهالنظرية وبعد أن يشرح ظهور التحالف الثوري المرتكز على مصالح الجماعات والطبقات وشبكات العلاقات، والتنظيمات، والمصادرالمالية، ومظاهر القمع والأيديولوجية والقيادة، يروح يقدّم تحليله الخاص حول نشاطات الجماعات الرئيسيةالمساهمة في الثورة ،كالمؤسسة الدينية وطبقة رجال الأعمال والعمال، ويلاحظ بارسا بأن البازار كان أول جماعة معبّئة قادتالمقاومة من المساجد، أي أن المساجد شكّلت شبكة من العمل القومي للتعبئة وأصبحت الملاذ الأكثر أماناً للتجمعاتوالاتصالات الجماهيرية.** **إنّ مبدأ السياسة المفتوحة للحكومة وفّر فرصة للجماعات المتذّمرة، وخاصة من البعدالاجتماعي.كما إن أغلب مطالب هذه الجماعات أخذت بُعداً سياسياً. وهذا يعني أن تحالفاً واسعاً بين الطبقات الاجتماعيةالمختلفة أخذ يتشكّل بعد أن رضي الجميع بقيادة آية اللّه‏ الإمام الخميني، وأخيراً، فان الترابط بين التمزّق الاجتماعيوضعف المؤسسة العسكرية والهجوم على القوات المسلحة، كلها شلّت الحكومة وشدهتها، وقد ظهرت قوتان مزدوجتان ،أو قوة مهيمنةمزدوجة انتهت بانتصار الثوار وسقوط الملكية.[35]** **جيرولد گرين Jerrold Green يواصل محلّلاً أيضاً بأن الثورة الإيرانية، بقبولهاالمدخل العام لـ هينتنغتون وعلاقته مع نظرية تعددية الأسباب، يروح يُقسّم مسار المشاركة السياسية في جبهتين: التعبئةوالتعبئة المضادة. وفي رأيه إن التحديث يُسيّس الأمة، وإن النقص أو الفراغ المتروك للمساهمة يمكن أن يؤدي إلى اضطراب سياسي، ينجرأخيراً إلى ثورة. أنه يعتقد بأن حكومة الشاه لم تكن قادرة على إحكام السيطرة على التعبئة بإيجاد ميكانيكيات أوآليات صحيحة ومناسبة، كما إن فشل حزب الشاه (راستاخيز) في تعبئة الطبقات الوسطى أو الدنيا لدعم الحكومة، أدى في النهايةإلى تشكّل التعبئة المضادّة ،وانتهى ذلك بشطر المجتمع إلى شطرين: شطر من الداعمين للنظام وآخر من المعارضين له (وهذا تسطيحللسياسة) إذ أن تحقيق أي إنتصار للثورة وعلى أي مستوى يزيد في تلاحم هذين الشطرين وتكاملهما[36].** **على الرغم من مواصلة گرين تبيانه للخصائص الاجتماعية للمجتمع الإيراني والإشارة إلىذلك بالعامل الفعّال في اختيار قيادة الثورة وتأشيره إلى قوة المؤسسات الدينية وطبقات المجتمع في مسار التعبئة المضادةللحكومة، إلاّ انه مع ذلك، لم يوضح بالضبط كيف تشكّلت هذه التعبئة وكيف رُسم مسارها.** **كانت اتّجهت جميع إحالاته إلى عوامل عديدة منها: انكماش أو انحسار القوى الفاعلةللنظام، تبسيط السياسة، تسييس المجاميع التي لم تكنقد سيُست بعد، أو أنها لم تكن سياسية بالأصل ،الأزمات التي قادت إلىالأحداث وردود فعل السلطة الوحشية في التعامل مع الناس دون الأخذ بنظر الاعتبار، دور القيادات والزعماء وأساليبهمومناوراتهم في تعبئة الجماهير.[37]**

**المدخل المتعدد الأسباب:**

**العديد من محلّلي الثورة الإسلامية يعتقدون بأن الثورة كانت حصيلة تلاقي أو تطابقعناصر مختلفة في طول العوامل الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية ـ الثقافية.** **الأفكار السابقة والمبكرة كانت أقل ميلاً في التأكيد على سبب بحد ذاته، كعامل رئيسيللثورة ـ وكان الكتّاب يشيرون إلى تعدّد الأسباب، ولكن البعض شدّدوا على ضرورة إلفات الأنظار إلى نظرية العوامل المتعددة،والتي بترابطها وتواصلها مع بعضها هيّأت الأسباب لحدث الثورة.** **في قضية ميشيل فيشر Michael Ficher، وفي كتاب (من الجدل الديني إلى الثورة) From Religious Dispute toRevolution: خصّص الكاتب القسم الأكبر من تحليله في استحضار الثقافة الدينيةالإيرانية. هذا العمل هو واحد من بين تلك التي تؤكد أهمية العناصر الثقافية لحدث الثورة الإسلامية. إلاّ انه يعتقد معذلك بأن أسباب الثورة وتوقيت حدوثها كانت اقتصادية وسياسية. وفي الحقيقة إن شكل الثورة ومكان وقوعها مَدينٌ بشكل مؤكّد لمبدأالاحتجاج الديني.[38]** **نيكي ر. كدي في كتابها (جذور الثورة: قراءة تأويلية لتاريخ إيران) جدولت التحولاتعلى مستويات مختلفة من أجل تفسير الثورة الإسلامية. إن غياب الإصلاحات السياسية المقترنة مع التنمية الاقتصادية، وفينفس الوقت تأثير ذلك السلبي على تشكيلات اجتماعية وطبقية مختلفة، من جانب، وقمع هذه التشكيلات وفقدان الحرية منجانب آخر، كلّه عبّد الطريق أمام قطار الثورة.** **في هذا الأثناء، أنّ التحوّل في طريقة التفكير في المنهج الشيعي الثوري الراديكالي،الذي حوّل هذا المنهج إلى أيديولوجية للثورة، كانت سبباً مهماً جداً لها. إنّ الكاتبة تتابع الأبعاد الاجتماعية ـالسياسية، والنفسية والأيديولوجية، آخذةً بنظر الاعتبار الموقف الطبقي الحساس الذي سبق الثورة، والمتمثل بالصعوبات الاقتصادية التي أعقبتفترة الانتعاش المؤقت، والتي أدت إلى إيجاد الفجوة الكبيرة بين آمال الناس العريضة وواقعهم المرّ.[39] ومع ذلك، فإن تحليلها بدا تاريخياً بحتاً، وكان يفتقد القاعدة النظرية المطلوبة.** **يبحث فريدهاليدي في مقالته الموسومة بـ (الثورة الإيرانية: تنمية غير مستوية ومبادئدينية شعبية) عن الأسباب الرئيسية لانبثاق هذه الثورة في خضّم مظاهر التناقض والصراع الناشئة عن تنامي الرأسماليةووجود المؤسسات المعارضة والمقاومة الشعبية الشاملة ضد العملية الانتقالية. انه يشخّص خمسة عناصر رئيسية للثورةالإيرانية، وهي:** **نمو سريع وغير متوازن للرأسمالية الاقتصادية في إيران، ضعف سياسي للحكم الملكي،تحالف واسع لقوى المعارضة، دور الإسلام في تعبئة هذه القوى وأخيراً التحولات الأساسية غير المستقرة للوضع العالمي.[40] تنطوي هذه العوامل على أهمية لا تنكر. ولكنْ، من الضروري، ومن أجل حسم المسألةتاريخياً ونظرياً يجب البحث عن أسس هذه العوامل وكيف يمكن وضعها أو ضمها مع بعضها في إطار عام موحد.** **فريدة فرهي، في مقالة لها تحت عنوان (تفسخ الدولة والأزمات الثورية المدينيةالمرتكزة: تحليل مقارن بين إيران ونيكاراغوا) كانت استعارت مفهوم سكوكبول في استقلالية الدولة عن الطبقات الاجتماعية، وفيما إذاكانت في إطارها الشمولي، ومنطقه المحدّد، أو في دائرة إمكانية ملاحقة المصالح الخاصة بها بعيداً عن مصالح عمومالأمة، تحاول فرهي أن تستحضر تداعيات الحكومات وانهيارها أمام الطبقات الاجتماعية واللاعبين الدوليين.لكنها تحاول أنتذهب أبعد قليلاً من إطار سكوكبول النظري بإضافة عاملين آخرين هما:** **1 ـ التوازن المتغيّر للقوى الطبقية كنتيجة لتنامي الرأسمالية على المستوى العالميوتفّهم مواقف الحكومات المحلية والضغوط الخارجية المفروضة عليها.** **2 ـ تفهّم أكبر للبُعد الأيديولوجي.** **الحكومة الإيرانية الطموحة والمتسلطة واجهت استغلالاً حاداً في المحيط الاقتصاديالعالمي كقطر خارجي بعيد عن المركز، وبما أنّ الحكومة مدعومة من قبل القوى الأجنبية، فإنها لم تستطع الاستجابة للمشاعرالوطنية والقومية. أضف إلى ذلك انحيازها واستقلاليتها عن الطبقات الاجتماعية المحلية. كما أنّ البيئة الإيرانية الاجتماعيةالنموذجية ،كمجتمع معزول أو منغلق، وبسبب تنامي الطبقة الوسطى (التقليدية والحديثة، وكأنها طبقات متميزة) وعدم تكيفها معنظام قيمي معزول تماماً عن نظام القيم العام ( ونعني به الرؤية الإسلامية)، ساعد علماء الدين على الاستمرار في تعبئة القوىالمدنية المختلفة وذلك بالاعتماد على التجمعات الدينية، وبالتالي تمكنهم من السيطرة والتحكّم بالزعامة الدينية.[41]** **ورغم أن فرهي تحاول الذهاب أبعد من نظرية سكوكبول بتشديدٍ أكبر على دورالأيديولوجية وبُنية الأنظمة العالمية عموماً إلا إنها لم تتخلّ عن مدخلها البنيوي الواضح المعالم..** **بالإضافة إلى ذلك، ووفقاً إلى فوران وبتركيز كبير جداً، على تأكيد دور الدولة،فإنها على عكس فرهي لم يُولّ اهتماماً كافياً للبنى الاجتماعية، كما أنها لم يوفّق في تقديم تحليل بنيوي مفهوم أو دالّ. بل بدلاً منذلك راح يعوّل على البناء الاجتماعي المرتكز مبدأياً على الدولة أكثر من الاعتماد على البناء الاجتماعي العالمي.[42]** **يحاول جون فوران تفسير الثورة الإسلامية بتقديم توليفاً أو تركيباً من نظرياتومداخل مختلفة. بالطبع، أنّ مدخله النظري يشابه تماماً مدخل فرهي. ففي المستوى البنيوي، نراه يضعتأكيداً أكبر على البناء الاجتماعي وعقلنة السلطة المركزية للنظام العالمي المرتكز على التداخل بين القوى المنتجة التي تسبقالرأسمالية والقوى السياسية الأجنبية، العسكرية منها والاقتصادية، إلاّ أن نتيجة هذا التداخل في إيران شكّل بناءًاجتماعياً معقداً ،مؤلفاً من طبقات كما في الرأسمالية الحديثة. أي أنّ مسيرة التراكم الخاصة (التنمية المستقلة) كانت بحاجة إلى حكومةقمعية مغلقة على المستويين الفردي والسلطوي، وذلك من أجل كبح واحتواء المدّ الاجتماعي المتصاعد.** **أما على صعيد العوامل الداعمة والمساعدة، فيرى فوران أنّ من الضروري قاد لاعبيالمعارضة المختلفين إلى تحالف مضاد للحكومة وانتهى بالانتصار.[43]** **وباختصار شديد، أنّ الثورة الإسلامية في إيران، كانت قد تحدّت، وبطرق مختلفةومستويات متباينة جميع النظريات المعروفة في تفسير الثورات في إطار علم الاجتماع. وهذا يعني أنّ فكّ مغاليق وأسرار الكتاباتوالأفكار المختلفة سوف يوجد شكاً حول كفاءة الأمثلة التوضيحية ونظريات الثورات العالمية. كما إن معظم التعميماتالكونكريتية أو الجزمية في البنى النظرية لم تكن قادرة على استيعاب أو تفهّم القاعدة الفريدة التي على أساسها حدثت الثورة في إيران. وأخيراً يمكن القول، انه لا وجود لواحدة من هذه الإيقاعات التي تعتمد على مواصفات خاصة، يمكنها توضيح مدّ الثورة الجماهيري فيهذا البلد. ولكن وفي نفس الوقت، يبدو أن مُعامل الأسباب المتعددة يمكن أن يكون أكثر فائدة في تفهّم وتفسير هذا الحدثالتاريخي المهم. وهذا يعني بأن عناصر الثورة المختلفة يجب أن توضع في إطارها النظري الأكثر دقّة وتشخيصاً.**

**التحديث والثورة الإسلامية**

**بقلم**

**نيكـي كـدي**

**إصلاح، هدير، وإفلاس: (1963 ـ 1977) :**

**إنّ السياسات الاجتماعية والاقتصادية لنظام اوتوقراطي متحكم وقوي في أواخر الستينات وبداية السبعينات أظهرت للكثيرين،وخاصة خارج إيران، وكأنها مشروع موفق وقصة نجاح عظيمة.ولتأكيد هذه القناعة،كانبإمكان هؤلاء الإشارة إلى الزيادةالهائلة في دخل الفرد الإيراني، متجسدة في مشاريع صناعية وزراعية بنيويةضخمة، وعددلا بأس به من نشاطات الرفاهالاجتماعي المعتبرة. من ناحية أخرى، العديد من خصوم النظام زعموا بأن جميعالاصلاحات كانت خادعة ومزيفة،لأن التنميةلم تنفع سوى الأثرياء،ولم تكن هناك تحولات بنيوية مهمة على صعيد المجتمع.وفي الحقيقة،انالتحولاتالاجتماعية والاقتصادية والمشاريع المتبناةمن قبل نظام الشاه في تلك الفترة لوحظت وكأنها تساهم أو ساهمت في قيادةالبلد نحونمط رأسمالي زراعيا وصناعيا، مع تأكيدواضح على رأسمالية الدولة، فضلاً عن الطبيعة الإوتوقراطية للنظام وهيمنتهالاحتكارية على واردات النفط المتنامية دائماً.[44] من أجل تحليل موجزلمجريات الأمور، يلاحَظ أنّ السنين المحصورة بين 1962 ـ 1977 بدتوكأنها وحدة متماسكة في بناءهذه الهيكلية الرأسمالية الواضحة للدولة.**

**كما إنّ تقويض الكيانات الشبهإقطاعيةلملكية الأرض ظهرت وكأنها عائق ضد عواملالتنمية والسيطرة المركزية الحكومية على الريف، فضلاً عن دعمها وتشجيعهاللقطّاعالرأسمالي الخاص. عدد من الكتاب وكردّ فعل ضد التسوية المسطحة لمعادلةإيران مع الأقطار الأخرى،رفضون بعض المصطلحات مثل ( رأسمالي)، وفي الحقيقة أنّ كل منطقة من مناطق العالم لها خصوصياتها، ولكنْلابدللمرء من مفردات عامة للإشارة إلى بعضالبنى المقارنة. وبدلاً من الاستمرار سنة بعد سنة، واستئناف خطة خمسية بعدخطة خمسية أخرى لمناقشةالملامح الرئيسية للاقتصاد، يبدو أكثروعياً وحصافةً النظر إلى التطورات الاقتصادية المهمة كمفاتيح للحكم علىعموم الفترةبعد سنة 1962، وذلك بعد التأكيد علىالاستنتاجات التحليلية الأخرى أكثر من التأكيد على التفاصيل التي يمكنالعثور عليهافي فصل آخر أو حقبة أخرى.[45] مشروع إصلاح الأراضي الذي شُرّع في بداية 1962 كان الوجه الأول للسياسات الاقتصاديةالجديدة في البرنامج الزراعي،والذي اتجّه إبان عام 1977 بوضوح في اتجاهات، مختلفة تماماً عن تلك التيتوهمهاالمهندس حسن أرسنجاني وزير الصناعةالمسؤول الأول في مشروع إصلاح الأرض هذا. مضى الوجه الأول لإصلاح الأرض،عام 1962ولم ينفّذ إلاّ بعد سنين عديدة،إذ تم بيعه إلى المزارعين على قاعدة تقييم الضرائب من قبل ملاكيالإقطاعيين، وبذلكتم الإستيلاء على قرى أو أكثر من قريةمن قبل هؤلاء. كان يسمح لكلّ ملاّك أن يستولي على قرية من القرى بمحضاختياره،والمكافئ أو المساوي عادة لقرية واحدةبالاستيلاء، وهذا هو سدس التقسيمات التقليدية في القرية الكبيرة أو في كلست قرىصغيرة، والاختيار الأخير، لم يكن يمنحالملاّك، الأرض الأفضل وحسب، بل منحه، بعض النفوذ في إدارة ست قرى بدلاً منواحدة. لها أنّ تمتلك سهماً بدون أن تكون فعلاً محسوبة على صنف المزارعينأو الحارثين.**

**منن احية أخرى، كان هنا كحوالي 40بالمائة من القرى الزراعية تُعطى أجور عمال نقداً أو عيناً أو كلاهما حسبساعاتالعمل المبذولة وبدون حقوق رعاية أوصيانة. أولئك الذين كتبوا مسودّة الإصلاح، ربما كانوا غير ملتفتين إلى عددالعمالالمحرومين من حقوق الرعاية أي الذين كانوا خارجقائمة المشمولين بالإصلاح، ولكن ومن الجانب الآخر ،فقد تحدّث الشاه لصالحصغارأرباب الأعمال، والذين تمنّى عليهم عدمبيع أنفسهم للآخرين ووصفهم أنهم أكثر إنتاجاً من الكبار.**

**التقسيم الذي ضمّ العمال كان يمكن أن يكون محتملاً فقط بتبنٍ أكثر راديكاليةً في امتلاك الأرض والمساواة بين المالكين مصحوباً بتعاون فلاحيحيثما كانمناسباً أو أكثر مما كان يرغب نظام الشاهفي تنفيذه.[46] وهنا يمكن القول بأن هذا الإصلاح مثله مثل أغلب الإصلاحاتالرأسمالية للأراضي، لم يكن منصفاً وحتى فيوجهه الأول التقدّمي نسبياً، أي الذي أشرف عليه أرسنجاني نفسه، بل حتى علىمستوىالقرويين في نفس القرية، فبعضهمحصل الكثير وبعضهم أقلّ وبعضهم لم يحصل شيئاً أصلاً. هناك بُعد آخر نالثناءً واسع النطاق في مشروع إصلاح الأرض هذا، وهو الحل الذرائعي (البراغماتي) أمام عدم معرفةالمساحات التفصيلية لمعظم القرى والذي عوّق أو أخّر كلّ محاولة إصلاح يُرادتنفيذها، كما هو الحال في كل أقطار العالم طبعاً ـوذلك بسبب حدود المساحة الأكْرية لكبار الملاكين. وحينما وضع حدّ أعلىلحدود وحدةالقرية التقليدية ،فان مشاكل التكلفةوالوقت المستهلك في مسح الأرض تم تجنبّها، أي كما في العديد من الأقطار،وجد بعضالملاكين مجالاً لتجاوز سقف الحدود. ومنذ أن تمّت مناقشة مشروع إصلاح الأرض ولعدة سنوات قبل عام 1962، وتحديداًمنذمحاولة الحكومة الناقصة عام 1960،انتهز الملاكون الفرصة بعقد صفقات مبيعات خيالية وهدايا للأقارب والأصدقاءمن أجلتقليل (أو الايحاء بتقليل) حدود ملكياتهمالمشروعة مقابل أي تعويض أو سيطرة حكومية محتملة. بالإضافة إلى ذلك فانالقائمةاستبعدت البساتين والمراعي والمزارعوالحقول الميكانيكية ذات التقنية العالية، فكان سهلاً جداً نقل أكثر منوحدة من هذهالوحدات إلى أكثر من واحد من هؤلاءالمقرّبين. وعلى الرغم من ذلك، وفي بعض المناطق، حاول موظفو الإصلاح منالشباب المتحمسين، وفيالفترة الأولى عدم السماح بأيتجاوز لهذه التغييرات في دائرة القانون، ولكن هذه المحاولات لم تُنفّذ.**

**وفي النهاية، ورغم العديد من الاحصاءات المعتمدة القديمةالتي أكدت بأن نصف الأراضي الإيرانية كانت ملكاً لكبار الملاك وفي كلالقرى، فانالحصيلة، في أفضل إحصاء، عادت لتقولأن 9 بالمائة فقطمن المزارعين الإيرانيين حصلوا على أرض في المرحلة الأولىمن هذا (الإنجاز).[47] إنّ هذا ليس بالرقم غير المهم، لاسيما وان المزارعين فيالمرحلة الأولى، يختلفون عنأولئك في المراحل الأخيرة، أي أنهمحصلوا على وحدات زراعية، بمقدار من الأرض مساوٍ لذاك الذي دعم عوائلهم، وأنمدفوعاتهم للحكومة كانت عموماً، أقلّ منإيجاراتهم السابقة من هذا النوع. وضمن القانون، فان أي مزارع يستلم أرضاًيجب عليهأن يشارك في تعهّد تعاوني، بعد أن تمّالإعلان عن تشكيل هذه التعاونيات. وهنا افتُرض بهذه التعاونيات أن تقومبتزويداحتياجات الائتمان للمزارعين الذين كانوا سابقاًيلجأون لكبار الملاّك والمستغلين (وكان منهم البائعون المتجوّلون وصغار التجارالمعفوّوين من الفوائد نظرياً ولكنهم وبدلاً منذلك أُرهقوا ببضائعهم).**

**بيّنت الدراسات بأن تلك التعاونيات كانت تحت قبضةرأسماليةلم تستطع تقديم قروض كافية بفائدة دنيالأولئك الذين هم بأمسّ الحاجة إليها، وبذلك استمر الاستغلال في أغلبالأحيان، وبنفسالنسبة التي كان عليها سابقاً، فيما كانالمزارعون الأغنياء الذين يستطيعون الاقتراض أكثر من تلك التعاونيات نفسهاغالباًما يُعيدون إقراض أموالهم إلى القرويينالأكثر فقراً وبفوائد عالية. كما لم تكن هناك سيطرة كافية للتأكد من أن تلكالقروضكانت تُستخدم لأغراض إنتاجية، كما كانيُفترض بها، بينما بدا المشهد العادي بأن المزارعين الملاّك كان يمكنهم أنيكونواأعضاء في التعاونيات ويستلموا قروضاً غيرمشخّصة من قبل الآخرين ويستخدمونها ضد أولئك الحرفيين القرويين المستحقينلها،وخاصة نسّاجات السجاد من النساءالمستضعفات.**

**رغم هذه المشاكل، سجّلت الإحصاءات المبكرة كميات جيدة لأولئكالذين حصلوا أسهماًكاملة في المرحلة الأولى من الإصلاح. العديد من المزارعين بدأوا الانخراط في مساحات عمل بمعدّات وآليات جديدة،من ضمنهاحفر الآبار بالطوربيدات الميكانيكية،إذْ لم يكن هناك إطلاقاً أية ثقافة زراعية أو خدمات متطورة في إيران ،وكانالادّعاءأن المشاكل يمكن أن تُحلّ بربط السمكرةمثلاً مع حقوق الثروة والوحدات الثقافية والاستخدام الحديث للمعدات الباهضةالثمنغالباً والمستوردة من الغرب، دون النظرإلى مواءمتها مع الوضع في إيران. الوسائل التقليدية للري في معظم الأراضيالإيرانيةهي القنوات المحفورة تحت الأرضوالتي تتغذى على المياه القادمة من الجبال. وهذه بالطبع تحتاج إلى جهدمكثّف ومهارةعالية لا تسمح الاّ بتوزيع(ديمقراطي) للمياه أي لا تسمح بأي أذىً بيئيّ. الآبار العميقة المحفورة بواسطةالطوربيدات التي عملت جيداً لسنوات قليلة، اكتُشفتفيما بعد أنها تخفّض نسبة المياه بشكلملحوظ، وان مساحات عديدة من مناطق كانت يوما ما زراعية، لم تعُد هكذا، وهذايعني أنإنشاء القناة النموذجية، يجب أنيلاحظ من مدخلٍ أفضل غير هذا الذي تمّ التعامل به على عجل. مشاكل ذاتعلاقة برزت أو سوف تبرز في بعض المناطق بسبب استخدام التراكتورات فيالحراثة (والتي كان استيرادهامفضّلاً ومدعوماً من قبل الحكومة). أن كميات كبيرة من التربة الفوقيةالهشّة التيتم حرثها بهذه الطريقة ترسّبت في الجداول والأنهار وخاصة بعد أن فاضت عدة مرات الأمر الذي أدّى إلى تغيير مجاريها. العلاقةالعامة بين المراعي والحقول انقلبت وبنفس الشاكلة إلى أسوأ ما تكون عليه بسبب التقنية الجديدة المستخدمة.**

**وعلى الرغم من اللوم الشديد الذي وُجّه إلى أمريكاوالشركات الغربية على مبيعاتها فوق العادية لمثل هذه التكنولوجيا، إلاّ إنالنظامالإيراني والعديد من المتخصصين الإيرانيين،الذين يعرفون المسألة أفضل، التفتوا أنه ليس كل ما ينتجه الغرب، أي كلجديد، صالحاًوفي كل زمان ومكان. كان عليهم أن يتأملوا أكثر في دراسة المشاكل الصعبة لبلد مجدب ذي غابات قليلة متبقيةوتربة فوقيةناعمة، وان يحاولوا التكيّف مع ظروفإيران الخاصة التي قد تنطوي على استخدام طرق وآلات تقليدية نموذجية لفترةأفضل منطريق الاستعارة المباشرة غيرالمدروسة من الغرب.**

**مع ذلك، الذي تم تنفيذه كان قليلاً جداً وحتى مع هذه الطريقة التي أثبتت خطلها فيإعادة التشجير. إذ استمر النظام البائد يفّضل شراء التراكتورات على زراعة الأشجار، كما أن الماكنة الزراعية الغربية كانت مُنحت أفضليةً، أو ترجيحاً أفضل مما مُنحللمعدات الإيرانية، وانّبحوثاً قليلة جداً أيضاً قُدّمت بصدد تحسين الآلات والأدوات الموجودة. باختصار، وحتى مع أولئك الفلاحين الذي نالوا حظاً في المرحلةالأولى من الإصلاح،فإنّ حظهم في تحسين الوسائل المتوفرة من أجل زيادة إنتاجهم وتوفير شيء من التوفيق لرفع مستواهم، لم يكن يفي بمستوى الطموح أو الدرجة المطلوبة. وبما أن هيمنةسعر السوق تُفضّل باطّراد سكان المدينة، السريعي التأثر سياسياً، الأمرالذي يقودإلى دعم المحصول الأجنبي من الحبوب عنطريق الدفع الأكثر، فإن سعر السوق العالمي وليس الإيراني هو الرابحوبالنتيجة وهكذاأصبح الفلاحون طبقة دنيا، رغم وجودبعض الاستثناءات. بالنسبة للعمال الذين لم يحصلوا على أراضٍ في القرى،والذينتأثروا بمرحلة الإصلاح الأولى، كاناستئجارهم من قبل الملاكين الكبار القدماء أقل احتمالاً من استئجارهم منقبلالفلاحين المزراعين، الأمر الذي أدى إلىمشاركتهم في النزوح الجماعي نحو المدن ،والذي وصل بأرقامه الرسمية أكثر من 8بالمائة من مجموع سكان إيران بين عامي 1972 ـ 1973 وهو في المعدّل أكبر من نسبة النزوح بين أعوام 1956 ـ 1979.[48] في ربيع 1963، أُجبر أرسنجاني على تقديم تشكّل في يوم ماتهديداً لنظامهالأوتوقراطي، وهذا ما تؤكده شعبية أرسنجاني الواضحة ومحبة الفلاحين الإيرانيين له. أراد أرسنجاني هذا أن ينقل أكبر قدر ممكن من أراضي الملاك الكبار إلى الفلاحين الصغار، فرفَع شعارات وخلق آمال في هذا الاتجاه. وبعد إقصائه أصبح مسلسلا لعمل إصلاح الأرض ومراحله المختلفة أكثر تحفظاً من الأول، ولم ينفّذ إلاّ القليل لدعم الخطوة الأولى التي أرادها أرسنجانيوا لكثير من الفلاحين، والتي شملت إيجاد تعاونيات متعدّدة الأهداف، وبرامج واسعة وبذور جيدة وغير ذلك مما كان يؤدّي إلى تحسين أوضاع الفلاحين والعمالالزراعيين.**

**الوجه الثاني للإصلاح، وبعد تراجع الشاه تحت الضغوط المحافظة،اتجه نحو تنظيمالنظام القائم أكثر من اتجاهه نحو إعادةتوزيع الثروة. هذه المرحلة جاءت، نظرياً، لتغطية كافة القرى المتبقية التيلم تكنمشمولة بالبرنامج السابق، ما عدا قرىالأوقاف التي وضعت في عقود إيجار بسقف 99 سنة. مالك الأرض الذي يملك قريةواحدة أوأقلّ أُعطي خمسة اختيارات، منها: ملك موجّر نقداً، توزيع الأراضي على قاعدة تقسيم المحاصيل السابقة، مبيعاتللفلاح (وقد اختار ذلك عدد قليل جداً من الملاك). في سياق آخر قُدمت عام 1969مُنح لجميع الفلاحين على هيئة قطع أراضي خلالمزايدةمقَسّطة ،ولكن هذه عنت عموماً بنسبةمئوية من الأرض التي تم حرثها مساوٍ لنسبة المحصول الذي تم استلامه تحتالنظامالقديم. غالبية الفلاحين الإيرانيين لميحصلوا على الأرض الكافية التي تكفي قوام معيشتهم وكان عليهم أن يبحثوا عنحقلإضافي أو عمل آخر.في أغلب قرى إيرانالمشمولة بالخطة الثانية والثالثة، كان هناك عدد قليل جداً من الفلاحين ممنيستطيعترتيب لقمة عيشه، كما كان في الخطةالأولى، الأمر الذي أدى إلى تصاعد هجرة العمال والفلاحين الفقراء إلىالمدن. هذهالقرى كانت تُعاني مشاكل أخرى منها: عدمكفاية القروض المالية، وعدم وجود الخدمات، وتلاعُب الحكومة بالأسعار،وتفضيلهاالمدن والأجانب مقابل إهمال الريف. معظم المساعدات الحكومية الاقتصاديةوالتقنية، والمعونات المقدّمة من أواخرالستينات وما بعدها بدأت تنحسر إلى أرقام أصغروعن وحدات زراعية كبيرة، بينما راح صغار الفلاحين والطبقة الوسطى منهم،فضلاً عنالعمال الزراعيين المعدمين الذينتزايدت متاعبهم بسب قطْع الدعم الحكومي عنهم، لا يجدون ما يسدّ رمق عيشهموترتيبشؤونهم على أسس تعاونية مقبولة، كماأن انحياز الحكومة ومحاباتها بدا ملحوظاً بعد سنّين قليلة من تطبيق برنامجالإصلاحالزراعي وخاصة في سياستين موزّعتينعلى برنامجين رئيسيين. أحدهما: إيجاد النقابات الفلاحية، حيث تجتمع في هذهالوحدات واحدة (عادةً) أو أكثرمن قرية في نقابة ،مع فلاحين (يتم إقناعهم) بتسليم أراضيهم المستلمة حديثاً إلى النقابة، ويعوّضون عن ذلك بأن يحصلواعلى سهمواحد أو أكثر ،حسب كمية الأرض التيوفّروها للنقابة ،أما الأجور فكانت تعتمد على اجتماع الأرض والعمل، ومادامتالنقابات الفلاحية تستخدم التقنية الحديثة، فلايمكن احتواء جميع المساهمين، إذ كان عسيراً جداً استخدام العمال الزراعيينأوالفلاحين القديمي الطراز. هذه الجماعات هيالأخرى ساهمت في إيجاد الهجرة الواسعة التي اكتظّت بها المدن. كانت هذهالنقابات تُدار من قبل متخصصين حكوميين يتم إرسالهم من طهران، وكانوايكلّفون الميزانية نفقات طائلة لاسيماالتقنية، والرواتب، والسكن، وبنايات عديدة أخرى لغير الفلاحين، (أللإداريين).**

**أمامدراء النقابات الفلاحية فكانوا يزعمون دائماً بأن مشاريعهم ذات منفعة، ولكن قاعدة حساباتهم لم تكن لتضمّ المصاريفالباهضةللوجودات الحكومية، وان دعوى المنفعة لميكن ليُصدّق. من الواضح أنه في المراحل الأولى على الأقل، كان الفلاحون لايحبونالنقابات الفلاحية أو لا يحبذونها علىالرغم من عدم وجود دراسات لمواقفهم لسنين عديدة بعد اشتراكهم، ربما كانمدهشاً أوعجيباً حقاً، أن ترى فلاحاً يبذل كل ماوسعه من طاقة إنتاجية في تعاونية زراعية، قياساً بما يبذله من هذه الطاقةفي مزرعتهالخاصة. وهكذا تمّ تشكيل أكثر من 100تعاونية زراعية عام 1978. بعد الثورة ولكن معظمها تفككت بدعوى إنها ليستشعبية ولانافعة ولا مفيدة. الشكل الآخر من الإنتاج الكبير الذي تمّ تصويبه عام 1977كان عملاً زراعياً هائلاًوكان مملوكاً جزئياً وموزعاً على تعاونياتمتعددة. الحقول التي تبلغ مساحتها 5000 ـ 25000 هكتار تمّ تشييدها عموماًأسفلالسدود الجديدة وخاصة في وزستان. بالرغممن التركيز المفترض على(الأرض) الجديدة، تم إزاحة مجاميع صغيرة منالفلاحين، وكذلكأولئك الذين لم يصبحوا عمالزراعيين ممن ساهموا في هجرات جماعية سنوية.أصحاب العمال الزراعيين لميستثمروا سوىجزء بسيط من الأرض التياستولوا عليها، وان مساهمتهم النسبية في دعم الاقتصاد الإيراني كان يُنظرإليهاكخطر من قبل المختصين.**

**قبل عام 1978 تمّ إقصاء عدد من أصحاب العمال الكبار، وخاصة في خوزستان من قبل الحكومة بسببأدائهمالضعيف. كلاهما، أصحاب الأعمال والتعاونيات الفلاحية، أثبتوا أنهم أقلإنتاجية بكثير منطبقة المزارعين الوسطى.[49] السببالرئيسي لذلك كما يبدو هو أنهم انهمكوا أو استُهلكوا في مصاريف هائلةلاستصلاحالأرض لغرض الزراعة والري والتقنيةالثقيلة مقابل أرض واطئة الكلفة وبمعدات مصنوعة محلياً، أي إنهم أُنهكوابمعداتإصلاح أجنبية وآلات خارجية ولكن بفوائدإيرانية محدودة راحت تقضم مبالغ طائلة كان يمكن استخدامها في مشاريع أكثرأهميةوفائدة. إضافة إلى ذلك إنهم ركّزوا علىمحاصيل أجنبية غير مجرّبة ،فقللوا بذلك إنتاجية المحصول الإيراني وساهموافي زيادةالاعتماد على المحاصيل المستوردة. كانت سياسة الحكومة أيضاً تفضّل الزراعةالميكانيكية في القرى المستصلحة، ومع ذلك،لم تُقدّم الحكومة إلا القليل قياساً بالدعمالاقتصادي والتقني، أو الدعم المقدّم إلى التجمعات التعاونية ذات الأهدافالمتعددة. في عدد من الأوساط كان هناك تقصيرا كماهو التقصير في أجواء القراءة والكتابة لدى فيالق الخدمة العسكرية في خدمةالريف،ولو في الحدّ الأدنى من الخدمات الصحيّةوالتطوير. لحل الإشكالات المباشرة للإنتاج هذه، لم تقدم الحكومة شيئاًيُذكر، نعم،هناك بعض المنافع التقنية (للثورة الخضراء) تم الاستفادة منها، ولكن ْنادراً ما بُذل جهد لمصادر الترع والمكائن، كماأنالخدمات العامة، والتربية المقنّنة بقيت غير كافية. معظم التعاونيات استمرت كأنها مجتمعات اقتراض نقية بدل أن تتحول إلىتعاونياتللتسويق والإنتاج التي يمنحها عادة مجتمعالتنمية للمنتسبين.إنّ سياسات القروض التعاونية المقيّدة المذكورة ساعدت فيتناميتفاوت الدخل في القرية وجرى تفضيلطريقة حفر الآبار العميقة التي غالباً ما تحتكر مياهها بعد أن كانت تُقسّمديمقراطياً يوما ما وفي قنوات عديدة تحت الأرض. إنّمالك البئر يستطيع أن يبيع مورداً ثمنياً بتفضيل الزراعة الميكانيكيةالواسعة، بدلالفلاحة الصغيرة والمتوسطة. رغم الإنتاجيةالأعلى للأخيرة في إطار إيران نفسها، فان الحكومة الإيرانية تبنّت سياسةزراعيةخاصة كان يمكن أن تكون مجدية وأنجحاقتصادياً وأكثر عقلانية في بلد واسع الأراضي بأقليّة عمالية. في إيران، معذلك،بدا الوجه الزراعي الحاصل ضئيلاً جداً مجهداًبثقل عمالي هائل غير مستخدم، وقوة عمالية قروية كبيرة. كما أنّ محاولةإيجاد حقول ميكانيكية ضخمة تنفّذ من قبل الفلاحين بسهم شخصي، كانتدائماً بالضد من الإنتاجية المطلوبة.**

**لقد سجلت إحصائيات الإنتاج الزراعيأرقاماً بائسة. التعاونيات الزراعية لم تبلغمستوى النفقات والجهود التي بُذلت من أجلهافي مشروع إصلاح القرى، كما أن إنتاجها الزراعي كان واطئاً للغاية. ورغمأنّ الأرقام الرسمية حول الارتفاع السنوي للإنتاج الزراعي كان يؤكّد بأنهبلغحوالي 4 بالمائة سنوياً، إلاّ أن هذا الرقمغالباً ما يُعتبر لا قيمة له وأنّه ليس أكثر من تغطية للفشل وذّر الرماد فيالعيونوإشغال عن الصدمة الحقيقية التي تؤكد أنالإنتاج ينمو ببط‏ء وبنسبة أكبر بكثير من زيادة السكان. إحصائية أكثرموثوقية حولالإنتاج أكّدت بأن الارتفاع كان فقط 2 ـ 5/2 بالمائة سنوياً فيما بلغت الزيادة السكانية 3 بالمائة وان نسبة استهلاكالمحاصيل الزراعية بلغت 12 بالمائة.**

**ومع زيادة استخدام الميكانيكاالزراعية، وعدم استخدام المزارعين أو تشغيلهم وبدخلواطئ جداً مع زيادة مطّردة سنوياً في عددالسكان كان هناك (نهراً) جارياً وسريعاً من هجرة أبناء القرى المزارعينهؤلاءباتجاه المدن، وخاصة العاصمة طهران. هذه المدن كانت بدون خدمات إسكان عامةوحتى بدون فرص عمل من أي نوع تسعى للتعاملمعهم أو استيعابهم. الموقفالزراعي هذا إضافة إلى نمو مطّرد في استهلاك الطعام كان يعني زيادة سريعةجداً فيالواردات الزراعية الأمر الذي خلقمشكلة كبيرة لاسيما حين بدأت إيرادات النفط تنضب. الحكومة من جانبها، قلّلتإنتاجالماشية مسجلة واردات إضافية أخرى مناللحوم والأصواف. رغم النزوح الهائل نحو المدن والزيادة السكانية التي كانتتنموباطراد، طبقاً للزيادة الطبيعة[50] إلاّ أنالهجرة التي كانت تركّزت بين الرجال في أعمار العمل أدّت إلى إضعاف الزراعةبشكلواضح. وإذا كانت الحكومة تفضّل الكبير على الصغير في كلّ من المدينةوالريف، فإنها فضلّتالمدن على القرى علماً بان المدينة كانتفي الأصل أكثر ثراءً وأكثر قدرة من الريف. وهذا ما تمت ملاحظته بشكل واضحفيالسيطرة على الأسعار المعتمدة علىالمحاصيل الزراعية التي أسكتت لفترة معينة التذّمر الصريح من قبل جماهيرالمدنالغاضبة هذه. السيطرة غالباً ما تركزت علىتثبيت أسعار منخفضة تُعطى للمنتجين مقابل عدد معين من أثمان المحاصيلالزراعية،ولكنها أدت بالنتيجة إلى تسليط ضغوطأكبر على المداخيل الزراعية نسبةً إلى مداخيل أبناء المدن. مشاكل أخرى بدأاستشعارها من قبل أبناء القبائل والمراعي في الريف.**

**وعلى الرغم مناحتمال نشوء هذه المشاكل عن قبائلالخانات الذين حرّضوا على الثورة المتعلقة بإصلاح الأرض بين قبائل قشقاءوبوير أحمدفي مقاطعة فارس عام 1963، فانأبناء القبائل العاديين كانوا يعانون أيضاً من سياسات الحكومة الزراعية. أبناءالمدينة والفلاحون الأثرياء كانوا أوفر حظاً فيالاستفادة من الثغرات في قانون إصلاح الأرض فراحوا يضعون اللوم على أراضيالقبائلأكثر من لومهم رجال القبائل الذينكان لهم تأثير أقل على السلطات الحكومية، هذا أولاً،وثانياً: أن تأميمالمراعي الذي هو واحد من النقاط المضافة إلى الثورة البيضاء WhiteRevolution كان سحبَ السيطرةالقبائلية على مراعي الحقول، الأمر الذي جعل القبائل باستمرار عرضةً لنزواتبعضالشخصيات الحكومية ورجال السياسةوكذلك ملاحقة جلاوزة الدرك والجندرمة.**

**الزراعة والمشاريع الأخرى التي اتّسعت على حساب المراعي ورجال القبائل كانت أقلّبكثير لأن تدعم نفسها بوجود رعويبدائي. في السبعينات، اقتنعت الحكومة أو أُقنعت من قبل رجال الأعمالالأمريكان، إنهبدلاً من الإعتماد على المواشي البدويةلتوفير اللحوم للإيرانيين، فان الحكومة بإمكانها التوقيع على عقود ضخمةلشراءاللحوم والدواجن والمنتوجات الحيوانية معمعداتها المستوردة الباهضة الكلفة كالعلف والقطعان من الخارج ،فصار مثلهاهذا مثلتلك المشاريع الزراعية الضخمة التيكانت باهضة التكاليف ولكنها غير منتجة، فضلاً عن تفضيل الإيرانيين للحومالطازجةولحوم الأغنام على لحوم البقر واللحومالمستوردة المجمدة التي فرضتها عليهم السياسات الحكومية. محمد رضا شاهكأبيه، انتهج سياسة توطين البدو، ولكن ليس بالقوة أو السلاح وإنمابحرمانهم من مصادر المعيشة، الأمر الذيألزمهم أن يصبحوا مزارعين أو يدخلوا في صف الطبقات الكادحة أو ينتقلوا إلىالأحياءالفقيرة في المدن.[51] وكما هي قضيةالمزارعين وحقولهم ،شعر النظام بأن البداوة مسألة ليست مستحدثة كما حاولالنسقالأمريكي الإيحاء به في الحقول الحيوانية. وهكذا استفاد الأثرياء الإيرانيون والأمريكان من المحاولة الأخيرة. في كلتاالحالتين، ان طريقة العيش التي تعلمها عموم الناسفي الاستفادة الهامشية من المصادر، والتي يمكن تحسينها أو إنعاشها بعملياتاختبارية،تم التضحية بها لحساب الاستفادة منالمبيعات للواردات الغربية الحديثة غير المناسبة.(منذ سنة 1979 عاد بعضالبدو إلىأراضيهم التي أُخذت منهم، وان الفصلالأخير في هذه المعركة القديمة سيُكتب في ما بعد). الصغار. إصلاح الأرضربما لم يكن له أهداف اقتصادية أولية ولكن الهدف الرئيس هوتحجيم سلطة مالك الأرض من جهةواستدراج المزارعين والبدو إلى السيطرة المباشرة من جهة أخرى، وهذا ماتمّإنجازهفعلاً. المحيط الصناعي كان مرتبطاً بشكل أو بآخر مع الخطط السنوية الخمسيةلإيران أكثر منارتباطه بالتحولات الزراعية الكبيرة (إصلاح الأرض على الخصوص، لم يكن مقترحاً في الخطة التي غطت الفترة التينُفذتفيها)، وان نواقص الخطة الخمسيةالأولى تمت ملاحظتها آنفاً.الخطط الأخيرة أصبحت مقترنة مع التقنية الحديثةودائرةالموظفين ،وتدريجياً المستقلّة ومنظمةالميزانية والوزراء الذين كان من المفترض بهم تنفيذ المشاريع العامة وعدمإيثارهمالإهتمام بمشاريعهم الخاصة. لقد كان هذاسبباً مهما للتراجع وفقدان الحالة التعبوية المطلوبة. في نهاية الخمسيناتكان هناك مكتب اقتصادي تمّ انتدابه لتنظيم الخطة بمساعدة مجموعةمن المشرفين الغربيين في جامعةهارفارد. التقييم العام الوحيد الذي تم طبعه من قبل أحد أعضاء هذا المكتبكان فيمجمله سلبياً ويدور حول منهج التخطيط فيإيران، كما أن الملاحظات التي تم تسجيلها حول الخطوات التقدمية الرئيسية فيهذاالبلد في النصف الثاني من هذا القرن، لمتكن لتحصل لولا التوجه القومي، مثل زيادة السيطرة على النفط والتعريفةالگمرگيةوالعلاقة مع الأجانب[52]. ومن هنا يأتيالتحذير أو ضرورة اليقظة تجاه ما يُسمى التخطيط في إيران. كان النظام فيالحقيقة يتبّع ستراتيجية اقتصادية عامة، متأثرة جداً بالزيادةالمطّردة لواردات النفط. ومع هذا فان من المحتمل جداً، أن تكون النسبةالأكبر من هذه العامة وتستخدم التقنيةالحديثة لتأكيد تقدم اقتصادي واجتماعيعاجل. إنّ إدارة الشاه غالباً ما كانت تؤكّد في الحقيقة على السياسات الاقتصادية.**

**الإستراتيجية الحكومية تجاه الاقتصاد منذ الستينات تضمّنت تطوراً سريعاً باتجاهاستيراد الصناعات البديلة والتأكيد علىالمشاريع الكبيرة التي تتطلّب توفير أيدي عاملة وتكنولوجيا معاصرة. ورغمالانهياراتالقليلة التي طالت التجارة والمشاريعالمتواضعة ،فقد تم تشجيع قروض بفوائد ضخمة لكلّ من الشركات المحليةوالأجنبية، فيمابُذل القليل من الجهد حيال تلك الرؤىوفي درجات واطئة لموازنة الاقتصاد. السياسة المذكورة تمّت الموافقة عليهامن قِبلَ البعض وفقا للنظرية القائلة، بأنالمراحل الأولى من التنمية كتوزيع الدخل لابد منتحمّل مساوئها الابتدائية، وان أولئك الذين هم في قمة الميزان، يجب تفضيلهمماداموا يوفرون ربحاً أكثر ويحققون إنتاجاً اكبرمن أولئك الذين في القعر. النظرية المنافسة على الأقل في المرحلة التيوصلتها إيران تستدعي مساواة أكبر فيالدخول المطلوبة وذلك لتنمية الدعم الذاتيلاسيما حين يكون سوق الاستهلاك الجماهيري غير قادر على تمكين الناس مناسترجاع ماأنتجوه من أرباح، وهذا نادراً ماحصل. إن سعي النظام نحو حجم أكبر أو دور أكبر مما ينطوي عليه من قوة أيةضرائب تنازليةأخرى. إن الحكومة تستطيع أن تدبّرالأمور بدون ضريبة الدخل ولكنها لم تحاول جادةً استخدام قانون الضرائبكوسيلةلضريبة عادلة ومنصفة كما أنها لم تعمل علىإحصاء جباة الضرائب ولا ضرائب المواطنين إلى اليوم، وربما يستمر ذلك حتىعندمايتوقف النفط عن التدفّق. بكلام أكثر جدّية نقول: إنّ الزخم الممنوح من قبلالنفط والذي أدى إلى الازدهارالدراماتيكي للإقتصاد الإيراني من عام 1963إلى أواخر السبعينات مع ارتفاع الدخل الفردي من 200 دولار إلى 1000 دولارفيالواقع، أي بأعلى نسبة ارتفاع حصلت فيالتاريخ الحديث لقطر صغير، فإن فارق الدخل بين الأغنياء والفقراء لم يقلّلوإنماعلى العكس، فالأرباح استمرت مكدّسة بأيديالطبقة العليا، وهذا عائد بطبيعة الحال إلى سياسات الحكومة العاجزة. فيمجال الصناعة، فضّلت السياسات الحكومية، على الأقل منذ الستينات كلاّ منالإنتاجالخاص للمستهلك، الباهض التكاليفنسبياً، قياساً لمنافسه الأجنبي الكبير السوق المركزي في طهران، وركّزتكذلك علىالمشاريع الاقتصادية داخلطهران وقريباًمنها. وهذا ما ساعد الإيرانيين والمستثمرين الأجانب الذين أصبحوا قانونياًأحراراًفي إعادة جدولة فوائدهم. (الاستثماراتالأجنبية المباشرة خارج النفط، لم تكن ـ على كل حال ـ كبيرة جداً، ،فيماكانتالمبيعات الأجنبية ودوائر الموظفين أكثر أهمية). بسبب وارداتها النفطية،أعلنت الحكومة ضرائب صناعية لدعم صناعات معينة بل هي نفسهاراحت تبني مصانع وتؤسس بنىتحتية لمصانع كبيرة، وكانت الحكومة قادرة بارتكازها على عائدات النفط أنتدفع رواتبعالية إلى أسراب المدراء والموظفينالكبار، وبذلك تُمكّنهم من شراء قدرات المستهلِك المستهلَك. إن الإجراءاتالحكومية تضمّنت تعريفة عالية لحظر بعض المواد المستوردة أجل وضعسياسة معينة للتصنيع، ولكنالتعريفات هذه نادراً ما خُفضّت، الأمر الذي أدى إلى تقليص حافز الخبرة، أوتوجيهرأس المال نحو تلك الفروع الإنتاجيةالأجنبية التي تستخدم الثروات المحلية أو تبددها. أنواع عديدة من السياراتتمإنتاجها أو تجميعها، بينما هناك العديد من البضائعالتي يمكن أن توضع في دائرة النفع العام كالمصانع الصغيرة كانت إما مستوردةأويدوية أو محدودة الكمية. التعريفات المخفضّةيمكنها أن تعقلن الإنتاج، بتقليل إنتاجية السلع المعقّدة التي تتطلب عناصرمستوردةكثيرة مقابل إنتاج المواد البسيطة والبضائعالشعبية التي تحتاج تعريفة أقل إنتاجاً وصناعةً كما إنها أقل ثمناً نسبياً. بكلمةأخرى إن إنتاج البضائع الرئيسية كان يمكن أنيُدعم بسياسات تعريفية جديدة. لقد صُمّمت سياسات الإئتمان لتأهيل المشاريعالكبرى على أسس سياسية، وكان الأثرياءالإيرانيون والأجانب هم الذين يمتلكونها أو يديرونها. النسب المدعمة بدرجة ما تحت سعر السوق كانت متوفرة فقط لهذه المشاريع،فيما كان أصحاب المحلات الصغيرةوالعمال اليدويون محرومين حتى من القروض المصرفية المتواضعة ما دامتمصانعهم لاتقدّم ضمانات كافية لقروضهم. بلكانوا على العموم مرغوب بهم في المسح الرسوم المصرفية العادّية البالغة 12بالمائة،وبالتالي كان عليهم الاقتراض من البازاربرسوم عالية قد تصل إلى 25 و 100 بالمائة. استخدام أكبر، ونسبة أقل فيتفاوت الدخلكان يمكن تحقيقه في سياسة قروضمضادة برسوم جمركية أعلى مخصصة للصناعيين الكبار ورسوم مدعومة إلى الملاكالصغار. (إن الصعوبات الكبيرة فيالحصول على قروض مصرفية ،كانت سبباً وارداً من أسباب الهجمات الجماهيريةعلى البنوكعام 1978 وإن كانت أسباباًأخرى قد ذُكرت). ضرائب العُطل والمناسبات بأنواعها المختلفة كانت مُنحتلدعم مسافة 120 كم من طهران. وعلى الرغم من أن الشركات ليست بحاجة إلىترخيص قانوني لكي تؤدي عملها، إلا أن كلّشركة محدّدة صار لابدّ لها منترخيص للاستيراد والتصدير أو التعامل مع الحكومة. الترخيص الحكومي كانيُمنح فقطلعدد قليل من الشركات في كل حقل. إذ أن وجود هذه الشركات النظري المنطقيالرئيسي صار مرهوناً بإبقاء الحقل دون مستوىالضغط، وعلى المصانع ألاّ تُجهَدبحيث تبقى تعمل بكامل طاقتها. إن الحاجة إلى الحصول على الترخيص والاحتفاظبه، كماهي القواعد المعمول بها في حكوماتأخرى، كان يفترض وجود الأشخاص الرئيسيين داخل الشركة حيث يصرفون معظمأوقاتهم فيطهران لتدريب واحد أو أكثرمن المتفوقين وذلك من أجل ضمان إيصالات الترخيص والمطالب المهمة الأخرى. وفي إطار التراخيص والقضايا الأخرى المماثلة، كانت هناك قصص وحكايات موثقةقدانتشرت حول الطبقات العليا منالإيرانيين (بضمنهم الأميرة أشرف وولدها شهرام)الذي كان يأخذ 10 بالمائة منشركةجوارب مقابل ضمانة يقدمها لاستحصالتراخيص عمل. هذه الممارسات، مضافاً إليها، ممارسات غير مسؤولة أخرى ذُكرتآنفاً،وظواهر عديدة أخرى مماثلة أدّتبالضرورة إلى زيادة أسعار مبيعات البضائع الإيرانية الأمر الذي أدى إلىتحديدصناعتها المحلية وزيادة الطلب على السوقالأجنبية، أنهم هكذا تم تشويه توزيع الدخل. الانحطاط المعنوي الذي انتشرمع نموّ عائدات النفط، يُعتبر عاملاً آخر لدفع الثرواتصعوداً أو هبوطاً. الأمر الذي جعلالملومين أكثر عرضة للمساءلة ورقابة الخواص. يُضاف إلى ذلك أن تنامي ثروةالشاه رغمالهبوط الاقتصادي في السبعينات،وكذلك ثروة عائلته الخاصة. ومعهم النخبة، كانت كاسحة ومجّة بشكل أضافللمعارضةعاملاً جديداً أو ذريعة من ذرائعالاحتجاج والتذمر. العديد من الشركات الأجنبية كانت هي الأخرى في سجالاتالأخذوالردّ بين الأفراد والجماعات. بالنسبة للرأسمال الأجنبي، وعلى الرغم منأن الأجانب كان بإمكانهم قانونياً امتلاكحصة قليلة فقط في المصانع الإيرانية، وانهمكانوا يتعرّضون إلى مضايقات، إلاّ أنهم كانوا يستثمرون فوائدهم بحرية تامة. بحوثموجزة مهمة لعدد من المستثمرين الأجانبزعمت بأن الفائدة على رأس المال البالغة 30 بالمائة كانت مسألة عادية جداًفيإيران. الاقتصاديون الذين عرفوا البلد غالباً ماتكلموا عن نسبة 50 بالمائة، والفوائد في التجارة والصناعة بلغت 100 إلى 200بالمائةبعد أن لم تكن معروفة، ومن هنا فإننفور رجل الشارع التقليدي لاستثمار الصناعة ذات النفع القليل في الشرقالأوسط مهّدالطريق أمام الازدهار الصناعي بعدالتركيز على جمعيات السلع الاستهلاكية، التي استهدفت بشكل رئيسي الثريالمكبوحنسبياً. إلا أن مثل هذا الازدهار حمل معهمشاكل كبيرة أيضاً. الإستثمار الأجنبي في إيران كان أقلّ بكثير مناستيراد البضائع الأجنبية، كما إنالتعاونيات الأجنبية دفعت رغبة الشاه وولعهبكل جديد ومتطور إلى حدّه الأقصى. على صعيد التسليح، اشترى الشاه أحدثأنواعالأسلحة بمليارات الدولارات، وغالباً ما قيلانه اشتراها وهي في طريقها مشحونة إلى مشاجبها. كان يستورد أرقى أنواعالكومبيوتراتتقنيةً مع لوازمها وقطع غيارهاإضافة إلى معامل شبه أتوماتيكية. كما أصبحت إيران سوقاً هائلة للحبوبالأمريكية،والتي كان بعضها يستخدم لإطعام المواشيالأمريكية المستوردة والدواجن التي أصبحت هي الأخرى بديلاً عن المواشيوالشياهالبدوية الإيرانية ـ بطبيعة الحال ـ. المعدّات الأجنبية المتطورة كانتتتطلب تقنية وإداريين وخبراء أجانب ومعهم عمالراحوا ينهمرون على إيران في السبعيناتبالعشرات أو بالآلاف. الأمريكان والأوربيون كانوا يتركزون في المواقعالعليا لأجهزةودوائر التقنية هذه. أما خبراء الشرقالأدنى فكانوا يمثلون مواقع العمال الماهرين فيما جاء الأفغان في المرتبةالأخيرةلإدراة الأعمال العادية وكانوا سبباً في خفضالأجور. الخبراء المهرة الأجانب على العكس كانوا يحصلون على رواتب أعلى منالإيرانيين، وفي بعض الأحيان أضعافمضاعفة. وبهذا، وبالإضافة إلى سلوكياتهم الشاذة ودفعهم الكثير مقابلالإيجارات والسكنالنادر فإنهم أصبحوا موضع نفور الناس ومدارازدرائهم. في سياق هذه السياسة الصناعية وضمن تفضيل الفوائد الضخمة منقبل عدد قليل منالصناعات الرأسمالية المشجعة راحتالحملات الإعلامية ضد (المنتفعين) تجري في غير صالح أصحاب الأسهم وعمالالمصانع،وصار لزاماً أن يُعاد النظر في هذهالسياسة وان تُقيّم من جديد. مثل هذه المقاييس كانت إما كبش فداء أوملطّفات فيمواجهة ارتفاع الفوائد، وتفاوت الدخول،والتضخّم المتصاعد، والخراب، والفشل في مواجهة وعود الحكومة في اقتصاد أعظمأومساواة اجتماعية أكبر. وعلى طولسياسات معينة أخرى، فإنها كانت مصممة لتسكين التذمر الذي تجلّى من خلالإضراباتمتكررة وغير قانونية وغير مسموح بهاانضم لها عمال المصانع. ومن خلال تفضيل الحكومة للعمال في المعامل الكبيرة،ومنحهمامتيازات الأسهم والمقاييس الأخرى،كانت على كل حال، أقل دراماتيكيةً من الإعلانات التي أظهرتها، وكذلك منخلال رفعأجور العمال المتفوقين، والعمال فيالمعامل الكبرى ومتاجر معينة، أصبحت كل جماعة مفضّلة نسبيا على أخرى فيأواسطالسبعينات. إنّ المرء لا يستطيع أن يقرّر بأن الجماعات المعتبرة من العمالالذين كانت أجورهمتتضاعف في سنين قليلة نماذج علىالطبقات الجماهيرية في المجتمع، فبالنسبة إلى المعتقلين والتجار المقصيينكان تجارالبازار أو منتسبي الأقليات أقل ترجيحاً منأرباب العمل الأثرياء الجدد. كل هذا لا يعني أنّ سياسات الحكومة الصناعيةتمخّضت فقط عن نتائج سلبية، وإنما كانتهناك بعض الملامح الايجابية، إذ أندرجات النمو الصناعي كانت واحدة من أعلى الدرجات في العالم، وقد ارتفعتأكثر معارتفاع عائدات النفط الهائلة منذسنة1974. الذي استمر موضع تساؤل هو استمرار سياسة تفضيل نموذج الصناعةالغربي،إضافة إلى عدم الاهتمام بالأعمالاليدوية والصناعات البسيطة التي تساهم في الإنتاج، والاستخدام المنصفومساواة أعظمفي دخل الناس، وكذلك تفضيلالاستثمارات الأجنبية ونموذج الإنتاج الذي يتطلب حضوراً أجنبياً هائلاً عبرالتوقيععلى مشاريع استهلاكية ثقيلة ،كل ذلك كانمستمراً وقد ساهم في مركزة السوق الوطني في طهران وفي تطوير نوعي كان يعنيالبديلالمستورد الذي قاد إلى ارتفاع كبيرفي واردات الغذاء ومعها البضائع المهمة والعديد من السلع الاستهلاكية. وبهذا فقدلوحظت العديد من المشاكل من قبل المخططينالإيرانيين، مثل التمركز السكاني الزائد عن الحدّ في طهران ومدن كبيرة أخرىفضلاًعن استيراد عدد كبير جداً من السياراتوالبضائع الترفية التي أدّت إلى اعتماد اكبر من الحدّ على الأجانب. وفوق كلّ ذلكأدّى إلى تنامي وتزايد الفروق الطبقية فيالدخول وتوزيع الثروة، وهي أمور كانت تُغذّى من قبل سياسات الحكومةالخاصة.[53] مع ما ذكر، لم يعد مدهشاً أو عجيباً الحديث عن اتساع فجواتالدخل بين الناس فيالستينات والسبعينات. وعلى الرغم من عدموجود مسح عام أو مخطط جيد لدراسة الدخول فقد كانت هناك مخططات الإنفاقالعائلي،وعلى هذه القواعد والمرتكزات وضعالاقتصاديون الإيرانيون والأجانب دراساتهم مع نفس الاستنتاجات.**

**باختصارومنذ الستينات، كان تفاوت الدخل في إيران، والذيكان هائلاً جداً قياساً بالميزان العالمي، قد زاد وكانت هذه الزيادةدراماتيكية بعدسنة 1974، أي بعد ما ارتفعت أسعار النفطارتفاعا هائلاً.إن حجم وزيادة التفاوت في توزيع الثروة في إيران أصبحملحوظاً وكانالتساؤل المطروح في ما إذا كانتالمقارنات تجرى بين الأعلى والأدنى، أو أن تؤخذ مقاييس أخرى في تشخيصالانحراف فيميزان التوزيع. بالإضافة إلى ذلك،أن دراسة إيرانية مهمة أجريت تبين الزيادات في التفاوت الطبقي في جميعالكياناتالرئيسية في البلد بين الأعلى والأدنى، بينالمدن والريف، في داخل المدن، وداخل الريف أيضاً.[54] كل هذا حصل معالتأكيدات المتكررة من قبل الحكومة وتصميماتها المزعومة لتقليص هذاالتفاوت. ومع ذلك، وفوق كل شيء، كان معروفاً أنّ الأغنياء قد تمّ دعمهمبأموال النفطوالواردات الحكومية الأخرى، فيما كان الفقراءيعانون الأمرّين. وهذا لا يعني حرفياً أن الفقراء ازدادوا فقراً، فمعإقرار الزيادة الهائلة في دخلالفرد، فان الأثرياء أصبحوا أكثر ثراءً وعدد منالفقراء أصبحوا بعض الشيء أكثر ثروةً. نعم، ظهر الفقراء أو الطبقة الفقيرةبمستوى دخل منخفض، ومع ذلك، وحتى في حالمضاعفته إلى ضعفين أو ثلاثة فان دخلهمالجديد هذا لم يوصلهم ولا بأي شيء أو حدّ لمستوى الطبقات العمالية فيأوربا. إنهمكانوا يشاهدون أيضاً استهلاكاً واضحاً للنخبةالمحظوظة حولهم، وهذا ما شكّل تذمّراً أرفع صوتاً وأمضى أثراً. الأنماطالاستهلاكية المدعومة من قبل هذا التوزيع غير المتكافئ وجنباً إلى جنب معالنمو المتأرجح لواردات النفط بعد عام 1973 ساهمَ في إيجاد جملة من المشاكل الوطنية والقومية للبلد منها: ضرائبمستمرة ومتزايدة على الواردات، توجيه الاقتصاد نحو الاعتماد على الأجانب،التسرّب الهائل للسكان داخل المدنالمزدحمة، حاجة ماسّة إلى كلفة سكن واطئة في المدينة قبال الأسعار الضخمةللإيجاراتالمتفاقمة التي يدفعها تنامي حضورالأجانب وأجورهم المرتفعة، كل ذلك زاد في رفع الأسعار، كما زاد في مخاوفارتفاعأجور السكن. إن توزيعاً أكثر اعتدالاًللدخل يمكن أن يُدعم بالاتجاه نحو سياسة اقتصادية لا مركزية وزياة نشرالسكان،ويمكن أن يوجد سوقاً للبضائع بعائدات إيرانيةأكبر. إن السياسة التي تفضّل المزارعين وصغار المنتجين يمكن أن تدعمالإنتاج وتوفّر فرصالعمل وتشجّع انتشار السكان وخاصةإذا كانت الصناعات اليدوية الصغيرة مدعومةً في القرى أو قريباً منها. الاستثماراتالمتنوعة فقط التي تضمّ المدن والقرى يمكنأن تستوعب إنسانياً كافة حاجات السكان الإيرانيين المتزايدة والمتنامية. الصناعات الكبيرة ضرورية، ولكن الصناعات الصغيرة هي الأخرى مطلوبة لهذاالغرض. في أواخر عام 1973 عزز زيادة الإنتاج مصحوباً بزيادة مئوية مطّردةفي ميزانياتالدولة يرافقه ارتفاع متواصل لمستوىالمعيشة وصل إلى نسبة 88 بالمائة. في أواخر الستينات ، أصبحت إيران قادرةعلىالتفاوض مع الشركات المالية الكبرى،فارضةً سيطرتها على مستويات الإنتاج والتسعيرة، تاركةً صادرات مضمونة إلىهذهالشركات من أجل التسويق. ورغم ما فيهذا من عودة إلى التأميم الجزئي، إلاّ أنّه لم يلحق ضرراً بالشركات أوالاتحاداتالمالية، بل على العكس ـ أنها استفادت بشكلكبير من أية زيادة في أسعار نفط الـ أوبك. في عام 1973، أدّت الحربالعربية ـ الإسرائيلية إلى إقدام العرب على قطع إمداداتالنفط عن الممولين الغربيين الذين يزودونإسرائيل بالنفط وكذلك إلى زيادة أسعاره بشكل مضاعف.في ملتقى أوبك عام 1973ساهمالشاه بنجاح في مضاعفة أسعار النفطبدعوى وجيهة مفادها أن أسعار هذه المادة بقيت قليلة قياساً بجميع الموادالأخرىالمماثلة التي ارتفعت أسعارها. بعد ذلك أطلقالشاه عبارته الشهيرة بأن إيران سوف تصبح واحدة من الدول الخمسة العظمى فيالعالممع معدّل عال للدخل مساوٍ لأفضل ماموجود أو معروف في الدنيا. يبدو أنّ الشاه لم يكن مدركاً بأن هذا الكمّالهائل منالدخل القومي لا يمكن قذفه في الاقتصادالإيراني دون نتائج جديّة لاسيما في ما يتعلق بمسألة التضخّم والانكماشوتسخينالاقتصاد. في أوائل عام 1974 ترأس الشاهمؤتمراً رسمياً ووقف أمام معارضة ضعيفة يقودها بعض المخططين، مؤكّداً علىتوسعةبرنامج الصرف لدعم الخططالخمسية[55]. الطريف أنّ الشاه لم يكن مأخوذاً بانتصاره في أوبك ونتائجهافي إيران. فالبرنامجالموصوف آنفاً يركّز على الصناعة الضخمةوالزراعة، مع ما يرافق ذلك من هجرة غير عاديّة إلى المدينة ونقص حاد فيخدمات السكنوالبضائع والخدمات الأخرى الأمرالذي زاد فعلاً من مفردات الأزمة. النقص في المواد الغذائية في المدن،فقدانالسيطرة، ازدحام المرور، الكثافة السكّانية، التلّوث،كل ذلك جعل الحياة صعبة للغاية، فيما تعالت أصوات معارك سجالية وأخرى ماديةفيالشوارع كأدلة واضحة على شدّة الأزمةوضغطها المتفاقم. كما أن ولع الشاه غير المحدود بشراء كميات كبيرة ومن آخرمبتكرات الماكنة العسكريةالغربية بما فيها من معدات وآلات حربيةمتطورة وبلا حدود أو كوابح ومنذ سنة 1972 جعل تصريح إدارة نيكسون صحيحاًبأن الشاهسيكون شرطي الخليج أو هوشرطي الخليج فعلاً، وخاصة حين وافق الأول على بيع الشاه كل ما رغب ويرغبفيه منأسلحة غير نووية. الحكومات الغربيةوالتعاونيات، فضلاً عن الولايات المتحدة جميعها كانت مسرورة لأن تبيع كلشيء معاعتبار لا قيمة له، ولا تقدير لكل العواقبالمترتبة على ذلك. إنّ رغبة بل لهفة الغرب لكي يبيع معدات عسكرية ببلايينالدولارات إلى إيران كل عامكان مؤيَّداً بسبب الاستنزاف الاقتصاديللغرب، والناشئ عن ارتفاع أسعار النفط في دول الأوبك. ظهرت مبيعات الأسلحةكأفضلطريق لموازنة خلل البترو دولاروإعادة التوازن. بعد الانسحاب البريطاني من الخليج، كانت الحكومتانالبريطانية والأمريكية سعيدتينبرؤية إيران تتحول إلى شرطي فيالمنطقة أو إلى شرطي المنطقة، لقتال اليساريين، حيث كانت توجه الثوار فيعُمان فيمحافظة ظفار، مهدّدة القوى المختبئةالمزعجة الأخرى التي تقف على الخط. وقد زوّدت بريطانيا إيران بدبابات شيفتنبعددأكبر من ذاك الذي تمتلكه في مشاجبهاالعسكرية الخاصة. أما أمريكا فقد مكّنت الشاه لأنْ يكون الشخص الأول الذييشتريأسراباً من الطائرات المقاتلة المتطورة،وغالباً قبل أن تدخل ميدان الاختبار وحتى الانتهاج. كما شرعت إيران ببناءشبكة مخابرات الكترونية أمريكية التصميم ترافقهم عوائلهميذهبون إلى إيران مساهمين طبعاً في رفعنسبة التضخم فضلاً عما كانت تثيره تصرّفاتهم غير المألوفة بين الإيرانيينمن ازدراءواحتقار. المجهزون العسكريون الأمريكان أمثال گرومان ولوك هيد ويستنج هيداحتلوا مواقعأساسية في النظام الاقتصادي. العديد منالمنتجين الإيرانيين المغمورين، وبعد تدريب باهض الكلفة تقنياً، وجدواأنفسهمتدريجياً منخرطين في القوات المسلحة وفي بناءمشاريع لإنتاج الأسلحة وإنشاء القواعد البحرية العسكرية، وضمن تسهيلات نقلواستيرادمتواصلة للمواد العسكرية والحربية. نظام الإسكان الجديد يبدأ، وخاصة بعد استخدام الإسمنت الذي لم يُسمح بهقانونياً فيالبداية وكان محاصراً ويستحيل الحصولعليه بسبب الطلبات الكبيرة عليه وعلى المواد الإنشائية الأخرى التي تمّاستنزافهافي تشييد وبناء المثابات والمقرات العسكريةالضخمة. ومن هنا يمكن القول أنّ أزمة السكن وارتفاع أسعار البيوت ارتبطتارتباطاًوثيقاً مع سياسة الصرف على العسكروالأجانب والإرادة الأجنبية القادرة على دفع إيجارات أعلى، الأمر الذي زادالأزمةتعقيداً. إنّ التشديد على المشاريع المعقدة والكبيرة ازداد، وبما أنه لميكن هناك أي برنامجكاف للتثقيف والتعليم التكنولوجي، ولم يكنهناك عدد كاف من الخبراء الإيرانيين المتمرسين على هذه الأعمال وأقلّ منهمفي مجالالإدارة والقدرة العلمية، فقد بدأ توريدالأجانب وتنامي أعدادهم التي ساهمت في تعقيد أزمة الازدحام والعوز والقلقوالتضخم،كل ذلك مصحوباً بمشاعر عدائيةمتنامية ضد الأمريكان أينما حلّوا ورحلوا. الغربي عن التحديث وآثاره. إنّالمسألة المهمة هو كيفية إجراء التحديث وليس فيه، وكذلك النتائج المترتبةعليه[56]. الاجتثاث الثقافي كان هو الآخر عاملاًمهماً في أواخر السبعينات عندما يبدأ تحدّي التغريب بالأفكار والقراءاتالشيعيةالثورية الجديدة، المقترنة على وجه التحديد مععلي شريعتي (انظر الفصل 8). بينما كان بعض الأمريكان يضغطون على الشاه،وحتى بعد شروع بعض الموظفين الحكوميينبسياسة نقده بعد إصراره علىزيادة الأسعار في اجتماع دول الأوبك، فان فوائد مالية ضخمة لرجا لأعمال فيالولاياتالمتحدة ظهرت أكثر التصاقاً بل أكثراعتماداً على نظام الشاه من أي وقت آخر. كانت هذه أقرب إلى الحقيقة في ثلاثإشاراتحقيقية في دائرة العمل الأمريكية: التسليح، والنفط، والسياسة المصرفية. إنتاجية التكنولوجيا المتطورة وصناعةمعدات المحاصيل الزراعية، والبضائعالاستهلاكية كان لها سوقاً رائجة في إيران. البرامج الصناعية التقدمية الكبيرة في إيران كانت في أكثر من حالة مسؤولةعن كفالةودعم المصنّع العسكري الأمريكي، إذكانت تستدعي مبالغ طائلة وبشكل غير قانوني في أغلب الأحيان للعب دور اللوبيفي ساحةالعمل الإيرانية.[57] شركات النفط الأمريكية المتعددة سجلّت مجتمعةً 40بالمائة من المبيعات الاستهلاكيةالكبيرة في إيران كثاني أكبر مصدّر نفطيفي العالم، مستفيدة من إيران بشكل مطّرد، وكذلك من أسعار النفط المرتفعة. وأخيراًفان هناك العديد من البنوك الأمريكية كانتاستلمت وساعدت على استثمار مبالغ ضخمة من الأموال الإيرانية من الحكومةالإيرانيةنفسها ومن الودائع والاعتمادات المرسلةإلى الخارج من قبل الشاه وحاشيته وغيرهم من الأثرياء الإيرانيين، وكذلكمؤسسة بهلويالتي كانت تمثل جبهة خيرية، متقدمةًالعديد من الاستثمارات الإنتفاعية الخاصة. البنوك الأمريكية هي الأخرى قدمتقروضاًوبفوائد عالية للبنوك الإيرانية، وامتلكتأسهماً في ميدان العمل في البلاد. تأسيساً على ذلك، وعلى فوائد العملالغربية الأخرى وكذلك الرغبة الانكلو ـ أمريكيةلتوظيف إيران ستراتيجياً في منطقة الخليجضد روسيا وضد أي إزعاج محتمل لحركات راديكالية حدودية في الأقطارالإسلامية، لم يعدعجيباً بأن نرى ممثلي الولاياتالمتحدة في إيران يتوافدون وبشكل كاسح وبرغبة الشاه المقررّة سلفاً. هؤلاءلا علاقةلهم مع المعارضة لا من قريب ولا منبعيد، أي أن المعارضة بدأت تنشأ بوجودهم ودعمهم للشاه ودعمه لهم وأنها، أيالمعارضة، بدأت بتجمعات صغيرة وغير مهمةمن الماركسيين والمتشددين الدينيين في بداية الأمر. على الرغم من الهاجسالذي فرضتهالولايات المتحدة بزعامة كارتر علىإيران الشاه بخصوص انتهاكات حقوق الإنسان، فان الحكومة الأمريكية ورجالالأعمالالأمريكان الرئيسيين كانوا غير راغبينفي إحداث تحول جذري في التوجّه الإيراني بقصد عدم تحجيم أي شيء من شأنه أنيقدمفائدة أو نفعاً للولايات المتحدة، أو حتىبناء اقتصاد مستقل تكتفي به إيران ذاتياً. رجالا لأعمال الأمريكان والحكومةالأمريكية كانوا يفضلّون أن يبقى الشاه دون أيقاعدة جماهيرية حقيقية ربما سيقلل تأثير الهيمنة الأمريكية والسياسيةوالاقتصاديةعلى مقدرات إيران، وقد تغيّر رأي الإيرانيينتجاه الحكومة الأمريكية خصوصاً والسياسة الأجنبية على وجه العموم. الإصلاحاتالوحيدة التي كان يفضلها الأمريكان أويرغبون في تحقيقها هي تلك التي لا تمسّ مصلحة أمريكا وربما تدفع إيرانلتغييرسياستها النفطية الإستراتيجية الثابتة تجاهالولايات المتحدة وكذلك عدم تغيير سياستها الاقتصادية. نضيف كلمة موجزةعن التحوّلات السياسية الرئيسية منذ سنة 1963 والتي استمرت حتى عام 1977 ولم يطرأ عليها أي تغيرمهم أو جديرة بالذكر. فمن بداية الخمسينات أو أوائل الستينات: كما هو حزبالمليونلإقبال الذي لم يُعترف به بسبب الإخفاقالتام في أوائل الستينات، فان حزباً جديداً سُمّي إيران نوين (إيرانالجديدة) تمإنشاؤه بدعم من الشاه.اشتهرت بعض قياداتهبارتباطها بالماسونية التي يتهمها الإيرانيون بالارتباط مع بريطانيا. رئيسالوزراءالأول في هذا الحزب، حسن علي منصور،مثله مثل أميني وعلَم من عوائل إقطاعية ثرية قديمة. حكم منصور من آذار 1964إلىيناير 1965 فقط، عندما أُطلق عليهالرصاص من قبل أحد الإرهابيين الدينيين. كانت هناك محاولة مشابهة استهدفتحياةالشاه عام 1965. قائد آخر في هذا الحزب، وهو أمير عباس هويدا، تم تعيينهكرئيس وزراء عام 1965محتلاً هذا المركز لمدة قياسية وفوقالعادة، إذ بلغت 5/12 عام، وذلك بسبب الحاجة إلى رجل قوي قادر على حلالأزماتالمالية والسياسية في تلك الفترة. فكانالنجاح الملحوظ الذي حققته الحكومة في سياستها الاقتصادية والاجتماعية،وكانت قدرةهويدا جليّة في تنفيذ رغبات الشاه دونأن يظهر نفسه كعامل تهديد لسلطته. في آذار 1975 أعلن الشاه بأن الأحزابالشرعية سوفتظهر في حزب رستاخيز الجديدالمسمّى (resurgence) أي (الانبعاث)(أو الولادة الجديدة) ويتزعمه هويدانفسه. مواصفات عضوية الانتساب إلى الحزب شملت أغلب رجال الحكومة ومنتسبيالجامعات وآخرين (في نفس الوقت، كانتالطبعة الأولى لـ بيوغرافيا الشاه، وتسمى بالانكليزية (رسالة إلى بلدي)، قدسُحبتمنالدائرة الخاصة ،وجاءت طبعة جديدة حُذفتمنها فقرة تقول (أنّ الأقطار الشيوعية والفاشية فقط هي التي استخدمت أوطبقت نظامالحزب الواحد).سُمح لحزب راستاخيز أنيكون ذا جناحين، ولكن كلا منهما كان يرأسه مدعٍ مخلص لخلافة هويدا. وبدلاًمن تعبئةالإيرانيين باتجاه النظام، فإن رستاخيزهذا أضاف تذمراً جديداً واستياءاً آخر. إنّ التنمية الاقتصاديةوالاجتماعية التي حصلت في الستينات والسبعينات، والتي تمنقدها آنفاً، لم تكنبدون ملامح إيجابية ،فوزيرمبكر للاقتصاد في هذه الفترة وكذلك شخصيات عديدة ومتميزة في دائرة البريدوأقسامأخرى تمّت معرفتهم أو تعريفهم مع عددمن مشاريع وإجراءات مفيدة. عدد من الانجازات الصناعية، والبنيوية والتربويةوالاجتماعية جاءت في إطار رخاء أو رفاهالشعب الإيراني. ورغم النظرة الواطئة للمرأة، كما جاءت موضحة في صحيفةجرنلست أوريانان فالاسي، المعروفة، فإن الشاهكان مقتنعاً بأنّ المصالح الاقتصادية، سوف تساهم في تشكيل الصورة الحديثةلإيرانوتثقيف المرأة وإدخالها إلى ميدان العملوالبناء. وكما هو شأن العديد من المنظمات كالاتحادات التجارية ومراكز البيعوالشراءالتي تواجدت فقط تحت سلطة الحكومةالرسمية ،ولكنها مع ذلك عملت على كشف بعض مطالب منتسبيها. وهكذا ظهرتالمنظماتالنسوية المستقلة واندماجها فيمنظمة إيرانية نسوية واحدة تحت وصاية الأميرة أشرف. وبسبب ضغط هذه المنظمةتم التوقيع على قانون حماية الأسرة عام 1967 (أعيدت صياغتهوالمصادقة عليه بشكل أقوى عام 1975). طرح هذا القانون عدداً من الإصلاحات المهمة حول الزواج والطلاقودستورالأسرة الذي كان حتى تلك الفترة مرتكزاًبقوة على الشريعة الإسلامية والقرآن. من أجل جعل هذا التشريع الجديد ذا وجهإسلاميطُبع بشيء من المسحة الشيعية (وبعضالسنية) فيما حُشرت فيه بعض الرؤى الخاصة، كأن تكون عقود الزواج ـ كما قالأحدبنودها ـ أن الزوج لا يستطيع الزواج منزوجة ثانية بدون موافقة الزوجة الأولى. رؤى إصلاحية من هذا القبيل تمّحشرها إذن،في عقود زواج المسلمين. فوفق الدستورالجديد لم يعد الرجل قادراً من جانب واحد على تطليق زوجته، وإنما صارت كلحالاتالطلاق تُرسل إلى المحكمة، وان حقالطلاق للزوج والزوجة أصبح واحداً. أما رعاية الأطفال، والتي هي في القانونالإسلامي متعينّة في الزوج بعد سنّ محددة ربماتختلف حوله مدارس الشريعة، فقد خُولّت في التشريع الجديد لمذاق الحاكموخصوصياتالقضية وحسب رأي المحكمة. لا يستطيع أي رجل أن يتخذ زوجة إضافية أو زوجاتإلا بإذن الزوجة للنظام، ومنسجمينمع الأسلوب الغربي وقيمه المنبوذةفي الوسط الديني التقليدي.[58] مثل هذه الاستعراضات وكما جاء استعراض تتويجالشاهالخاص بالاحتفال الضخم عام 1971في الذكرى الأسطورية على مرور 2500 عام على الإمبراطورية الفارسية (التي لاوجودلها بين 640 و 1501 قبل الميلاد) أظهرت التناقض الحاد بين الثروة غير المحدودة للشاه والتي يستطيع نثرها حولحاشيته،وبين الفاقة والفقر التي يعاني منهاشعبه ورعيته.لقد كان صعباً للغاية تصديق الشاه في إنجاز أي إنجاز ما داميمكنه فعلالكثير بملياراته النفطية (والمقدّرة بـ 20بليون سنوياً بعد ارتفاع أسعار النفط ولكن بدون جدوى)، اذْ كان هناك شيء منحريةالكلام أو النشر أو المعارضة إلا إنهاانتهت فعلاً وتمّ قمعها بلا رحمة، لاسيما بعد بروز تشكيلات حرب العصابات فيالستينات والسبعينات. إن تصفية حزب تودهبعد عامي 1953 ـ 1954، وكذلك الجبهة الوطنية بعد عام 1963، وبعدها نفيواعتقال (الإمام) الخميني وشخصيات معارضةأخرى، كلها ساعدت على تغيير وجه المعارضة. وفعلاً وأكثر من أي وقت مضى لقدتركزتالمعارضة في الخارج بين عشراتالألوف من الطلبة الإيرانيين الذين يدرسون في الغرب والذين ينتمي بعضهم إلىجماعاتيسارية مختلفة، بينما ظهر عدد ملحوظمنهم محاولاً الجمع بين اليسارية في العالم الثالث وقراءتهم الخاصةللإسلام. إنّانتشار أحاديث وأقوال آية اللّه‏ الخميني عبرالكاسيتات والكراريس في منفاه في العراق شجّع المعارضة الدينية على الاتجاهإلىداخل إيران وخارجها. وتضرب بعض الشخصيات العسكرية والخبراء الأمريكان. هذهالجماعات اقتربت من تشكيلتحالف مبدأي انضمّ إليه تشكيلانمهمان اثنان أو فئتان مهمتان هما: فدائيان خلق الماركسية، ومجاهدين خلقاليساريةالإسلامية، وكلاهما أصبحا في نهاية عامالثورة 1987 ـ 1979 أكبر تشكيلين ثوريين منفتحين. النشاطات المسلّحة ساهمتبعض الشيء في زيادة القمع السياسي، والإعتقالات والتعذيبوالإعدامات وذلك في أواخر الستيناتفصاعداً. العديد من أولئك الذين تمّ إعدامهم كانوا مرتبطين بذينكالتشكيلين. من ناحية أخرى، اقتُرح العديد من المعارضين ،أنه ما زالبالإمكان العمل ضد النظامرغم جهازه القمعي المرعب.[59] في نفسالوقت راحت المعارضةالدينية ومعارضة البازار تفصح عن نفسها في معارضتهاللنظامبشكل غير مباشر في الخطبوالاجتماعات والمناسبات العامة. تمّ إلحاق الضرر بالبازار اقتصادياً من قبلالنظام،وذلك بتفضيل المشاريع الكبيرة والحديثةللأجانب على غيرها وعلى حساب مشاريع البازار الذي تحمّل وطأة الهجماتالثقيلة علىالمنتفعين، كما ان الاستقلالالاقتصادي للعلماء باعتمادهم على البازار وتأثير الطرفين السياسي علىبعضهما البعضوكذلك هجمات الحكومة على كليهما،كل ذلك ساعدهما على إيجاد تحالف معارض قوي ضد النظام. إبان عام 1977، كانالتراجع الاقتصادي، والتضخم وزحام المدن وسياسات الحكومة التيأضرّت بطبقات البازار وتفاوتالدخل الصارخ واستهلاك على النمط الغربي الجليّ من قبل النخبة، وافتقادالحريةالسياسية، أو المشاركة في السلطة، كلها كانتمحسوسة ومعروفة وقد خيّبت تكهنات وآمال المسؤولين العديدة الزاعمة، بأنإنفجار (الحضارة العظيمة) كانت قاب قوسين أوأدنى. القمع الشديد للمعارضين العلمانيين سواء كانوا من الجبهة الوطنية أوتودة تركالمجال للمعارضة الدينية كي كانت تُفهمعلى أنها إشارة للطغيان المعاصر، ولم يعُد بالإمكان إسكاتها بعدئذ.[60] إضافة إلىذلك ان ألفة نظام الشاه مع الثقافة الغربيةوالبضائع والرذائل كله سبّب ردود فعل تقليدية حتى بين العديد من المتغرّبينالسابقين، وغالباً ما ارتدتْ ردود الفعل هذه رداءًإسلامياً. الاتجاهات الفكرية والأدبية إلى عام 1960تشكّل ظاهرة (الثقافتين) في إيران سمة واضحة لفترة بهلوي، وهما ثقافةالنخبة وثقافةالجماهير ،وهذا ما يمكن ملاحظته فيأوساط بدائية وعلى أصعدة عديدة: في اللباس والبيوت مثلاً وأسلوب التأثيثووسائلالنقل وحضور المساجد، كما إنها تظهر فيالأشكال الأدبية في «ثقافة الجمهور» والتي كادت تنتهي في القرن التاسع عشروما قبلهبين هذه الطبقات.مثل هذه الثقافةالجماهيرية تشتمل على الحكايات الشعبية الواسعة الانتشار والتي هي الآنالأكثرأهمية بالنسبة للطبقات الفقيرة في المجتمعوخاصة في الريف الإيراني. ولكي نفهم التحولات السريعة في الثقافةالإيرانية بعد عام 1961 ،علينا أن نتذكرتيار المؤيّد للاستبداد الغربي والمرتبط بقوة معالغرب وخاصة الولايات المتحدة. كما يجب أن نستحضر الهجرات السنوية غيرالعادية إلىالمدينة، وكذلك الدخل المتزايد،التفاوت الطبقي، المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وأخيراً عودة الوعي التيتدفعالناس إلى الرجوع إلى مرافئهم التقليديةالمألوفة في ربط التغريب بالمعاناة والدكتاتورية. بالنسبة لجمهور الناس، إنالأشكالالثقافية التقليدية والدينية كانت تُحشد من قِبلالأفلام الغربية والتلفزيون، وليس من قِبل صادق هدايت، لقد كان شريعتي أكثرتأثيراًمن كل الشعراء والأدباء بمحاولاتهالشجاعة الجريئة لاستخدام اللغة البسيطة للهيمنة على عقول الجماهيرواستنهاض عصبهمالنابض. فيما كان الاعتماد علىالغرب يقترن بالثقافة الغربية، والثقافة الغربية بالتفسخ الأخلاقي، كان منالطبيعيالبحث عن خلاص لإيران ليس في التغريبالذي أقحمه نظام الشاه في المجتمع، وإنما بالعودة إلى الإسلام المثاليالوطني. الفكر الشيعي المعاصرالأيديولوجيون المسلمون يقرنون الإسلام دائماً بمسلسل نضالي ضد الاستعماروهيمنةالقوى العظمى. ولكن الذي لا ينبغيمسايرته هو الإتجاهات العلمانية المتباينة التي استمر ظهورها في إيران. التغريب الثقافي المتزايد لعائلة بهلوي، كان محتقراً ومنبوذاً من قِبلالجماهيرالشعبية. علي أحمد في الستينات كان الزعيمالفكري لجيل جديد من المفكرين الإيرانيين، أما رؤيته في التشيّع فكانتنقديةوإيجابية في نفس الوقت. الشخص الأهم بين العلماء السياسيين آية اللّه‏روح اللّه‏ الموسوي الخميني الذيأصبح رقماً من الدرجة الأولى بعد أحداث 1963التي وضعته بسببها في السجن ومن بعدها إلى المنفى وخاصة في عام الثورةالمحصور بين 1978 ـ 1979. شخصيتهالمتماسكة وأفكاره النقدية جعلت المرء يعتقد أو يتصوّر بأن مفكراً أومنظراً مايمكن أن يظهر من بين آيات اللّه‏ الكبار، في فترةما قبل الستّينات. المعارضة الدينية الذين كانوا يطالبون بإصلاحات دستوريةفقط. واحد من بين أكثر آيات اللّه‏ المعروفين الذي لعب أدواراً مختلفة فيالثورةوأيديولوجيتها هو شريعت مداري في قم والذي كانمؤثراً جداً في مسقط رأسه في محافظة أذربيجان وخراسان، وكذلك آية اللّه‏طالقاني فيطهران الذي ترك تأثيراً جلياً في مسارالثورة بأفكاره التحررية والتقدمية. نتيجة لذلك، يمكن تثبيت أو عرض عدد منالملاحظات العامة:[61] الأولى، إن العرض المذكور للفكر السياسي الإيرانيومنذ نهاية القرن التاسع عشروالذي يشير إلى الظهور المتكرر لقيم معينةمشابهة يمكن العثور عليه لدى كلّ من المفكرين الدينيين والعلمانيين. واحدمن أهمهذه المعاني أو القيم هو التصدي للامبرياليةالمصحوب بتصميم أكيد على تحرير إيران من هيمنة الغرب الاقتصادية والثقافية. اتخذهذا الاتجاه منحىً إصلاحياً مع أفكارالسيد جمال الدين واتخذ شكلاً علمانياً أوضح مع مصدّق وأتباعه الرئيسيينومن ثممنحىً دينياً في السنين المتأخرة. الطابع الإسلامي في ردود الفعل المتأخرةوحتى من قبل العديد من القادة التقليديينيمكن توضيحه باقتران الهيمنة الغربية معالاستعمار الثقافي الغربي، وكذلك الحكم البهلوي مع العلمانية.أما الإسلامفقد بدا ،إلى أولئك الذين رفضوا كلاّ من الليبراليةوالماركسية كقاعدة أيديولوجية طبيعية يمكن أن تكون منطلقاً لمنازلة الغربوالبهلوية، تماماً كما يُعتقد بالإسلام أو هو هكذا فعلاًبالنسبة للجماهير الإيرانية. وكما هو الحال مع الفهم العصري والسياسي للدينفي مكانآخر. كان هذا التوظيف للإسلام يحتويعلى قراءة جديدة للنصوص القديمة والممارسات الجديدة. القراءات التي تمتّمهاجمتهاأحياناً من قبل التقليديين والمتطرفين،احتوت أيضاً تحدّيات لا حدّ لها للغرب كشرّ مطلق. ظهرت مشكلة أخرى أكثرجدّية، مفادها أن أغلب المفكرين السياسيين للشيعة المعاصرينزعموا بأن حلول مشاكل إيران سهلةللغاية، مالوا إلى الاعتقاد بأن تحرير إيران يأتي من إنهاء السيطرةوالتأثيرالأجنبيين وإنشاء مؤسسات سياسية واقتصادية وطنيةمتواضعة. هذا الحل سيجد له قاعدة إسلامية متينة، ولكن لم يجر التعاطـي معهكقضيةوموقف. الأساس إن الفكر الإسلامي الجديد أصبح سلاحاً مقتدراً ناجحاً فيصناعة الثورة، إلاّأنه أقل كفاءةً بكثير في بناء المؤسساتالحديثة. الكتب المتنوعة والكراسات حول الاقتصاد والسياسة الإسلاميَينالمكتوبةخلال العشرين سنة الماضية، لم تقدر حتى لوتمّ إتّباعها تفصيلاً، على تقديم الأجوبة الكافية لإقامة نظام دولة يمكن أنيستوعبالمتطلبات المشخصّة للعدالة الاجتماعية، أومشاركة الجمهور في الحياة السياسية والاقتصادية وحقوق الأقليّات والمرأة،واقتصادمحدد المعالم مشخّص الوظيفة وغير ذلك. فقدان السماحة والتسامح عند بعضقادة الأفكار الدينيين والذي هو وان يستمعا لبعضهماويتفاعلا مع بعضهما. الثورةإنّ تنامي الانزعاج وعدم القناعة اللذين تأججا بين معظم فصائل الشعبالإيراني،وضيقهم بالقمع والاستبداد الذي زادت حدتهفي السبعينات بشكل ملحوظ، وأوعد بلامركزية سياسية واقتصادية، وكذلك فشلالإصلاحات،مضافاً إليها الصعوبات الاقتصاديةالتي تفاقمت بين سنتي 1976 و 1977، رغم العائدت النفطية الهائلة، كلها أدّتإلىانفجار المعارضة التي لاحت أولى دلالاتهاعام 1977. إنّ ظهور المعارضة المكشوفة للشاه، كانت تحدث حالاً في أية قضية،ولكنشكلها وتوقيتها جاءا هذه المرة نتيجةلسياسة حقوق الإنسان التي أُعلنت من قبل الرئيس الأمريكي كارتر الذي تولىالسلطة فييناير عام 1977، والذي أشار إلى أنالأقطار المتهمةبانتهاك حقوق الإنسان الرئيسية ربما تُحرم من المساعداتالأمريكية أو صفقات السلاح. إنّ تأثير سياسة حقوق الإنسان هذه لمتكن بسبب أية ضغوط أمريكية مهمة، وإنما إلى اعتقاد كل من الشاه والمعارضةبأنالولايات المتحدة ظهرت وكأنها تعمل لصالححقوق الإنسان. هذا الاعتقاد منح بعض الإيرانيين الشجاعة لنشر رسائل مفتوحةومذكّراتجريئة على أمل أن تؤخذ بنظرالاعتبار أو يجري الاهتمام بها، وأنها بالتأكيد لن تكون سبباً للقمع الوحشيكماكانت عليه سابقاً ـ حسب ظنهم ـ. يمكن أن تكون هناك أسباب إضافية، نادراًما تُذكر، في أن الشاه سيتحمّل النقد عام 1977 في وقت لم يكن يسمح به قبل هذهالفترة. من بين هذه الأسباب أيضاً أنّ الشاه كان يعرف أنه مصاب بالسرطانوإن العرشيجب أن ينتقل إلى نجله الأصغررعاية الملكة فرح، ووفقاً للرؤية التي كان يفكر بها. بعض الوجودات كانتأهميتها أكبر من أرقامها الصغيرة وهذا ما أشارت إليه وبنجاحمحدود قبيل 1978، العصابات أوالجماعات المسلّحة في إيران التي تمت دراستها مؤخراً من قِبلإبراهاميان[62] E.Abrahamian، وضمن تصوّره. أنتكتيكات هذه الجماعة إنما انبثقت بسبب القمع الدموي الذي مارسه النظام تجاهاضطرابات عام 1963 الأمر الذي جعل العديديعتقدون بأن أية أحتجاجات مفتوحة يمكن أن تُقمع بعنف. الجماعة المسلحةالأخرى التي اختُصر اسمها إلى اسم مجاهدين خلق، تأسست هي الأخرى فينهاية الستينات، ولكن مجموعةفدائيان كانت ترشحت عن حزب تودة والماركسيين في الجبهة الوطنية، فيما جاءتمعظمعناصر المجاهدين من جناح ديني أيمنتلك الجبهة وتحديداً من حركة الحرية التي كان يقودها منذ سنة 1961 مهديبازرگانوآية اللّه‏ محمود طالقاني. ورغم أن عدداً من الأعمال المسلحة كانت خلقتذعراً وهلعاً وخاصة اغتيالات عدد منالشخصيات العسكرية والمخابراتيةالإيرانية والأمريكية، فقد كان هناك معارضون إيرانيون مسالمون، يجادلون،انه بأخذأجواء القمع، فان هذه الأعمال فقط كانتتشير إلى عدم شرعية النظام مبشرةً بنهايته أو سقوطه، ويظهر أيضاً أن زيادةالاعتقالات والتعذيب والقمع ورقابة المطبوعاتفي السبعينات قُرنت مع النشاطات المسلّحة، رغم أن القمع كان شديداً قبل هذهالفترة. وكما ذُكر آنفاً، أنّ فصائل من جماعات معارضة مختلفة من أبناءالطبقة الوسطىالمهيمنة والأسبق منهم من بقايا الجبهة الوطنيةوكذلك الطلبة داخل إيران وخارجها، مضافا إليهم العمال والعصابات المسلحة،كلها كانتلها علاقات وارتباطات مع الأعدادالمتنامية للمعارضين الذين أفصحوا عن آرائهم في إطار إسلامي أو مصطلحاتإسلامية،وكانت تسمى حينها «المعارضةالدينية». إن المعارضة الدينية هذه يمكن أن تُفهم أفضل في إطار ومصطلحاتجماعتيهاالاثنتين الرئيسيتين رغم أنهما تحتضنانالجماعات المذكورة ،الأولى ترشحت من أولئك المنحدرين من جذور تربية دينيةتقليديةوانتماءات دينية، والثانية من أولئكالمتغربين أو الذين ينتهجون الأساليب التربوية الغربية، أو الذين يجمعونبينالأفكار الحديثة والتقليدية ولكن تحت العنوان أواللافتة الدينية. هجوم الصحيفة على (الإمام) الخميني وحادثة قم يمكن أنينظر إليها كمفتاح لقضية ـيناير 1978، والتي خرج فيها الكثيرونفي حركة احتجاج عارمة بدأت شرارتها من القوى العلمانية مرفقة برسائلومذكراتوقراءات شعرية سياسية باتجاه المعارضةالموجهّة دينياً. من بين أتباع كل من (الإمام) الخميني وشريعتي «اللذين لمتستطع الجماهير التمييزبين أفكارهما لحد عام 1978 إلاّ نادراً» كان رجال البازار، ولا نعني بهؤلاء فقط أولئك الذين لديهم محلات في البازاروإنماأولئك الذين يمارسون أعمالاً تجارية فيالصناعة والتصدير والتجارة ومن التقليديين أكثر منهم من النمط المعاصر. إبان الفترة المحصورة بين 1977 ـ 1978، بدأت شعبية الإمام الخميني تنمو. ففي هذهالفترة وأكثر من كل فترات حركاتالاحتجاج الثورية السابقة، ظهر تمثيل رجال المدينة الفقراء من الطبقاتالعماليةالكادحة. وبسبب أعدادهم الغفيرة ظهروا فيالبداية كقوّة أعظم من عمال المصانع، والطبقات الوسطى، رغم أهمية الصنفالأخير. كان رائد أبناء المدن الفقراء هؤلاء هو (الإمام) الخميني وكلماته. وفيما كان الغضبالثوري، والحماسة ينموان مع نشاطوفاعلية، كان الإمام الخميني يؤكد على رفض أية مساومة مع الملكية ويضيف: بأنّالمشاكل لا يمكّن حلّها إلا بالعودة إلى التعاليمالإسلامية، وهذا ما كان يلتقي مع النداء المتصاعد للجماهير المسلمة. العديد من شهود العيان علّقوا على الحماس الغامر والتنظيم والتعاونالمتبادلوالانضباط الذي لم يخف الفرح والبهجة لشهورالثورة الأخيرة، فضلاً عن التوزيع المنظم للوقود والمحروقات أيام الإضراباتالثورية، حسب، وإنما جعل من المستحيل علىأي أحد أن يفصم العلاقة بين جماعة معارضة وأخرى. المجالس والجمعيات التيكان ينظمهاويديرها حراس الثورة بشكل تلقائيأو مباشر، وكذلك أحياء المدينة والمعامل والمؤسسات الأخرى ،استمرت تُدارهكذا منذتلك الفترة وحتى بعد فبراير، أي بعدانتهاء الالتحام الثوري الذي هيأ الانتصار النهائي للثورة. الخاتمة: هناك خيط رئيسي يجمع بين أبعاد عديدة من تاريخ إيران في القرنين التاسع عشروالعشرين، وهو العلاقات الإيرانية مع الأقطارالعربية ،كما هي في الواقع ، أو كما كانت أو يُنظر إليها من قِبلالإيرانيينوالغربيين. وكما هو الحال في بداية القرن التاسععشر، العديد من الإيرانيين كانوا معنييّن بحضور الخبراء الفرنسيينوالبريطانيينوخاصة في حربين واضحتين ضد (الكفار) الروس. في هاتين الحربين لم تخسر إيران مقاطعات مهمة مبتدئة بسلسلة منالعقود غيرالمتكافئة شملت اقتسام مناطق إضافيةمع الغربيين ومحرضة الأجانب ضد كريبوييدوف فحسب، ولكنها أرهقت الحكومةبتحمّل نفقاتمالية جديدة يدفع ثمنهاالإيرانيون عبر الضرائب الباهضة. الاستيراد السهل للمصنوعات الأجنبية،والمدعوم بعقد محدد للتعريفة الگمرگية سببشكاوى من قبل الحرفيين والتجارالإيرانيين وعلى الأقل منذ سنة 1830 فصاعداً. في بحر القرن التاسع عشر نمتالعلاقاتالتجارية الإيرانية مع الغرب نمتنمواً واضحاً، كما تبدّلت صادرات إيران من ابتدائيات الصوف والحرير والمنسوجات إلىمحاصيل الخشخاش الجديدة والقطنوالتبغ والفواكه المجففة والجوز وأشياء أخرى والتي تزرع غالباً في أرضمشتراة منقبل تجار. وكما فُصّل آنفاً، راح العديد منفقراء المزارعين والحرفيين يعانون من هذه التحوّلات بينما راح بعض التجارالذيناستفادوا يتحاملون على المعاهدة المنحازةلصالح التجار الغربيين. كانت هذه من بين الأسباب التي أدّت إلى تناميالتذمرالاقتصادي في القرن التاسع عشر. حكومة القاجار المبتلية بالقوى اللامركزيةجغرافياً، يقابلها البدو والعلماءالمستقلين وطبقات البازار أنجزت القليل جداً منالمركزية أو الإصلاح الفوقي وهو الملاحَظ في أقطار البحر الأبيض المتوسطالأخرىكتركيا ومصر وتونس. وبالإضافة إلىالصعوبات في إصلاح إيران، كان القاجاريون بحاجة إلى العديد من المصلحينالواعدين. الأمير عباس ميرزا الذي جدّد الجيشالأذربيجاني وشجّع على تحديث التربية في آذربيجان في أوائل القرن كان قدتوفى قبلأن يبلغ كامل مرامه. رؤوساء الوزراءالمصلحين المتأخرين، أمير كبير، مشير الدولة، وأمين الدولة كانوا افتقُدواجميعاًقبل أن يتمكنوا من تنفيذ برامجهم الإصلاحية. السبب الرئيسي في ذلك هو عداء لللامركزية والمصالح الواسعة التي ربما تضررتبالإصلاح المركزي. لم يكن هناك ولا حتىشاه واحد من شاهات القاجار يمكن اعتباره مصلحاً عنيداً، كما لم يكن فيهم منيمكنتعريفه كصاحب تأثير حتى في محاولةتشكيل جيش مركزي قوي. في إيران، كما في العديد من أقطار العالم الثالث،كان المصلحون الرسميون المذكورون (أي الفوقيون) ملاحَقين بالنقد والتعريضمن قِبل الحكومة، وكان بعضهم قد تسنّم بعض المواقع الرسمية في بعض الأوقات،وان لميكن أغلبهم كذلك. بين المجموعةالأولى الشخص الأكثر معروفية هو ملكم خان، الذي عمل لإعادة تنظيم الحكومة،وإعادةحكم القانون، وأحياناً الدستورية وكانأصدر صحيفة ضد الحكومة بعد طرده من وظيفته عام 1889. بين هؤلاء النقّادغير الحكوميين أو غير الرسميين أو الأكثر شهرة هو جمال الدين (الأفغاني) رغم أنه أمضى فترة من سنيّشبابه في إيران. في الفترة بين 1886 ـ 1891كان للرجل تاثيراً بالغاً فيإيقاظالإيرانيين وتنبيههم على دور الإعلام وفائدةاستخدامه ،كالكتيباتوالخطب وخاصة منذ إقدام الحكومة على (بيع إيرانللأجانب). إنّ تنازلات القاجاريين الكبيرة للغربيين، التي ارتفعت بشكلدراماتيكي بعد عام 1888استفزّت طبقات البازار والعلماءوالمثقفين ضد الحكومة والأجانب، وتكتلوا في حركة ناجحة ضد الإمتيازالبريطاني للتبغبين 1890 ـ 1892. إنّ نموالمعارضة العلمانية الموجّهة دينياً أدّت إلى الثورة الدستورية في إيرانبين عامي 1905 ـ 1911والتي أنتجت لها دستوراً علىالطراز الغربي. في هذه الفترة كان العلماء منـزعجين فقط من الاعتداء الغربيالمباشرعلى الأرض الإسلامية، ولكنهم لم يكونوامعنيين بشأن الاستيرادات أو الغارات الثقافية الغربية آنذاك، ولم يأخذواعلى عاتقهمالتنبيه إلى أهمية ما أحدثته هذه الغارات فيظل الحكم البهلوي. بين أعوام 1911 و 1960 كان معظم الكتّاب الناقدينعلمانيون، وبعدذلك جاءت المعارضة الإسلاميةالمنتعشة أو العائدة الى الحياة. في السنوات التي سبقت ثورة 1905 ـ 1911كانت روسيا تُعتبر العظمى باعتبارها المنافسالأكبر والأهم لروسيا، ويعولونعليها مساعدة وحماية إيران وثورتها الفتية ضد الاعتداء الروسي. وعندماوقّعتبريطانيا العظمى وروسيا على حلف 1907القاضي بتقسيم إيران إلى مناطق نفوذ استشعر الإيرانيون الخيانة بمرارة،واعتقدوابأن البريطانيين باعوهم مع ثورتهم. أصبحت المشاعر ضد البريطانيين بعد هذا الحدث أقوى مما هي ضد الروس الذين لميكنيُتوقّع منهم شيئاً فيما كان يُنظر إلىبريطانيا العظمى الداعم الأقوى لاستقلال إيران وكرامتها. وعندما دعمتبريطانياالعظمى التحالف الروسي ـ البريطاني الذيأنهى الثورة الإيرانية عام 1911، فإن هذه المشاعر اشتدت لأنها ستجعل إيرانمحميةعملية أو واقعية لكلا الطرفين. والأكثرمن ذلك، أن مشاعر العداء هذه ضد بريطانيا قد استعرت أكثر في قضية النفط حيثلاحظالإيرانيون بأن تنازل بريطانياواكتشاف النفط عام 1908 قد منحَ الأخيرة حصة الأسد من عائداته رغم تبديدوارداتهالتي كان معظمها يذهب إليها. هذهالمشاعر كانت وُضّحت في سجال عام 1932 وتجلت بشكل أوضح في اتفاقيات ما قبلالحربالتي أبرمت بعد مسألة تأميمالنفط ومجيء فترة مصدّق. وإذا كان البريطانيون قد اعتبُروا يوماً ما منقبل البعض على أنهم أصدقاء نسبياً،فإنهم قد تحوّلوا لدى كثيرين إلى أعداء بعدالثورة الدستورية. وهو نفس المصير الذي وقع فيه الأمريكان بعد فترة مصدقولنفسالأسباب تقريباً. فقد كان الأمريكانعموماًمعتبرين ومحترمين في بداية القرن العشرين حينما ساهم بعض أفرادهم في الثورةالدستورية وفي تأسيس المدارس، وكانمورغان شوستر قد بذل جهوداً استثنائية لبناء اقتصاد إيراني مس يكونوامنبوذين بشكلواضح، وحالما بدأت الحرب العالميةالثانية وعندما دُعم الأمريكان من قبل حكومتهم، أصبحوا منهمكين تماماًبالتدريبالعسكري وتخريج الجندرمة، وهنا بدأتالشكوك. أن التغيّر الحقيقي في المشاعر الوطنية الإيرانية العارمة ضدالسياسة الأمريكية،ظهرت عندما راح الأمريكيون يساهمون فيإذكاء مشاعر الحزن الإيرانية ضد شركة النفط الانگلو ـ إيرانية وراحواتدريجياًيغيرّون مواقعهم عندما ذهبوا بعيداً مع الحصارعلى النفط الإيراني الموقّع والمفروض من قبل AIOC. المشاعر الساخطة علىحكومةالولايات المتحدة أصبحت أكثر قوةوعنفاً حينما فُهم بأن الولايات المتحدة كانت ضالعة في انقلاب 1953 ضدمصدّق. إندعم الأمريكان لدكتاتورية الشاه وتجلّيأساليبها العدائية لمدة 25 سنة أضاف المزيد من المشاعر الحانقة ضدهم. ومنهنا، وفي كلتا القضيتين البريطانية والأمريكية، ومع ما بالغ فيه بعضالإيرانيينفي بعض الاتهامات والتشكيكات فإنالتشكيك والعداء لهما جذورهما في الأحداث الحقيقية والمهمة، وخاصة المساهمةفيالانقلابات ضد الحركات الثورية الجماهيريةودعم الحكومات المنبوذة غير الشعبية. هذه المشاركة غير الثورية كانت أكثرجرحاًللإيرانيين لاسيما إنها صدرت من قوةعظمى كانت تعتبر ودّية للغاية، أو على الأقل مناهضة للشرور ـ كما تزعم ـولذلك فانأزمة الثقة بأي ممثّل لأيّ من أمريكاوبريطانيا أو من ينوب عنهما قد زادت بشكل واضح. (أي غريب يحمل ميزاتالشخصيةالإيرانية ويُنظر إليه بشك وارتياب،تجد له قصة وحكاية تروي السبب في التاريخ الإيراني). ينظر الإيرانيون إلىالقوى الأجنبية والتي خصّت بشكل رئيس مؤخراً الأمريكان، علىأنهم يستخدمونهم لأهدافهم الخاصة: وخاصة دور إيران الاستراتيجي وأمل الحصول على أرباح الآخرين بل ابتزازهملاسيماالروس.**

**وهكذا قضية النفط في القرنالعشرين، وكذلك استخدامهم كشرطي للمنطقة ضد الزحف الشيوعي السوفيتي. الحكومات الأجنبية شجعت أيضاً الاستيراد والتصدير وبناء الصناعات وكذلكتوديعواستثمار الأموال من قبل مواطنيهم أوحكوماتهم في إيران. كما أنّ مبيعات السلاح الأمريكية الضخمة والمعداتالزراعية،والتكنولوجيا المتطورة والسلع الاستهلاكيةكلها كانت تستغفل الاقتصاد الإيراني وتُربك ميزانيته وتساهم في إيجادمبرراتالثورة. يُضاف إلى ذلك كان استغلال الأخطاء وإلحاق الهزائم النفسيةبالإيرانيين من بينالسبل والسياسات المستخدمة لقمع تلك الثورة. وهنا يمكن للمرء أن يفهم هاجس الإيرانيين غير المحدود لتصوير انعتاقهم منالسيطرةالأجنبية والتحكّم الأجنبي وتطلّعهم لبناءاقتصاد حر ومجتمع حر وثقافة مستقلة حرّة ناشئة من الداخل، بدلاً منالاعتماد علىالقوى الأجنبية والغربية تحديداً.**

**الثورة الإسلامية الإيرانية في منظور مقارن**

**بقلم سعيد أمير أرجُمند[63]**

**مقدمة**

**إن الهدف من هذه الدراسة هو تجلية أهمية العامل النظري للثورة الإسلامية في إيرانعبر التركيز على الديناميكية السياسيةللتحوّل الراديكالي في هيمنة البناء الاجتماعي الإيراني والديناميكية الأخلاقيةللعقل التوحيدي والتكاملي الذي يرافقها.** **فالديناميكية السياسية للثورةتوضح مبدأياً انقلاب البناء السلطوي بينما تتضمنالديناميكية الأخلاقية غائيتها وهدفها... أي اتجاههاونتائجها. ومنتحليل القوى المحركة لأخلاقية الثورة وهدفيتها تحتل الأيديولوجيةالثورية المرتبة الأولى أو هكذا تزعم.** **يمكن تعريف الثورة بأنها انقلاب على النظام السياسي واستبداله بآخر جديد.** **تحدث الثورات المعاصرة في الأنظمة السياسية المهيمنة عليها عادة من قبل الدولة. إنني سوف استخدم مصطلح (البناءالاجتماعي للهيمنة) للإشارة إلى الجهاز المسيطر على السلطة، ويتضمن الدولة التيتحتل منصب الحاكمية العليا في أوقاتحصول الثورات المعاصرة، ولكنها تشتمل أيضاً على مؤسسات أخرى ووجودات متعاونة تمتلكمقداراً من السلطة المستقلة فيالفضاءات الدينية والقضائية والاقتصادية. الأكثر أهمية في كل هذه المؤسساتوالوجودات عادة هو الوجود الديني أو الكهنوتيكالكنيسة ومماثلاتها. الثورات المعاصرة لا تقع بالتأكيد في المجتمعات الراكدة، وإنما في تلك التي تجتازتحوّلاً اجتماعياً معتبراً. وينطوي التحولالاجتماعي بالطبع على فوضى اجتماعية، واضطراب معياري. التجمعات الفوضوية والأفرادالفوضويون بحاجة إلى أن يُعادتوحيدهم في اتحاد أو رابطة أو هيئة اجتماعية، وقد يستدعي الأمر الانضمام إلى تجمّعأو تنظيم سياسي.الحركات التوحيديةالسياسية والإجتماعية التي تنفرز لاحتواء هذه المطالب غالباً ما تكون لها مساهماترئيسية أو تكون عاملاً رئيسياً في وقوعالثورات.** **إنّ انقلاب البناء الاجتماعي للقوى المهيمنة يحصل عادة بسبب منظومتين من العوامل:**

**الضعف الداخلي للبناء والاختراقات منقبل الخصوم، وكذلك العمل المنظم والمخطط للجماعات الاجتماعية المعارضة والأفرادالمعارضين.**

**مثل هذه الجماعات والأفراديمكن أن تكون لها دوافع سياسية لمعارضة نظام الحكم، وغالباً ما تبرز في سياق النضالالذي فجرّت أسبابه مركزية السلطةالحاكمة وشمولية نظامها. كما يمكن أن يكون لهؤلاء دوافع أخلاقية كالمصلحة الطبقيةمثلاً. ان درجة التماسك أو الانفراد داخلأي تشكيل اجتماعي يعتبر علامة أولية مقررة لقدرته أو عدمها على العمل الجماعيالتضامني، وإن إمكانية نجاح الفعل الثورييعتمد عادةً على استعداد الجماعات المختلفة المعارضة داخل هذه التشكيلات الاجتماعيةعلى التحالف والتآزر. جميع العوامل المذكورة آنفاً تعرض نقاطاً مهمة أو مراجع للمقارنة تعني بالأسباب والظروف التيسبقت أو أحاطت بالثورة الإسلامية في إيران.** **إن الثورات لا ينبغي أن تقارن في سياقات أسبابها والظروف التي ولدت فيها، وإنمابنتائجها وآثارها.تلك الحركات الاجتماعيةالتوحيدية التي تؤسس بنجاح لإيجاد أو خلق الظروف الخاصة للبديل الاجتماعي وإثارةالفوضى القيمية التي تساهم في بناءالحركات الثورية، إنما تفعل ذلك باستخدام الأيديولوجية كأداة مهمة من أدوات الثورة. فالأيديولوجيات التي تؤسس للمفاهيمالنضالية الثورية وتضعها في دائرة الفعل الحركي أو تتأطر بإطارها تتمكن من تجسيرالفجوة الحاصلة بين أسباب ونتائجالثورات. نعم إنها لا تستطيع أن تقرّر أو تحسم سقوط هيمنة البناء الاجتماعي بدرجةجديرة بالذكر. ولكن، ومن ناحية أخرى، إنّالأفكار القيمية التي تبني مؤسستها المعيارية، والتي غالباً ما تُعرف أو تتشكلمسبقاً أثناء المسار الثوري، هي التي تؤطّرالمنظومة السياسية أو ترسم الإطار السياسي الذي تفرزه الثورة بدرجة من الدرجات.** **إنّ تحليل مقارن لهدفية الثورة الإسلامية يستدعي في هذه الحالة تحليلاً منظومياًجدياً لأيديولوجيات الثورة ذاتها. فالأسطورةالسياسية المعاصرة للثورات والأيديولوجيات المتنوّعة التي طُعّمت لها في القرنينالماضيين شكلّت عاملاً سببياً لاستنهاضالمعارضة الثورية ووضعها في حاله اصطفاف وتخندق، ولكن إيقاف التحليل عند هذا الحدسيكون خطأ كبيراً أو جديّاً.** **فالأيديولوجيات تمتلك مغزىً نظرياً أولياً في كون أفكارها القيمية الدستورية هيالتي تقرّر غائيات الثورات الأصيلة[64].** **كما إن طبيعة القناعة النموذجيةللأفكار القيمية القادرة على التمييز بينالأيديولوجيات الثورية المختلفة ساعة وقوعها هي التيتحدد النقاطالمركزية لمرجعيتها السياسية ومقارنة ذلك مع هدفية الثورة الإسلامية. هذه المقارنة هي التي تمكننا من إدراكالمغزى الواضح للثورة الإسلاميةفي تاريخ العالم المعاصر.**

**1 ـ أسباب و أجواء الثورة الإسلامية**

**أ ـ سقوط الملكية:إنّ تأكيد الدراسات الحديثة على دور الدولة وقدرتهاالقمعية وإمكاناتها الهائلة فيتحسس أو قياس الأزمات الجدّية كشفت عنحقيقة مهمة مفادها أن الثوراتغالباً ما تكون مدينة في نجاحاتها إلى النخرة والشللالداخليين للدولة أكثر من مديونيتها لقوةالجماعات الثورية المنفّذةلها[65]، إنه ما زال موضع جدل وسجال في كون العامل الحاسم لتأجيج الثورة هو هشاشة وانهيارالمنظومة السياسية القائمة.[66]** **أنمركزية الدول الملكية يقلّل من الحالة التعددية في المجتمع ويزيد منهشاشتهاالسياسية ،ويبدو من الأنظمة السياسية القائمةفي العالم المعاصر، أنّأنظمة الحكم الملكية، على وجه التحديد، أكثر هشاشة وعرضةللثورة، لأن التذمر الجماهيري يركّز علىشخص مفرد واحد. دي توكيفيل De Tocqueville الذي اعتبر إنّ الكراهية المختزنة ضدالنظام القديم والتي اكتسحت كافةالعواطف الساخطة الأخرى أثناء الثورةالفرنسية، كشف كيف أنّ تلك الكراهية أصبحتمركّزة بشكل قاتل ضد شخص واحد،هو الملك: «إذ ترى فيه أنه العدو الأول،وهذا هو الاتفاق العاطفي الذي كانينمو»[67]. نفس الشيء يمكن أن يُقال حول الشاهالذي كان إخراجه هوالمطلب الجماهيري الوحيد الذي اجتمعت عليه جميع الفصائل الغاضبةاليائسة في المجتمع الإيراني. وأكثر من ذلك أنّ نفس مواصفات المنظومةالملكية في إيران تساهم كثيراً في توضيحنهضة (الإمام) الخميني الملتهبة ضد هذهالملكية وضد التصوّر الشاهنشاهيللحكم.** **إنّ نمط النظام السياسي الذي يمكن أن نسميه (الكنيسة الجديدة) يوصف هو الآخربهشاشته، على النقيض من النمط النموذجيللدولة المطلقة الذي يُفترض أن يكون فيه الملك أول خادم فيها ،فإنّ الحكومة تصبح فردية تماماً في الدول الكنسية. السلطةالتنفيذية الرئيسية تُشجع الانقسامات داخلالعسكر والنخب السياسية من أجل أن تحكم. مثل هذه الدول الكنسية تكون عادة عرضةللسقوط ورياح الثورة، حالما يضعفالحاكم أو يتهاوى.[68]** **الثورة المكسيكية التي تفجرت بموت پرنريو دياز عام 1911، ومثلها الثورة الكوبيةوالثورة النيكاراغوية يمكن أن تُقرأ في إطارهذا الافتراض. في النظام الإيراني، جمع الشاه بين ضعف النظام الكنسي الجديد ومساوئالملكية ،[69] وكان يعاني معاناة مرةناشئة من ميكانيكية تركيبة سلطة الدولة الملتفّة حول شخصه فقط.** **لم يكن هناك أدنى شك بأن سقوط الرجل سبق سقوط جهازه الحاكم، وكان هذا السقوط واضحاًفي تأرجح الشاه الواضح وفقدانهالقدرة على اتخاذ القرار. مثال ذلك انه لم يستطع استخدام عقله لتعيين رئيس وزراءللمعارضة الليبرالية الوطنية حتى بعد فواتالأوان، وكذلك في ربطه غير المتوازن بين سياسة الترغيب والترهيب (أو الهداياوالتهديدات) فضلاً عن استخدام بالغ السوءلقوة الردع.[70] ضمن الصفة الكنسية الجديدة لدولته المتهاوية، كان للشاه جيشاً منظماً ومجهزاًتجهيزاً جيداً، وهكذا قوى الشرطة والدرك. انهرفض ببساطة استخدام هذه القوى بالكفاءة اللازمة لقمع الحركة الثورية، مدّعياً انهسيستخدم الجيش، إذ أعلن قانون الطوارئ فيبعض المدن في أواخر صيف 1978، وقام بتشكيل حكومة عسكرية في نوفمبر. ولكن، وبعدمذبحة الجمعة السوداء في 8سبتمبر 1978 حاول الشاه إخفاء الجيش وذلك بسبب انفجار الغضب الشعبي ضد جنرالاته. وقد انعكسذلك في كوارث وفجائع أدّت إلىمقتل حوالي 250 شخصاً في مذبحة 8 سبتمبر، تبعتها مذبحة أخرى لـ750 آخرين في طهرانفي الأشهر الخمسة التالية وبعدهاثلاثة أضعاف هذا الرقم تقريباً في عموم إيران. في 21ديسمبر عام 1978 ،رئيس الوزراءالجنرال أزهري، وبعد جلطة قلبيةبسيطة داهمته في فراشه، اشتكى لدى السفير الأمريكي تدمير دور الجيش أو تشويهتركيبته التي عزاها إلى أوامر الشاه فيحظره إطلاق النار إلاّ في الهواء، فضلاً عن إهانته أو تحجيم دوره. ومما قالهللسفير: «عليك أن تعلم ذلك، وأن تنقله إلىحكومتك. إنّ هذا البلد يتفتّت لأن الملك لم يعد قادراً على استخدام عقله»[71]. على عكس قوات القيصر عام 1917، بقي جيش الشاه معافىً ومخلصاً إلى يوم رحيله في 16يناير 1979. كراريسومنشورات (الإمام) الخميني وُزّعت بين الجنود، وكانت هنا كأمثلة حيّة على التآخيوالالتحام مع المتظاهرين وفرار واضح منالخدمة العسكرية. 12 ضابط قتلوا على أيدي ثلاث جنود ثوار من الحرس الإمبراطوري.** **حادثة تمرّد وقعت في تبريز في شهر ديسمبر، كما كانت هناك حوادث صغيرة أخرى مشابهة،فضلاً عن استياء متواصل عمالفنيين العسكريين للقوة الجوية عُرف بـ «هومافاران Homafar an. ومع ذلك، إن ضغطالمواجهة مع الناس لم يؤثر جدّياً علىمعنويات وانضباط القوات المسلحة. فقط بعد رحيل الشاه، بدأت علامات التفسّخوالانهيار تظهر على الجيش أي تحت الضغطالسياسي المتواصل.** **إنني لا أرغب في التأكيد على إن استخدام الجيش لقمع الجماهير كان يمكن أن يحول دونوقوع الثورة.نحن لا نستطيع الجزمعلى الإطلاق بمعرفة ماذا كان يمكن أن يحصل لو كان الشاه قد أمر قواته المسلحة لأنتكون قمعية بشكلٍ متوحش في أكتوبرونوفمبر عام 1978 عندما لم تكن قد تأثرت بعد بالغليان الثوري. كما إن مسألة أن يكونالجيش ينهار أو لا ينهار أو يتفكك أو لا،تبقى حقيقتها تقول انه لم ينهار حتى 16 يناير 1979، وان المعارضة قد عرفت ذلك.[72]** **كان لضباط الجيش إحساس قوي بالانتماء الوظيفي الرسمي ولكن بدون أي شعور بالارتباطبأية تشكيلة اجتماعية أخرى ذاتمصالح منظمة خاصة. أكثر من ذلك لقد اختار الشاه كبار جنرالاته بعناية ودقة ليتأكدأنهم لا يستطيعون الطيران خارج سربه أوالعمل ضده بأي شكل من الأشكال، وانه نجح في ذلك فعلاً. كان يمكن للجنرالات أنيحفروا تحته ولكنّه لم يدَعهم. أنهم لميستطيعوا العمل ضده، ولكن أياً منهم لم يستطع العمل لنفسه أو لجماعة معينة أخرىنعم، في حالات اليأس الأخيرة، حاولبعضهم التنسيق مع المعارضة الرسمية أو المحلية. أكّد تيلي Tilly وكان مصيباً، على أهمية التحالفات التي تربط رجال الثورة معالجيش[73]. ورغم أن مصطلح (تحالف) بدا قوياًجداً، فإنّ الاتفاقية التي عُقدت أو تم تنفيذها بين بازرگان وبهشتي بتوسط السفيرالأمريكي مع عدد من الجنرالات كانت ذاتأهمية حاسمة في إحداث شرخ كبير في الجيش ومن ثم تحييده في فبراير 1979.[74]** **النتائج التي يمكن استخلاصها من قضية إيران هي كون الأزمات المالية أو ذات العلاقةبخزانة الملك ،وما تؤدي إليه منالقدرات المنتزعة من ضرائب الدولة الثقيلة، ليست كلها ضرورية لانبثاق الثورة. منالممكن أن تكون هيمنة البناء الاجتماعيعرضة للسقوط بدون إشراك العامل الزراعي، كما أنّ حرباً خاسرة للجيش ليست بالضرورةعاملاً رئيسياً لتشكيل أجواء مناسبةللثورة. إنني سوف أبيّن كيف أن النظام السياسي يمكن أن يسقط بدون أيّ من هذهالشروط.** **لحد الآن، نلاحظ بشكل مجرد بأن الثورة الكوبية كانت مثالاً لثورةٍ سياسية بدون ثورةزراعية وبدون هزيمة عسكرية في حرب. سكوكبول التي تقوم نظريتها على تأكيد دور هذه الشروط المزعومة تقفر بتعسف واختزالعلى الثورة الكوبية وتناقشها بنصفهامش. إضافة إلى ذلك، إنها لم تتصد لمناقشة النتائج النظرية في غياب هذه العوامل فيمقالتها اللاحقة حول الثورة الإيرانية.** **النظرية لعام 1979[75] إحدى التعميمات تمّ استخلاصها من قبل الثورة في إيران.[76] فلقد حوصر الشاه جدّياًبسبب ارتباطاته الوثيقة والمذّلة معالولايات المتحدة، وبسبب الحضور الأمريكي العسكري والاقتصادي ،وكذلك بسبب غزو طاقاتالعمل الأوربية الكبيرة لإيرانوالتي كانت محفزاً رئيسياً للتعبئة الجماهيرية المضادّة. إن دافع التحريض ضدالأجنبي في تحديه لشرعية سيادة البناءالاجتماعي تجد مقاربات لها في الثورات الانگليزية والفرنسية والروسية والصينيةوالكوبية وحتى في فاشية أوربا الشرقية.**

**ب ـ الدولة، الكهنوت، المجتمع المدني في إيران الشيعية: إنّ من الخطأ أن نساوي بين البناء الاجتماعيللهيمنة والدولة فقط. فبالنسبة إلىماكس ويبر إن عنصري البناء الرئيسيين هماالدولة والكنيسة، وقد عرّفمؤسستي السلطة الشرعية هاتين بشكل متشابه وكان حذراًجداً في تحليل العلاقة بين الكنيسةوالمجتمع المدني إذا كان هذا التحليلمناسباً.[77] ان هذه النقطة ذات مغزى كبيرالمبكرة.[78]** **أما في تاريخ إيران، فقد جاء التسابق المتشابه بين الدولة والكهنوت متأخراً كثيراًعما هو عليه في أوربا.اذ أُعلن التشيع ديناًرسمياً لإيران في عام 1501، إلاّ أنّ الكهنوت بقي متباين الخواص والعناصر ومُعيناًللدولة لفترة طويلة ومعززاً لقوتهاواستقلالها الذاتي لحد نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. أن بتر قوةالكهنوت أو تقليصه، وتقليص استحقاقاتالعديد من امتيازاته ووظائفه من قبل الدولة لم يحدث إلاّ في نهاية القرن العشرين. السلطات الدينية الشيعية كانت وبقيت مستقلةمنهجياً ومؤسساتياً عن الدولة، ومع ذلك، فإنها احتفظت بسلطتها الدينية المستقلةذاتياً، كما احتفظت بسيطرتها على المصادرالداعمة لاستقلاليتها في جهاز الدولة البيراقراطي.[79]** **الثورات الغربية تمّ توجيهها ضد الدولة والكنيسة معاً. فقد تمّ اصطياد الكنيسة فيانكلترا، وتقليمها أظفارها أو محصارتها فيفرنسا، وتهديمها من قبل بيتر العظيم في روسيا، وفي كلّ هذه الأمثلة كانت الكنيسةجزءاً متممّاً للحكم الكهنوتي. أما في الثورةالإسلامية في إيران ،فقد وقف الكهنوت الشيعي المطوّق تماماً ضد الدولة. (كان هذابسبب حماقة الشاه في عدم تفتيته لهذاالكهنوت في الوقت المناسب. يوجد الآن دليل بأن عدداً من آيات اللّه‏ الكبار كانواعلى استعداد للتنسيق أو التفاهم مع الشاه فيصيف1978، وان التمزق أو الانقسام كانفي الحقيقة قد وقع بعد الثورة). لأسباب تحليلية أيضاً، من المهم أن نتصور أو نتذوق البناء الاجتماعي للهيمنة فيمصطلحات أكثر شمولية، فالمواقف الثوريةتحدُث بسبب تفسّخ السلطة المركزية ،وبهذا التفسّخ لسلطة الدولة تبرز عناصر أخرىأكثر أهمية للبناء الاجتماعي للهيمنة،الجمعيات والتحام الأفراد مع السلطة في واجهات أخرى من الحياة الاجتماعية يمكن أنتمدّ السلطة بالنفوذ إلى المحيط الأساسوتسلم مواقع قيادية فيه. في مثل هذه المواقف يظهر هؤلاء القادة وكأنهم (قادةطبيعيون)للشعب Natural Leaders. الكهنوتورجال الدين يمكن أن يستخدموا سلطتهم التقليدية في هذا الإطار، وقد فعلوها فعلاًمرات عديدة، ومثال على ذلك، في التاريخالاسباني[80]. في إيران، كان هناك العديد من أعضاء المراتب العالية في (الكهنوت) الشيعي قد قادوا الجماهير المعارضةللملكية أثناء الثورة الدستورية بين عامي 1905 ـ 1906. في عام 1978 نهض عدد منالتجمعات والأفراد من الذين أرادواإخراج الشاه ولكنهم لم يكونوا مهتمين مَن سيَقبل ثيوقراطياً زعامة الإمام الخميني!.** **إن تمركز الدولة يدفع بالضرورة إلى تركيز المرجعيات الرمزية والاقتصادية والسياسيةالقهرية ،كما انه يستلزم انتهاكات خاصةتطال المصالح والامتيازات على مستوى الفرد والمحافظة والمحلة، وأكثر من ذلك يستلزمحصانات أميرية ودستورية لآخرين،وكذلك مصادره‏حقوق وتجريد ممتلكات لتشكيلات اجتماعية صاحبة امتياز. وبهذا، وفي إطارالحركة والمسار، يكون التمركزسبباً لحركة نضالية حادة مستمرة. ردود فعل الجماعات المستفيدة وردود فعل مراكزالقوه ‏المستقلة ذاتياً ضد امتداد ومركزيةالدولة كلها أسباباً رئيسية لمعظم ان لم نقل كل الثورات الأوربية المعاصرةالمبكرة.[81]** **إن ثورة الكومينروس في مدن الكاستيل ضد چارس الخامس عام 1520 ،وثورة النيذرلانديينالتي جاءت كردّ فعل لمركزيةسياسات فيليب الثاني في الستينات 1560. والحرب المدنية الفرنسية في القرن السادسعشر، وهكذا انتفاضة الكاتلان أو ليفرزالتي دفعت (دساتيرهم) إلىالشيطان، والبرتغاليين عام 1640، ومثلها الوجه المبكرللثورة الانكليزية[82] وكذلك نهضةالفرونديين ومقدمات الثورةالارستقراطية في فرنسا بين عامي 1787 ـ 1788 كلها أمثلةواضحة على ذلك[83]، ففي كل هذهالثورات ،جاءت ردود فعل التشكيلاتوالتجمعات لاسيما عندما تهدّد استقلالها الذاتيوامتيازاتها الموروثة من قبل الدولة، إذ أنهمكانوا في الأغلب يجدونعدداً من رجال الدين حلفاء لهم أو وكلاء. لقد وجدالنيوزلانديين المبعدين والمجهدين بالديون مثلاً،حلفاء لهم من الوعاظالكالفانيين والمتطرفين ضد المعتقدات الدينية.[84] في إيرانالسبعينات أوجد الخطباء والمبلّغونوالجماعات المتضامنة المقصية القادرةعلى إيجاد ردود الفعل نفس النمط الثوريوشكّلوا تجمعاً واحداً مؤثراً.** **كانت هناك ثلاث تجمعات اجتماعية رئيسية صاحبة امتياز صارت ضحايا مركزية الدولة،أصبحت الأولى تتكون من رؤساءالقبائل، إذْ قامت حملات رضا خان(أخيراً رضا شاه) التهديئية بين عامي 1921 ـ1925بتهشيم قوة رؤساء القبائل هؤلاء وأدّتإلى تصفية عدد منهم جسدياً. ورغم ذلك استمرت المقاومة في المناطق الخارجية، أيالبعيدة عن المركز، كما هو الحال فيلرستان حتى بدايات الثلاثينات.** **قانون تسجيل الملكية لعام 1922 حوّل رؤساء القبائل الممولين هؤلاء إلى ملاّك أراضيكبار[85]. وبهذا أصبحت أعداد منهمفي عداد سكان المدن وملاك أراضي من الطبقة العليا، أما كأفراد فقد دخل الكثيرونمنهم فى نخبة بهلوي السياسية.** **الكهنوت الشيعي كان مرشحا للحضور تحت وطأة الهجمة الشرسة من قبل دولة بهلويالمركزية. وتحت حكم رضا شاه، كانتالدولة حرمته من كافة وظائفه القضائية، وألغتا متيازاته (الكنسية) والأميرية (أيالشاهنشاهية) والاجتماعية، وقللت بشكل هائلسيطرته على التربية والأوقاف الدينية. فأمام تصميم رضا شاه وقسوته، لم يقم الكهنوتآنذاك بأي رد فعل يُذكر ولا بأية طريقةأو أسلوب يستحق الذكر.** **توصّل رضا شاه إلى اتفاق مع طبقة مُلاّك الأراضي الكبار (الألف عائلة) الذين كانوايهيمنون على البرلمان الإيراني (المجلس) حتى سنة 1960. إنها المرّة الأولى، وفي المحطة الأصلية في إصلاحات محمد رضا شاهللأرض عام 1962 و 1963 تجريتصفية هذه الألف عائلة المالكة، كطبقة بمن فيهم رؤساء القبائل.** **في مرة من المرات جرى حلّ المجلس، ولم تكن طبقة ملاّك الأرض (الفاعلة) تمتلك أيةقاعدة مؤسساتية مستقلة، كما ولم يكنبإمكانها الردّ على الإقصاء السياسي الكامل والاقتصادي الجزئي الذي اتُّخذ ضدها منقبل الدولة. ورغم أنّ العديد من أعضائهااستعادوا ممتلكات كبيرة من الأراضي وأصبحوا فلاحين تجاريين ميكانيكيين، وبذلكاصطفوا مع البرجوازية ،إلاّ أنّ العديد منهمبقوا مع نخبة بهلوي السياسية وإن علاقة الفلاحين مع الملاك التقليديين شكّلت قاعدةالقوة لطبقة الملاك وعملت لصالح معروفيتهافي المجلس، إلاّ إنها قد دمّرت وتم القضاء عليها.[86]** **العلاقات بين الكهنوت والملكية كانت تحسنّت بعد استقالة رضا شاه، وخاصة في نهايةالأربعينات والخمسينات عندما كانت هذهالملكية ضعيفة والكهنوت متيقظاً بسبب تهديد الشيوعية أو توجّسه منها. استأنفت الدولة موقعها العدائي في الستيناتوالسبعينات حيث بدأت الهجمة على الحالةالدينية الوسط الديني وانتهكت وجودها بشكل سافر ووقح.[87] على عكس طبقة مُلاك الأرض، فإنّ الاكليروس الشيعي المقصي جزئياً كانت له قاعدةمؤسساتية مستقلة ذاتياً، وكان بإمكانه الردّعلى تمدّد الدولة، وقد نفذّ ذلك فعلاً في نهاية المطاف.** **النضال السياسي الذي استفزته مركزية الدولة وحداثتها، وكذلك التشكيلات الإجتماعيةالمقصية التي استعادت قاعدتها المؤسساتيةفي الردّ على تمدد الدولة كان بحاجة إلى إيجاد تحالفات مع تشكيلات وطبقات أخرى إذاأرادت أن تحقق نجاحاً. في أوائلالستينات، عناصر من الكهنوت وملاّك الأرض ورؤساء القبائل افتعلوا محاولات اتحاديةمتواضعة لتحقيق صيغة مصطعنة منصيغ التحالف، ولكن الانتفاضات الانفصالية لأتباع (الإمام) الخميني والكاشاني وقبائلبوير أحمد في فارس عام 1963كانت قدقُمعت بلا رحمة[88]. وفي عام 1978، عندما تم إيجاد تحالف مؤثر، استطاع هذا التحالف أن ينفّذ الثورة. بسبب عدائهم الموّحد تجاه الشاه، استطاعالتحالف الثوري لعام 1978 أن يضمّ مجموع الكمّ السكاني لإيران. المزارعون لم يلعبوادوراً مهما في الثورة الإسلامية، وهكذاطبقة العمال الصناعيين.جميع القطاعات السكانية الأخرى عارضت الشاه بنشاط وفاعلية،وقبلت بزعامة (الإمام) الخمينيللثورة. التحالف المزدوج الأهم ضمّ رجال الدين المناضلين المتشكّل من الطبقة الوسطىالجديدة لمستخدمي الحكومة ومعلميالمدارس إضافة إلى المثقفين وأصحاب الياخات البيض في قطاع الخدمة والبرجوازيينالتقليديين في البازار.** **التحالف بين رجال الشيعة والطبقة الوسطى الجديدة لم يكن مستقراً بالدرجة المطلوبة،إذ أنّه كان يرتكز على صمت خبيثللطرف الأول ورغبة مضلّلة أو غرور للطرف الثاني. ولذلك لم يستمر طويلاً، فبمجرد أنأطيح بالشاه، لم يتأخر (الإمام) الخميني في الإجهاز على الانتلجينسيا الغربية، أي المثقفين الغربيين وإقصائهم. أما التحالف بين رجال الدين الثوريين والبرجوازيين التقليديين، من الجانب الآخر،فقد ارتكز على أحزان وآلام محسوسةوملموسة لكلا الطرفين. وبما أنه أرتكز على أرضية تاريخية فقد كان أكثر صلابة وأكثرصبراً وتحمّلاً. انه مثل آخر للتلاحم بينالمسجد والبازار ،وهو يشبه التلاحم بين برجوازية المدينة والكنيسة في القرنينالحادي عشر والثاني عشر في المسيحية الغربية. وقد تم تلفيقه في نهاية السبعينات تحت الضغط المباشر لتدمير الشاه للمدارس الدينيةفي مشهد وحملاته الشاسعة المناهضةللاستغلال ضد البازار والتجار والمتمولين[89] في طهران ومدن أخرى.**

**ترى لماذا تمّ استبعاد الطبقة الوسطى الجديدة، أو قل لماذا خسرت هذه الطبقةموقعيتها؟ إذْ كان يمكن للتاريخ أن يأخذ مساراً آخر،كما حصل في قضيةتحالف جمال عبد الناصر المعاصرة مع الإخوان المسلمين الذين كانوايحظون بدعم جماهيري أوسع،وكانوا فيبعض الأمور أكثر تنظيماً من الملاليفي إيران. في القرن العشرين الإيراني،يبدو انتم ركز السلطة جزّأ المجتمع وفتّتهإلى درجة عالية من التشظّي،إنه فكك رؤساء القبائل وذوّب طبقة الملاك، وأوجدالانتلجينسيا والطبقة البيروقراطية وأوجد كذلككياناً مستقلاً لضباطالجيش، وأخيراً أوجد التجمع الصناعي والتجاري للمقاولين. كلّهؤلاء لم يكونوا على اتصال مع أي تجمعاجتماعي تضامني، سواء كان قبيلةأو أصحاب عقارات أو تعاونيات. ومع ذلك وفي تفسيرمقارب لما كانت عليه فرنسا قبلالثورة فقد كانت هناك ثلاثة عناصر منالمجتمع المدني القديم تسعى لتقليل تمزّق أوتشظّي المجتمع الإيراني وهي: الحالةالدينية الشيعية (الإقطاعالاكليروسي الشيعي)، البازار والبرجوازية التقليدية،التجمعات المدينية في عدد معين من أحياء المدنالقديمة التي كانت تحتهيمنة الجماعة السابقة. والى هؤلاء، يمكن أن يضيف المرءتجمّعاً مدينياً جديداً تمّ إيجاده بمسلسل الهجرةمن المناطق الريفيةوالمدن الصغيرة إلى المدن الأكبر، إذ لم يعد مدهشاً أو غريباًعندئذ أن يُقال بأن الطبقة الوسطى الجديدةالمتفجرة برهنت على أن يكونمثلها مثل المثل الذي يقال في الماركسيين وهو «كيسالبطاطس» بينما كانت الجماعاتالاجتماعية التضامنية الأخرى في التحالفقادرة على فعل شيء سياسي استعراضي ملحوظ،وقد اضطلعت بذلك في الحال.[90] أي في اللحظة المناسبة.** **احتفظ الشاه بالطبقة الوسطى الجديدة هذه تحت رقابة مستمرة من قبل الشرطة السرية ولميدعها تقيم أية تشكيلات أو تحظى بأيةتجربة سياسية. وأكثر من ذلك كانت قدرتها قد عُطلّت بجدية، لأن ضباط الجيش كانواعُزلوا عن بقية عناصرها. وبهذا فإنّالممثلين السياسيين لهذه الطبقة لم يتمكنوا بسهولة إنشاء أي تحالف مع الجيش الذيكان معرّفاً للشاه ونظامه بشكل دقيق ومركّز،فلم يكن أمامهم حينئذ إلاّ إقامة تحالف مع الكهنوت الشيعي.** **وفقاًإلى تيلي Tilly، المناضلون الذين عانوا من هاجس فقدانهم مواقعهم في نظامالحكومة، كانوا أجبروا، أي دُفعوا دفعاً إلى ردالفعل وهو الانتماء إلىعمل تضامني قهري. انه (أي تيلي) يلاحظ، وهو مصيب طبعاً، انهومنذ قرون كان الشكل المبدئي للعملالتضامني يتشكل عادة كنموذج رجعي. الشكر الجزيل والامتنان للتطور الاجتماعي، معذلك، إذ أن القضية لم تعد هكذا، بل صاررد الفعل عملاً تضامنياً مؤثراًفي العصر الحديث.[91]** **هذا التمييز المفاهيمي يبدو ذا قيمة مبهمة. عدد من الثورات المفككة في هذا البحث هيإما رد فعل أو سابقة لرد فعل. وفيالحقيقة، أنّ الفعل التضامني الذي صنّفه تيلي كردّ فعل لم يعدم فائدته أو أهميتهبعد منتصف القرن التاسع عشر، وانه ينسحبعادةً على التجمعات التقليدية العرقية العامة..** **وحيثما تتخذ هذه التعاونيات التضامنية العامة صفة التعاونيات الطبقية، فلا يمكناستخدامها في انتفاضة الطبقات الاجتماعيةوإنما لتهديدها أو تضعيفها. الثورة الإسلامية في إيران تنبهنا إلى الأهمية التي لاتُنكر لفعل رد الفعل أي الفعل الانفعالي فيالحركات الثورية للقرنين الأخيرين، بما فيها تلك التي أتخذها ماركس كنماذج لثوراتالطبقات الناهضة.** **هناك دليل فاتن على أهمية الفعل الارتجاعي للتعاونيات التضامنية التقليدية العرفيةفي الحركات الثورية والذي جاء حديثاً إلىدائرة الضوء. انه يختص بنفس الجماعات التي ألهمت ماركس نظرية الثورة ولكنها شوهّتفهمنا لتفسير الظاهرة لأكثر من قرن.** **إنّ أسطورة الطبقة الوسطى فيالثورتين الانكليزية والفرنسية كانت قد برزت منذ مدةوتحديداً من قبل هيكستر وكوبان Hexter and Cobban. تشخيص تريفر ـ روبر للثورة الانكليزية على أنها مجرّد ضمور أو يأسللطبقة الحاكمة الأرستقراطيةيحتوي على بعض الحقيقة ولكنّه مبالغ فيه كثيراً[92]. من ناحية أخرى، نحن نعرف الآن بأن ثوار عام 1789 لم يكونوا من البرجوازيينالرأسماليين[93] كما إن ثوار العقود الأولىمن القرن التاسع عشر في انكلترا ومثلهم ثوار عام 1848 لم يكونوا من طبقة العمالالصناعيين (أي الشغيلة). أن طبقة العمالالثوريين الانكليز كانوا في الحقيقة، في تلك الفترة يتشكلون من أصحاب الحرف وعمالالأعمال اليدوية الذين كانوا مهدّدين منقبل أرباب التصنيع الرأسمالي، وهذا يُعيد إلى الذاكرة حقبة العصر الذهبي لتعاونياتالمنتجين الصغار المرتكزة على الروابطالتبادلية والتعاون الأخوي المشترك.[94]** **دراسة حديثة حول هؤلاء «الراديكاليين الرجعيين» كما يُسميهم أحد المراقبين.** **تخلصإلى أن القيم الثقافية التقليدية والعلاقات العامة المباشرة والفوريةتُعتبرعناصر حاسمة للعديد من الحركات الراديكالية. وتُعتبر العلاقات العامةأسباباً مهمة للتعبئة إذ إنها تمكّن التجمعات التقليديةلأن تبقى معبئة لفترة طويلة في وجه الإقصاء المتعمدأو الفاقةوالحرمان.[95] أصحاب المحلات والحرفيين فرضوا سيطرتهم إبان حوادث العصيانالمسلّح في فرنسا في ثلاثيناتالقرن التاسع عشر 1830 [96]. نفس تجمّعالحرفيين هذا وكرّد فعل ضد الرأسماليةالصناعية والعمالية، والذي استقى مواقفهومصطلحاته الاجتماعية منالماضي، شكّل العمود الفقري لثورات 1848 في فرنساوألمانيا. في فرنسا، تجمعات السفرالإخوانية التي أدامت الحس التعاونيالتقليدي والتضامني للحكم السابق شكّلت العنصرالقيادي الثوري عام 1848. في ألمانياشكلّت تجمعات الحرفيين ظاهرة بارزةفي الحركة الثورية في نفس العام، بينما كانتالبروليتاريا هي الأكثر سكوتاً وهدوئاً فيجميع الوجوداتالاجتماعية[97].** **«الراديكاليون الرجعيون» ـ كما يخلص كالهون ـ «كانوا نادراً أو إطلاقاً، ما يقدرونعلى حيازة أية مكانة متفوقة في الثورات. ولكن وفي نفس الوقت، إنّ الثورات التي استحقت هذا الاسم لم تكن لتحصل بدونهم»[98]. مع الثورة الإسلامية،كانت هناك مجموعة من الراديكاليين الثوريين وتحت زعامة حراس العقيدة الشيعية،استطاعت أخيراً أن تنال حظاً من السيادةفي ما يُسمّى نظرياً التفوّق ،الأكثر إثارة ومتعة في الثورات الحديثة.** **دعنا نتحرك أكثر للتأمل في بعض الحركات التي لم يدرسها ماركس دارسة وافية.** **يوجد أولاً، الثوار المزارعون. على العموم، الثورة الإسلامية احتوت هؤلاء الثوار. إنها استدرجت التعاونيات التضامنية علىأساس الروابط العامة للقرابة والنسب، ونتيجة لذلك امتلكت مقومات دفاعية ومحافظةعديدة[99]. في المكسيك، كانت هناك ثورةفلاحين جماهيرية عام 1810 قادها الأب هيدالكو والأب مورلوس. وكلاهما من قساوسةالجماعة الأبرشية[100] Parish Priests في أسبانيا. كان هدف الكارلستيين في أواخر ثلاثينات عام 1830 قد وُصفبعنوان «إحياء الديمقراطية الرهبانية». إذ قاد رجال الدين جماعة اليوامنة الموفقة [101]Yeomanry من الباسكو والاراكونيز فينهضة عارمة للدفاع عن استقلالهمالذاتي المحلي وعبّروا عن غضبهم ضد السياسة المركزية وحصر السلطة بأيدي الحكومةالبوربونية[102]. في القرن الحاليكانت هناك ثورة الـ زاپاتا Zapata التي دافعت عن الاستقلال الذاتي للجماعاتالزراعية التقليدية ضد امتداد الهاسنداس فيالمكسيك مع جزيل الشكر إلى الثوار الزاباتيين (وقوانين 1915 و 1917) والىالكادريناس (1934 ـ 1940) والى الثورةالمكسيكية التي رسخت أمْن أجيدو وحافظت على الأموال الخاصة والعامة في القرى.** **ينبغي أن يُضاف أيضاً بأن حصيلة الثورة المكسيكية يمكن أن تكون أقلّ علمانية بكثير،وأكثر محافظةً لو كانت حركة كريستيروالتي نظمها القساوسة ووضعت الكاثوليك في خانق رد الفعل المضاد للسياسة المكتبيةللحكومة المركزية مع شعارها (يعيش الملكالمسيح) قد نجحت بين عامي 1927 ـ 1928.[103]** **إنّ الفكرة المتهافتة القائلة بأن الفاشية كانت حركة ثورية للطبقة البرجوازيةالضيقة الأفق قد وُضعت على الرفّ[104]. البرجوازية الصغيرة كانت بعض الشي أُقحمت في تمثيل معظم الحركات الفاشية وأنها بلاشك أيضاً أُقحمت إقحاماً في الثورةالإسلامية الإيرانية. ولكنها مُثّلت في كافة أنواع الحركات الراديكالية.** **نحن نجد «الناس الصغار» في الاضطرابات الدينية في فرنسا القرن السادس عشر على كلاالجانبين[105]. إننا نجدهم بينأولئك الرجال الذين اقتحموا الباستيل[106]، وكما كنا رأينا توّاً، إننا وجدناهم منبين راديكالييّ القرن التاسع عشر الذين شكّلواالطبقة العمالية الانكليزية ـ كما يرى إي بي ثومبسون E.P.Thompson.** **الدراسات المتأخرة ترينا بوضوح بأن الأحزاب الفاشية كانت دُعمتْ بعناصر من كافةالتشكيلات الاجتماعية وتحديداً منالتشكيلات المقصية والمطرودة وغير المصنّفة طبقياً. الشيء الأكثر أهمية في هذهالنقطة «الذي لم يناقش» هو أنّ قياداتالحركات الفاشية ترشحت بشكل غير مناسب عن الناس اللاطبقيين والمبعدين، من ضباطالجيش المسرّحين، ومن البيروقراطغير المستخدمين أي البطالين الذي لا مكان لهم (وخاصة أولئك المطرودين المهدّدينبالانسحاب من الحدود القومية) ومنالاورستقراط المبعدين.** **النازيون أيضاً لم يفشلوا في الطرْق على التجمعات التضامنية التقليدية العامةالتابعة للبروتستانت في الريف.[107]** **الفاشية الأوربية والحركة الإسلامية في إيران متشابهتان في كون قيادتهما منحدرة منعناصر مقصية، إلاّ أنّ هناك اختلافينمهمين:** **الأول: إنّ القادة الفاشست كانوا مجموعة متبايني العناصر والخواص، فيما كان رهط (الإمام) الخميني المناضلين يشكلونمجموعة متجانسة ومتضامنة.** **الثاني: إنّ الزعماء الفاشست لم تكن لهم سلطة فوقية على أيّ من الكيانات الثقافية،وكان عليهم الحصول على أفكارهم أينماوجدوها، فيما كان الكهنوت الشيعي يتشكل من أمناء وقيّمين أثرياء مشبعين بالتعاليمالدينية. إن عواقب هذه الاختلافات وآثارهاستصبح واضحة عند التطبيق على أرض الواقع.**

**جـ حركات اجتماعية نزيهة كردّ فعل على التفكك الاجتماعي: يمكننا العودةالآن إلى الأجواء التي سبقت الثورة، منها التفكك الاجتماعي والاضطرابالأخلاقي اللذان يعقبان التحوّلالاجتماعي السريع أو المفاجئ عادة.** **دعنا نبدأ بالاضطراب المعياري في المستوى الأكثر تجليّاً وظهوراً. الإسراف البيّنلدى الطبقة الاجتماعية العليا من الإيرانيينووفرة المجوهرات الثمينة أنتجت إحساساً حاداً بالحرمان النسبي بين مستخدمي الحكومةمن الطبقة الوسطى الناشئة، وكذلك بينالعمال من أصحاب الياخات البيض، ومعلمي المدارس. في بعض الأحيان، كان هناك عدمارتياح مضاف، من فاقة أو عوزمطلق ناشئ عن أزمة السكن المتفاقمة بسبب انهمار عدد كبير من العمالة الأجنبيةوالخبراء الأمريكان على إيران.** **في هذا السياق، يأتي من نافلة القول الحديث عن التذمر الواسع الانتشار بين عامي 1977 ـ 1978 كما يأتي مؤيداً لمنحنى ديفير J حول التوقعات والآمال المستمرة والمتصاعدة وما يرافقها من إحباط مفاجئ.[108] ارتفعت نسبة التضخم في دخل الفردالإيراني من 3ر30 بالمائة في عامي 1973 ـ 1974 إلى 42 بالمائة في عامي 1974 ـ 1975،بعد ذلك جاء الانهيارالاقتصادي، رغم، وبالأحرى، بسبب تدفق واردات النفط غير المنظمة والهائلة.** **الاختناقات القاسية في الأيدي العاملة الماهرة والصناعية أوقفت النمو الاقتصادي عام 1976[109]. المشكلة كانت أعمق جذوراًاذاً. فالمختبئ تحت الرغبة الشعبية للتحوّل الثوري هو الإرباك الجذري الذي كان أكثرمن الإحباط الظاهري للتوقعات المادّية. وكما أوضح دور كهايم ،أن «أزمات النجاح» أولدت الارتباك بخلخلة النظام المعياريالتضامني.[110]** **لا يوجد أدنى شك حول الفوضى الهائلة وفقدان النظام. الناتج عن التدفق الكبيرللبترودولار، تماماً كما هو الشك القليل حولالاضطرابات المشابهة في نيجيريا والمكسيك اليوم. الإحساس المترتب على الفوضىالأخلاقية والرغبة لتأكيد المساواة المطلقةلا ينبغي أن يُهوَّنان. هناك نقص ثقافي عام في أوساط المجتمع الإيراني ساهم فيصياغة إطار خاص لفوضى عامة وارتباكواضح بسبب الثروة الناشئة أو الثراء المفتعل والمركّز والذي سبّب رفضاً قاطعاًللآثار الثقافية الأجنبية واللادينية وجاء لحسابالملالي وتجار البازار.** **في أوربا، كانت الحركات الجماهيرية الاشتراكية والفاشية جزء من المواجهة غيرالعادية للتحرك السياسي المعبأ والحاشد الذياكتسح القارة الأوربية خلال العقود الأولى من القرن العشرين.[111]** **جاءت التعبئة السياسية كنتيجة لتحوّل اجتماعي أساسي انطوى بالتأكيد على تفكيكالبنية الإجتماعية بشكل واضح. إذْ استبدلالتحول الاجتماعي هذا أعداداً كبيرة من الأشخاص وأخرجهم عن المسار أو المراتب التينشأوا فيها. هؤلاء الأشخاص يحنّونبل يطلبون الانتماء لأطر جديدة في المؤسسة الاجتماعية. الحركات والفصائل الدينيةتعتبر قنوات عتيقة لإعادة ترتيب أوضاعهؤلاء الأفراد المفككين، فيما تُعتبر الحركات والأحزاب السياسية القنوات الجديدةلإعادة اللحمة الاجتماعية. الثورة الإسلامية أثبتت أنّ الجديد والقديم يمكن أن يرتبط ويشكّل شيئاً متكاملاً.** **التمدّن والتمدّد في التعليم العالي خلال العقدين اللذين سبقا الثورة هما البعدانالأساسيان للتحول الاجتماعي السريع والأكثرموائمة لحلّ الإشكالية. بين أعوام 1956 و 1976 زادت نسبة عدد سكان المدن في إيرانمن 31 بالمائة إلى 47 بالمائة (أي من 6 ملايين إلى 16 مليون). الهجرة السنوية نحو المدينة المعتمدة على نسبة هذا التحولالمفاجئ تشير إلى أنّ ثلث هذه الهجرةحصلت في العقد المحصور بين 1966 ـ 1976 وكانت الأعلى نسبة من هذه الهجرة في طهران.** **لوحظ في هذا العقد أيضاً اتساعٌ غير مسبوق في نسبة التحصيل أو التعليم العالي.** **أرقام الأشخاص من ذوي التحصيل العالي تضاعف إلى (حوالي 000/300) والزيادة فيالجامعات والمدارس الحكومية فيإيران بلغت ثلاثة أضعاف هذا العدد (أي إلى حوالي 000/150). هذه العوامل ساهمت بشكلفاعل في نهضة الحركة الإسلامية. آلاف الجمعيات الدينية ظهرت إلى الوجود تلقائياً في المدن والجامعات وراحت تفعلفعلها في تحريك آلية التكامل الاجتماعي،وبنسبة عالية في أوساط المهاجرين داخل المدن من الجيل الأول لطلاب الجامعات[112]. على النقيض من ذلك، كانت محاولةالشاه الموازية لهذا الفعل والقاضية بتوحيد نفس الجماعات وضمّها إلى منظومتهالسياسية ذات الحزب الواحد قد برهنت علىخيبة أمل وإفلاس.** **لا يوجد شيء جديد حول الرجال والنساء المقصييّن أو المخلوعين لأن يجدوا ملاذاتومراسي جديدة في الجماعات الدينيةوالفصائل والحركات العائدة إلى الحياة.** **في انكلترا مثلاً أصبح العديد من الرجال المبعدين منتسبين إلى جمعيات ومنظماتالقرنين السادس عشر والسابع عشر[113]. في أوائل أعوام 1570 الطبقات البرسبيتارية كانت مشخّصة ومحصورة بالناس العاديينالعاطلين عن العمل، ولكن بين 1620و1630 كانت محاضرات البيورتان (المتطهرون) قد تجذرت في المدن لدرجة مدهشة، الأمرالذي أرعب الكنيسة الانكليكانية. أصبح الناس العاديون هم حماة ومموّلو المحاضرين البيورتان ،وان الجماعات المتكتلةحول الصنف الأخير أصبحت «نماذجللمنظمات الحزبية الأيديولوجية»[114] المعاصرة.** **الموقفيشبه كثيراً نمو الجمعيات الدينية العادية في إيران في الستينات وأكثر منهفي السبعينات، حيث كان رجال الدينيحاضرون ويخطبون. في البداية أخذتالمسألة إطاراً شخصياً وعندما تطلّب الأمر التوسعتحوّلَ عبر أشرطة الكاسيتوالمسجّلات لتحاشي المستمعين في المدينة. نحننجد مرادفاً قريباً في النهضةالميثودية[115] (المنهجية). في القرن الثامن عشروبداية القرن التاسععشر ـ اندمج المهاجرون إلى المدن الصناعية الحديثة في انكلترامع جمعيات وخطباء ومبلّغي الميثودية. وهنا فإنّ منهج التكامل في الوحدةالاجتماعية يبرّز الوجه المنطقي الاجتماعي فيأطروحة هالفي الشهيرة. القائلة بأن عودة الحياةللميثوديين أحيتالجماهير المتمدنة حديثاً وصهرتها في وحدة اجتماعية متكاملة، حالتدون وقوع الثورة في انكلترا.[116]** **الفاشية، أيضاً، عملت كعربة أو وسيلة لتوحيد أو صهر المهاجرين المدنيين في وحدةاجتماعية متماسكة. في ألمانيا مثلاً، «العديدمن المدنيين الجدد فشلوا في إتمام ملاكاتهم الثقافية ،أي انسجامهم مع حياة المدينة،وبدلاً من ذلك ،بقوا أشداء بشكل غريب تجاهالرومانسية الزراعية والأيديولوجيات الشعبية[117] Volkisch Ideologues. نصف زعماءالحزب النازي في الهرمالقيادي كانوا ولدوا في قرى كبيرة»[118].** **منهج البيوريتان Puritanism ومنهج محو الأمية سارا جنباً إلى جنب. ونفس الشيء جرىويجري مع تنامي المقدسالإسلامي. أما مذهب العصمة الإسلامي.[119]** **Islamic Fundamentalism فقد انتشر في الجامعات الإيرانية تماماً كما انتشرتالبيورتانية في جامعتي أكسفوردوكامبردج[120]. العديد من الناشطين الإسلاميين في السبعينات الذين شكّلوا علىالتناوب المسار الثاني للحكم الإسلامي،اكتشفوا «الإسلام الحقيقي»في التجمعات الجامعية ،تماماً كما تمّ إحياء كروميل Cromwell في كامبردج.** **الفاشية انتشرت في الجامعات الأوربية بنفس النمط طولاً. وفي أوربا الشرقية تحديداً،شكّل طلاب الجامعة والناشطين الشبابمحور الأحزاب الفاشية وقياداتها. الفاشية الرومانية سارت على نفس النمط في هذاالسياق. في أوائل العشرينات من عام 1920،كان كولورانو وموتا، هما المؤسسان الرئيسيان للمنظمات الجامعية للإصلاح المسيحيوالإحياء القومي في جامعات إياسي lasi وكلج [121]Cluj، بشكل خاص.** **إنّ الجمع بين التعليم العالي والتفكك الاجتماعي يحظى بأهمية خاصة عند توضيح موضوعتسييس الحركات التوحيدية. فمفتاحالتشكّل الاجتماعي للناشطين الجامعيين الإسلاميين في السبعينات 1970 هو أنهممنحدرين إما من الضواحي الصغيرة إلى المدنالكبيرة حيث يذهبون إلى جامعاتهم، أو إنهم كانوا الجيل الأول المنحدرين من الطبقةالوسطى التقليدية الدنيا بحضورهم إلىالجامعات أيضاً أو كليهما.[122]** **هؤلاء الشباب هم الذين بثّوا الوعي السياسي الثوري في فضاء الإحياء الإسلاميللستينات والسبعينات 1960، 1970 وبنفسالطريقة التي قام بها رجال الريف المثقفون في انكلترا، وساهموا فيزرع الوعي السياسيالثوري في صفوف البيوريتانية. المقارب لذلك مع الفاشية الرومانية كان أكثر تجلّياً، وهذا ما أشار إليه القائدالحديدي الراحل (سيما Sima) حيث قال: «فيعامي 1926 ـ 1927 اكتسحت جامعاتنا موجة كبيرة من الشباب من أصل فلاحي ،وقد استصحبوامعهم إحساساً وطنياً عارماًوكانوا بهذا يدمّرون آخر معقل من معاقل الروح الأجنبية في بلداننا وجامعاتنا»[123]. وفقا إلى اگوين ويبر Eugen Weber، «قيادات كثيرة العدد جاءت من ضواحي المحافظات، وكانوا قد تمدنوا تواً وشكلواالانتلجينيسيا (أي طبقة المثقفين) أبناء أو أحفاد فلاحين، ومعلّمو مدارس، وقساوسة».[124]. ماكس وبر Max Weber أشارمرّة أنه مع مجيء جمهورالسياسيين المعاصرين، فإنّ ظرف الهيمنة الإكليريكية نفسه قد تبدّل، «فلم يكن هناكخيار أمام الكهنوت سوى تأسيس منظماتحزبية واستخدام وسائل مدمّرة شأنها شأن الأحزاب الأخرى»[125]. التمدن السريعوالمفاجئ، وفشل الشاه لتعبئة عناصرمتجذرة، وخاصة العناصر المعبئة اجتماعياً، أو العناصر المثقفة، الحديثة النشأة فينظامه السياسي، قدّمت (للإمام) الخمينيوالكهنوت الشيعي المنـزوي فرصة لا نظير لها لإيجاد حركة سياسية جماهيرية ثورية. وبتوظيف الشبكة المنظمة للحوزاتالدينية العاطلة عن العمل، وجنباً إلى جنب مع طلبة الجامعة الإسلاميين، استطاع رجالالدين بفترة قياسية استخدام عامل الزمنوتنظيم مظاهرات جماهيرية حاشدة مناهضة للشاه مع البازار الذي أعد لإضراب عام وبفترةقياسية لم يسبق لها مثيل. كل هؤلاءربما كانوا قادرين على إسقاط نظام أقوى من نظام الشاه، وهذا ما لا نعلمه علىالإطلاق، الأكيد الذي نعلمه فقط هو أنّ هذاالإضراب الذي تزعمه رجال الدين، كان أسقط النظام البهلوي الهشّ وأزاح حاكمهالمترنح.**

**د ـ الدوافع السياسية والأخلاقية لأنصار الثورة، وضعف أهميةالحافز الطبقي:** **الدافعالسياسي يمكن تعريفه بأنه المحفزّ الداعي لاستلام السلطة، أو الاستحواذعلىوحدات سياسية ومؤسساتية مهددّة أومنـزوعة الملكية أو وحيازة العضويةعلى قدرة سياسية معينة تسعى للسيطرة على المجتمعسياسياً. من الجانب السلبي، الدافعالأخلاقي الداعم للثورة يمكن أنيتشكل من اتّهام النظام الحاكم بأنه غير عادل، أولأنّه مستسلم للقوى الأجنبية، أو انّه أداة لنشرالثقافة الدخيلة وسحقالقيم التقليدية الأصلية، وكذلك سحق القيم الثقافية والدينيةالحقيقية.** **الاتهام الأخلاقي لأي نظام حكم في كونه غير عادل، يعود بالأساس، مجسّداً للطغيان أومسبباً للفاقة والحرمان. في الجانبالايجابي، الدافع الأخلاقي المؤيد للثورة يمكن أن يترشح عن قبول الأسطورة الحديثةالقائلة بأن الثورة فعلٌ إنقاذيّ شامل.** **وبالتالي فإنّ المصلحة الطبقية يمكن أن تمثل دور الحافز في إسناد الثورة إذا كانتالمصالح الاقتصادية لطبقة ما (كما هو تعريفهافي سياق موقعها في نظام العملية الإنتاجية) مضمونة أو تمّ الوعد بضمان حمايتها. فيهذا الإطار، دعنا نتفحّص الدوافع التييمكن أن تكون ساهمت في بناء التشكيلات الاجتماعية التي دعمت الثورة ضد الشاه.** **إنّالدوافع السياسية والأخلاقية متداخلة بشكل قوي في الاتجاه المفاهيمي للكهنوت الشيعي. فالاهتمام المادي الأول لدى الزعماءالدينيين هو استعادةالامتيازات والمواقع التي افتقدوها نتيجة تركيز وتحديث الدولة. وهذا ما تبين فعلاً مع الزعماء الدينيينالمناضلين الذين انحدروا منخلفيات مدينية تقليدية، والذين كانت أعمارهم فيالأربعينات أو الخمسينات أيام الثورة، وكان لديهموعياً حاداً وحساسيةمفرطة تجاه استبعاد وإقصاء الوجود الديني الشيعي من قبل نظامالحكم البهلوي. رجال الدين الأصغر سنّاًالمنحدرين من بيئات أقل تواضعاًفي الريف والمدن الصغيرة شاهدوا كلّ المنافذالمؤدية للارتقاء إلى مستوى الطبقة الاجتماعيةالعليا من الناس في نفسمواقعهم أو وظائفهم، والمحصورة في أعوان الشاهوحاشيته[126]. أنهم كانوا يتوقعون حكومة إسلاميةتمنحهم رقياً اجتماعياًسريعاً ومشاركة كاملة في النظام السياسي.** **كلا الصنفين، الزعماء الدينيون، وطلاب العلوم الدينية المناضلون، كانوا ساخطينأخلاقياً على انتشار الفساد الأخلاقي وانتشارأجواء التحرر والثقافة الدخيلة تحت ظل النظام البهلوي.** **في عبارة مهمة لنجل (الإمام) الخميني كان عرّف فيها الأعضاء المحافظين في الحالةالدينية الشيعية من الذين ساندوا الثورة ضدالشاه بأنهم أشخاص كانت دوافعهم أخلاقية محضة.[127]** **إنّالدوافع السياسية والأخلاقية هي الأخرى متداخلة بالنسبة إلى الناشطينالإسلاميين السياسيين. الجيل الأول من هؤلاء الطلبةالجامعيينوالخرّيجين المنحدرين من الطبقة الوسطى الأدنى. والذين معظمهم أصحابتخصصات علمية وهندسية، لاحظواأنفسهم معارضين من قبل الأنساق العلياالمتغرّبة في المجتمع ومن قبل أصحاب المواقعالحكومية العليا. إنهم أيضاً كانوامدفوعين برغبة شديدة لإزاحة هذهالعوارض أو دفعها إلى طاقتها الحركية الاجتماعيةالعليا. أنه من الضحالة بمكان إدخال أيةمصلحة طبقية في هذا التجمعالبرجوازي الشاب المدلّل، باستثناء رغبة أكيدة للحصولعلى القوة والدخول في النظام السياسيوالترقي في السلّم الاجتماعي ووضعنهاية للجو الثقافي الذي وجدوه غريباً وغير مألوفوازدروه بعمق.** **إنّ دوافع الطبقة الوسطى الجديدة إذن كانت سياسية وأخلاقية على حد سواء.** **العديد من أعضاء هذه الطبقة من النساء المعبئات حديثاً ومن اللواتي شُخّصن بشكلواضح في المظاهرات المضادة للشاه وكُنّيُردن مشاركة ما في المجتمع السياسي كُنّ يُعبّرن عن حكومة الشاه بأنها حكومة طاغيةومستبدة وظالمة وبالتالي قبلن بأسطورةالثورة. مع ذلك ومما يجدر ذكره، أنّ نفوذ وتأثير الأسطورة السياسية للثورة همااللذان دفعا الطبقة الوسطى الجديدة وخاصةالنساء للمشاركة في حركة الثورة الإسلامية ضد مصالحهن الطبقية، وفعلاً بشكلانتحاري.[128]** **البرجوازية التقليدية المتكونة من تجار البازار وكذلك البرجوازية الصغيرة من تجّارالتوزيع والحرفيين في نقابات البازار،ومنها الاتحادات المهنية والنقابية هي الجماعات الوحيدة التي تعتبر مصلحتها الطبقيةدافعها الأول لقلب نظام الشاه. هذهالجماعات شعرت بالتهديد من قبل السياسات الاقتصادية المتطورة للدولة التي أبعدتهم ـكما أبعدت غيرهم ـ من الوصول إلىمساحة الأمان السهلة. أنهم كانوا يخشون أيضاً زحف آلة الاقتصاد العصرية علىمقاطعاتهم في إطار منافسة البضائع المصنّعةآلياً، ويخشون كذلك زحف شبكة توزيع الأسواق الحديثة والمخازن ذات الصلة.** **يُضاف إلى هذا الدافع الطبقي المصلحي، إحساس بالحرمان النسبي بسبب الأرباح الهائلةالتي يجنيها أرباب الصناعات القريبينمن البلاط، فضلاً عن الازدراء الأخلاقي المتنامي الذي استفزه عدم احترام الإسلاموالقيم التقليدية بسبب غزو الثقافة الأجنبيةوغارتها غير المهذّبة على الدين.**

**2- غائية الثورة الإسلامية**

**أ ـ الصرامة الأخلاقية والبحث عن الأصالةالثقافية: ان حقيقة كون الحركات الاجتماعية التكاملية هي ردود فعل للتفككالاجتماعي والفوضىالمعيارية توضح الدور البارز لبحثالناس عن الأصالة الثقافية وصرامتهمالأخلاقية.**

**«الفاشية كانت ثورة، ولكنها ثورة قرأت نفسها في مصطلحات ثقافية وليساقتصادية»[129]. وهكذا نفس الحقيقة مع الثورةالإسلامية حيث وجدت نفسها فعلاً وبالتأكيد في إطار هذه المصطلحات، حتى لو لم تكنموضحّة في الثورة الثقافية الإسلامية،ضد التغريب وضد الشيوعية (الشرقية) الكافرة وقد دُشّنت بإغلاق الجامعات في أبريل 1980. منذ الثورة، بدأ نظام القضاءالعلماني يؤسلَم منظومياً، الدستور الشيعي المقدس بدأ يُصنف لأول مرّة في التاريخ. الأخلاق الإسلامية وحجاب المرأة أُقحما بشدةفي الوسط الاجتماعي من قبل جماعات طلابية رسمية متخصصة وواعية أُنشئت لهذا الغرض.**

**لا يمكن للأفراد والجماعات المرتبكة والمقصية أن تُدشَّن في منظمات اجتماعية بدونإيجاد (أو إعادة إحياء) نظام أخلاقيمعين[130]. يؤكّد وولزر بأن البيورتانية كانت مبدأياً «انعكاساً لفوضى المرحلةالانتقالية». «رانولف Ranulf»[131] شخّص بشكل صريح الصرامة الأخلاقية عند النازية، وقارنها مع البيورتانية[132]. الأخلاقية الحادة والضاغطة والقمعيةللتحركات الإسلامية والتي تأتى كرد فعل للتحلل الأخلاقي والفوضى في نظام بهلوي تجدمقارباً قوياً في أخلاق البيورتان في ردّفعلهم ضد التحلّل القيمي والحساسية المفرطة تجاه الثقافة الرينايسانية، وهكذا فيالأخلاق النازية في رد فعل مشابه ضد انحطاطحقبة وايمر Weimar period. علاوة على ذلك ،إن الرفض الضيّق الأفق للأممية يعتبرمعْلماً شاخصاً من معالم الثورةالإسلامية والنازية، وخاصة الفاشية الأوربية الشرقية[133]. ان الرفض العنيف للتغريبالثقافي لصالح إحياء المسيحية فيرومانيا وهنغاريا يجد نظيراً له في تخطيط (الإمام) الخميني المنظم والموفق لاستئصاللوثة الثقافة الغربية بتأسيس منظومةأخلاقية إسلامية جديدة.**

**ب ـ الأيديولوجية الثورية وتبنيها من قبل الأجيال اللاحقة: إنّ الثوراتالأوربية الأولى المعاصرة صُممت من قبل رجال كانت كلمة (إحياء) هيالمفتاح لديهم، والذين «كانوا يعيشونهاجس كلمة الاستبدال والرغبةللعودة إلى النظام القديم في المجتمع». كما أن الغائيةالمرتبكة لهذه الثورات كانت تلاحَظ فيغياب الأيديولوجية المؤطرةبالدستورية القومية أو الوطنية والتي هي بشكل رئيسالاحتفاظ بهيمنة المنظمات الاجتماعيةوالمهنية[134]. في الثورةالانكليزية، مع الطبيعة، والمصدر ،وأرضية الشرعيةالسياسية ـ كان هناك سيل جارف من الدعاوىوالمزاعم التي لا يمكن تحاشيهافي إثبات الشرعية وبكل الأشكال والألوان وعلى جميعالأرضيات والمستويات القديمةوالحديثة»[135].** **ومع ذلك كان هناك عنصران قد هيمنا على غائية الثورة الانكليزية، وهما: الحالةالبرلمانية،والبيورتانية وإفرازاتها.** **وإذا كانت الثورة الفرنسية قد أسستأو أوجدت شيئاً مشتركاً لجميع الثورات اللاحقة،فهو حضور الأيديولوجية ـ إنها أولدتاليعقوبية [136]Jacobinism كإطاركلاسيكي من رحم الأيديولوجية الثورية المعاصرة. أنأفكار التمثيل الدستوري، والهيمنةالوطنية والقومية تمّت مضاعفتها فيالبداية. وكلما تقدّمت الثورة، مع ذلك، فإنّالمرجعية في الشرعية قد تتحوّل من تمثيل الطبقةالعليا إلى التجسيدالرمزي لإرادة الجماهير. إنّ دعوى تجسيد إرادة الأمة كمفردة فيوجود متجانس يمكن أن تمرّر فقط من خلالالتلاعب بمصطلحات اللغة وإشعاعهاالعالي.** **لقد أصبح التمثيل المزعوم لإرادة الجماهير هو القاعدة الوحيدة والمرتكز الأساسللشرعية. فأثناء حقبة الارتقاء اليعقوبي،انتصرت الشرعية الثورية، ومع انتصارها كانت الأيديولوجية الثورية «قد ملأت بالكاملأجواء القوة وأصبحت متساوية فيالامتداد مع الحكومة نفسها»[137] إنّ تقطير التجربة اليعقوبية كان الأسطورةالسياسية المعاصرة للثورة. بعدها أصبحتالشرعية الثورية مستقلة ذاتياً ولها برنامجها الخاص في الاكتفاء الذاتي.** **الثورات في القرن التاسع عشر، أصبحت «معالم واضحة في مسيرة إنسانية عنيدة باتجاهالحرية الحقيقية والأمميةالحقيقية»[138]. اللينينية ربطت هذا المفهوم للثورة مع الأسطورة اليعقوبية، إذأصبحت تجسيداً للاستيلاء على السلطة من قبلالثوريين الذين يزعمون أنفسهم مسؤولين عن إدراك المرحلة القادمة للتحول التاريخيالاجتماعي.[139]مع اندماج الماركسية ـاللينينية في روسيا، تمكّنت الأيديولوجية الثورية اللينينية «فرض سيطرتها على قراءةتاريخ العالم»[140]. إن هذه الهيمنة التيتمّ تحدّيها من قبل الفاشست والثوار الإسلاميين حتى أثناء قيامهم، مثل البلشفيك،جعل أسطورة الثورة فعلاً إنقاذياً لتحريرالجماهير والأمم المضطهدة.** **كلاهما، الفاشية والحركة الثورية الإسلامية، باتتا ملتحقتين أو متأخرتين عن المشهدالسياسي العالمي المعاصر، وبما إنهما هكذا،فهما يقتسمان عدداً من الملامح الضرورية. وأول هذه الملامح، وفي مقدمتها، ما يتعلقبأسطورة السياسة الشرعية للثورة.** **الفاشست الإيطاليون كانوا يتباهون بـ (صلابتهم الثورية) ،والنازيون بمعارضتهملثورتهم. ثورة الشعب الألماني هي الأخرىسُميت الثورة (فوق البشرية)لعام 1789[141].وعلى نفس الشاكلة يفتخر الثوارالإيرانيون كثيراً بالرسالة التاريخية للثورةالإسلامية.** **«العاملالاقتصادي كان عاملاً وعلى الأقل من أهم العوامل المعتبرة عندالفاشست»[142].ونفس الشيء مع الثورة الإسلامية. ( الإمام) الخميني فياستجابته لحالة الوضع الاقتصادي، أشار في إحدى المرات قائلاً: «إننا لم نقُم بالثورة الإسلامية من أجل أنيصبح البطيخ رخيصاً». بلأكثر من ذلك، ومثل الفاشست الأوربيين، كان هدف المناضلينالإسلاميين هو توحيد جميعالطبقات، بمن فيها الطبقة العاملة، في وحدةوطنية أو قومية متماسكة. استبدلالفاشستيون كلمة (أمة) بـ (طبقة) وطورّوا مفهوم ( الأمم البرولتيارية). وهكذا استُبدل الصراع الطبقي بالصراع بين الأمم والشعوب،والأغنياء ضد الفقراء. مع الثوار الإسلاميينفي إيران لدينا نقلة مماثلةلمفهوم الاستغلال من قبل طبقة لطبقة أخرى إلى استغلالالمستضعفين، أي استغلال الشعوبالمستضعفة من قبل الدول الامبريالية أوالمستكبرة.[143]** **إنّ حقيقة كون الفاشية ملحقة أو متأخرة، ما يكتب لينز Linz «يساعد جزئياً على توضيحالشخصية المضادة الضروريةلأيديولوجيتها وفتنتها» علاوة على ذلك، «انه لمن التناقض أن نجد لكل رفض تآلفاً بينالعناصر المرفوضة»[144].** **إنّ حركة الثورة الإسلامية في إيران شأنها شأن الفاشية، كانت عرضت أطروحة جديدةللرؤى أو المناهج السياسية التي هاجمتهاهي نفسها بعنف، كما أن المناضلين الإسلاميين شأنهم شأن الفاشست صاروا ضدالديمقراطية لأنهم يعتبرون الديمقراطيةالليبرالية نموذجاً أجنبياً يمكن أن يمنح مناهج محددة للتعبير الحر ويفتح الطريقأمام الآراء والأفكار الدخيلة. (وكذلك مثل الرجال‏الفاشست ،إنّ المناضلين الإسلاميين بالضرورة لا يقبلون اللافتة المضادةللديمقراطية)[145].** **وعلى نفس المنوال فإنّ كلتا الجماعتين ضد البرجوازية، وهما يمقتان التوجه الوحدويالعالمي للطبقة الوسطى الجديدة (أيالعولمة)، كما إن كلتا الحركتين ضد الماركسية، أي ضد الشيوعية وضد الاشتراكية،بينما نراهما يتبنيّان الأفكار ويرفعانالشعارات التي تدعو إلى العدالة الاجتماعية والمساواة.** **حركة الثورة الإسلامية تمتلك امتيازا خاصاً مضافاً إلى امتيازات الفاشية مع ذلك،وهو الجمعبين (محو الشخصية) والتقليديةالقوية. وهنا يمكن أن نرى نتيجة الحقيقة القائلة بأن قادة الثورة الإسلاميةالمقصيّين والمعزولين كانوا متناقضين كأفراد ولكنمتجانسين‏كجماعة متضامنة.وأكثر من ذلك تراهم يشكّلون جماعة متماسكة حافظت علىالعقيدة الدينية الشيعية. على‏النقيض منالنازية (الثورة ‏النيهيلية» Revolution of Nihilismالتيكانت في حاجة ماسة إلىالعقيدة الفكرية اليابانية الخاصة. كما فيكتابات زعماء الفاشية وحركة النظام الجديد في نهاية الثلاثينات 1930)[146]، يرىالبعضان الثورة الإسلامية جمعت بينرفض الأيديولوجيات السياسية الغربية الغريبة مع تأكيدها الشديد على التعليم الدينيوالثقافي الإسلامييْن، ولذلك فإنني وصفتها بـ «التقليدية الثورية»[147].** **بالإضافة لملامح محو الشخصية والملامح العرضية الأخرى، فإنّ الفاشية والحركةالإسلامية الثورية كلاهما يمتلكان محوراًدستورياً واضحاً. ومع أنّ العنصرية ومناهضة الساميّة كانا أكثر الملامح قبحاً فيالفاشية الأوربية، ولكن، وكما استطاع موسى Mosse والآخرون إثباته أنها ليست منافساً محورياً للثورة الإسلامية.** **القطبالدستوري للفاشية الذي يتماشى مع الفاشية الأوربية ويستمر متعايشاً بأطروأشكال مختلفة كقوة أيديولوجية متينة في العالمالثالث هو الجمع بينالقومية والاشتراكية. وهذا ما ثبّته جورج فالويس عام 1925حينما قال: «القومية + الاشتراكية = الفاشية». فالتزاوج بين القوميةوالاشتراكية قد تمّ بعد الحرب العالميةالأولى.[148] هذه الحقيقة تجاوزت بكثير الظروفالخاصة في المنهجالاستبعادي، لأي قطر أوربي، ولهذا السبب دخلت أوربا الحرب. لقد تمالوصول إلى هذه الحقيقة بواسطةزعماء فاشست مختلفين ومن أقطار أوربيةمتباينة، كما تم الوصول إليها بشكل مستقلبواسطة عدة أيديولوجيات في العالم الثالثمنذ سنة 1945.** **هناك معْلم تحملّي للأيديولوجية الفاشية هو إصرارها على واقعية الأمة وافتعاليةفكرة الطبقة. بالنسبة إلى الفكرة السطحيةالباهتةلما يُسمّى الصراع الطبقي المستمر، يرفض المفكر الفرنسي مارسل ديت شعار الملكيةويدعو للوحدة الاجتماعية غير الفاسدة أوغير المتعفنة التي يسببها الصراع الطبقي أو التفكك التجزيئي. «الرجل الكامل فيالمجتمع هوا لكامل بلا صدامات، ولا انبطاح،ولا فوضى»[149].المفكرون القوميون العرب راحوا يبحثون عن الاستفادة من شعار الملكيةالدولية باستبدال الطبقة بالقومية. أنصار الأيديولوجية الإسلامية كانوا بحاجة فقط إلى اتخاذ خطوة واحدة أبعد لاستبدالالقومية بالأمة أي جمهور المسلمينالمؤمنين.** **وبهذا فإنّ ظهور الأيديولوجيات الثورية الإسلامية كان ضمن البرنامج المطروح منذالحقبة الفاشية.وبصرف النظر عن ورطةالإقطاع الديني الشيعي المصادر في إيران.** **إنّ الأخير لم يستثمر الاستقلال الذاتي المؤسساتي ولا الاستقلال في تجربة السلطةالدينية الشيء الذي كان رجال الايديولوجيةالسنّية الإسلامية مثل رشيد رضا يحلمون به فقط. لقد كان بطيئاً جداً إيجادأيديولوجية مناسبة تدافع عن نفسها ضد الدولة. فيالحقيقة، إنّ الأيديولوجية الإسلامية كان تشكلّت في مكان آخر من قبل الناشرينوالصحفيين والكتاب أمثال المودودي (المتوفيعام 1979) في باكستان الهندية، وسيد قطب (المتوفي عام 1966) في مصر. يتشكّل جوهرهذه الأيديولوجية في عرض الدولةالعلمانية ويتجلى كصنم أرضي يزعم الجلالة التي هي للّه‏ فقط. وعندما نهض (الإمام) الخميني أخيراً ضد الشاه ،فإنه استوردالأيديولوجية الإسلامية من الباكستان ومصر كمادة خام أو بضاعة حرة.** **في 1926، وفي عمل جاد سبق معظم التحولات الأيديولوجية للعقدين الماضيين، كان الشابالمودودي آنذاك قد أعلن قائلاً: « أن الإسلام أيديولوجية ثورية وممارسة ثورية تهدف إلى تدمير النظام الاجتماعي للعالمبشكل كامل وإعادة بنائه من الحطام..» الجهاد (أي الحرب المقدسة) أشارت إلى النضال الثوري هذا. تصوّر المودودي العالمالمعاصر وكأنه ميدان «صراع بين الإسلامواللإسلام» إذ يقرن الأخير مع جاهلية ما قبل الإسلام والكفر. المذاهب الحديثةوالفلاسفة السياسيون تمت مقارنتهم مع الكفروالجاهلية، وأنّ هيمنتهم السابقة جعلت عورة الإسلام إلى الحياة مسألة ضرورية.** **بعد عقود قليلة، المصري سيد قطب تبنّى فكرة التناقض بين الإسلام واللإسلام،مستعيراً فكرة الجاهلية من المودودي وجاعلاًإياها حجر الزاوية في أيديولوجيته الإسلامية الثورية. بقبول الناس للدول العلمانية،تعتبر المجتمعات المسلمة المعاصرةمجتمعات جاهلية. ومن أجل اجتثاث هذه الجاهلية من هذه المجتمعات، يجب أن تؤسّس حكومةإسلامية عليها تطبيق الشريعةالمقدسة، ومن أجل تأسيس حكومة إسلامية، أي إقامة حكم اللّه‏، تصبح الثورة الإسلاميةضرورية.[150]** **الفكرة الشيعية الاكليركية الواضحة حول الحكومة الإسلامية، ومن أجل أن تفهم أبعادثورة 1979 يمكن القول إنها لم تكن متأثرةمباشرة بالاتجاه الإسلامي السنّي وانها يمكن أنْ تفهم بشكل أفضل في سياق النضال بينالكهنوت الشيعي والسلطة المركزية التيبحثناها آنفاً.ورغم انها بدعة في التاريخ الشيعي الا ان فكرة (الامام) الخميني فيالحكومة الإسلامية وضعت موضع التنفيذ عام 1979 وفي الإطار المرجعي الشيعي التقليدي ولا تتجاوز أي مبدأ للابتداع الأيديولوجيلكل من المودودي وقطب. انها ببساطةوسّعت السلطة العامة للفقه وحكم الفقيه وفي إطار حقه الطبيعي في الحاكمية ليضمن حقهفي الحكم[151].** **ومع ذلك فإنّ أفكار المودودي وقطب كانت قُرئت بشراهة في الترجمة الفارسية والعربيةمن قبل أتباع (الإمام) الخمينيالمناضلين الذين تبنّوا الفكر الثوري المتطرف القائل بأن الطاعة للدولة العلمانيةالتي لا ورع فيها لا تقوى، (وفي هذه القضيةهي دولة الشاه)، إنما هو أقرب إلى عبادة الأصنام. إن تركيز هذه الفكرة لا جدال فيهفي شعارات الثورة ونشرياتها وأدبياتها،وأكثر ما يُلاحظ هنا هو استخدام مصطلح الطاغوت (القوة الأرضية غير الآلهية) ويُقصدبه النظام السياسي البهلوي. وقدأصبحت آثار ذلك أكثر عمقاً وتجذراً منذ إقصاء المعتدلين والحداثتيين الإسلاميينعامي 1980 ـ 1981 كما أصبح ذلك معروفاًبشكل واضح تماماً في خطاب النخب السياسية القائمة في الجمهورية الإسلاميةالإيرانية.** **وأكثر من ذلك، إنّ آية اللّه‏ صافي[152] لا يجد صعوبة ولا يرى ضيراً بدمج محاسنأفكار المودودي وقطب مع الأفكارالإكليريكية (للإمام) الخميني. فبالنسبة له، أن حكومة الفقهاء ونيابة الإمام الغائب (المختفي) هي الحكومة الحقيقية للّه‏ علىالأرض المنذورة لتنفيذ حكمه (سبحانه). إنّ جميع الأنظمة السياسية السابقة ليستإلهية وإنما أنظمة جاهلية وطاغوتية. إنّ الثورةالإسلامية ستستمر حتى الإطاحة بجميع هذه الأنظمة.[153]**

**ج ـ القديم والجديد في التقليدية الثورية والعلاقة غير الغائية:**

**بالتقدم ينبغي على الثورة الإسلامية في إيران أنّ تُلفت أنظارنا إلىالأهمية المهملة للعناصر الرجعية والانفعالية في جميع الثورات. إن أيديولوجيةالثورة البروليتارية، كما بيّن لنا مانهايم تنطويعلى الكثير من العناصر الرومانسية والنقد الرجعي للتنوير[154].** **من جانب آخر، إنّ النازية في كلا بُعديها كما أصرّ المحاورون والمؤرخون (وخاصةباچلر)، تحتوى على العناصر الثورية كما تحتوي على العناصر الرجعية.[155]**. **الثورة الإسلامية أفرزت تعليقاً ساخراً على السجال الساخن بين المؤرخين حول ما اذاكانت الثورات الأوربية المبكرة المعاصرةمحافظة أم ليبرالية، رجعية أم تقدمية.**

**وإنها أكّدت أيضاً أنّ الثورات غالباً ما تُستنزف في الدفاع عن القيم التقليدية.** **باچلر كان مصيباً حين قال: «على عكس الظاهر والاعتقاد الشائع، أنّ الثورات المحافظةتدعم من قبل النخبة أقل مما تُدعم منقبل الجماهير»[156] ليس غريباً أن بعض العناصر الغائية المهمة في الاكليركية كانتتزّعمت انتفاضات شعبية مثلالكارلزمية Carlism وحركة كاسترو[157] ووجدت رنيناً لها أي صدىً في الثورةالإسلامية في إيران، منها رفض الأجنبيوآثار القيم الأممية، واعتراض شديد ومتطرف للسياسات اللادينية للحكومات الحداثتية،بما فيها الكافرة طبعاً.** **فكرة ماركس الشهيرة القائلة بأن الثورة الفرنسية تحاكي الجمهوريين الرومان لأنهم لميكوّنوا بعد لغة سياسية خاصة بهم، ليسبالضرورة أوتوماتيكياً تعميمها. أن الثوار الذين يرسمون صوراً تقليدية يمكن أنيختلفوا بشكل كبير في معرفتهم للتقليد، أوتعريفهم الرسمي أو الوظيفي له. آيات اللّه‏ في إيران كانوا الحراس الرسميين للعقيدةالشيعية وعرفوا الطريق إلى فلسفة التشريعلهذه العقيدة. وقد برهنوا وبجهودهم الحثيثة في السنوات الست الماضية على قدرتهم فيأسلمة نظام القضاء الإيراني، وذلكبتأسيس مراكز سياسية مساعدة وداعمة، لأئمة صلاة الجمعة، وببناء الشكل الهيكليالصارم للأخلاق الإسلامية.**

**إن التقليدية الثورية الإسلامية لها أيضاً كمائنها الخاصة الحديثة. فدستورالجمهورية الإسلامية يعرض خدمة لفضية وشفويةللمساواة وخاصة العدالة الاجتماعية، وهو يضمن حرية الطباعة المعبرّة عن وجهة النظرالسياسية والتجمعات السياسيةوالتشكيلات شريطة ـ وبلا تعليق ـ ألا تكون متعارضة مع المصالح الإسلامية!!**

**وأخيراً فإنّ هناك عنصراً آخر حديثاً يُعتبر أكثر من كمين ومصيدة خادعة، وهو المجلسأو البرلمان. أن سنّ القوانين فيالثورات الأوربية المعاصرة هو التنظير للممارسة والفعل، ويرتبط أشد الارتباط معالهدف الرئيس في حفظ أو إطلاق الحرياتالمحلية. في إيران، ورغم أن الدستورية دخلت كدواء مستورد لجميع الأمراض بين عامي 1905 ـ 1906، فإنّ رجال الديناستخدموا الأيديولوجية الدستورية عند معارضتهم الشاه.**

**وبالنتيجة، فإنّ المجلس معْلم تحميلي للنظام الإسلامي. إذ أنّ جميع مقرراته مع ذلك،يتم الإشراف عليها بقوة من قبل فقهاء دينيينيضمهم مجلس يسمى مجلس الصيانة (أي صيانة الدستور)، أو (مجلس الحراس)، إضافة إلى ذلكأن كلاً من رجال الدينالحاكمين والطرف الآخر الثاني المحسوب على النظام يتحسسون كثيراً من التكنولوجيا. إنهم يحبون الإذاعة، ويحبون أنيُصوروا في التلفزيون، وتُجرى معهم مقابلات في الصحف والمطبوعات، كما يحبون إقامةالمؤتمرات والملتقيات ويستخدمونالعبارات الضخمة الحديثة كالـ (المكاتب الأيديولوجية والدوائر السياسية».**

**عندما يجري الجمع بين مفاهيم الثورة ومفاهيم التقدم، كما هو الحال في القرن التاسععشر والى اليوم، فإنّ هناك خيطاً يمكن أنيرسم بوضوح بين الثورة والمضاد للثورة، الدليل المقدّم في هذا البحث يجعل منالمستحيل تلمّس مثل هذا الخيط. إذ تمّتالإشارة بأن جميع الثورات تنطوي على عناصر مناهضة لها. هذه الملاحظة أيضاً صحيحةوهي إن جميع الثورات المضادّةيجب أن تدمج الإبداعات الثورية من أجل إحياء ما تعتبره أو ما يسمى النظام التقليدي،وهذا ما يبدو واضحاً في قضية التقليديةالثورية الإسلامية في إيران. وكما ناقشتُ في حديث سابق من هذا البحث، إن هذه الثورةفي الحقيقة أسست ثورة أخرى داخل التشيّع نفسه.[158] وأكثر من ذلك أن الثورة الإسلامية استطاعت أن تستنهض وجوداًمعتبراً وتوجد نمواً في حجم الدولة وعددالأشخاص المستخدمين تحت لوائها أو الموظفين من قبلها. إن المرء يستطيع أن يرى هذهالعوامل بشكل منطقي وواضح وكأنهااستمرارٌ غير منقطع باتجاه التحديث. إلاّ انه من الأفضل، بأن يجري التعامل مع مثلهذا التوجه كاتجاه شامل، يعمل في تواصلمع الماضي، أكثر منه نموذجاً فردانياً لغائية هذه الثورة ومميزاً لها عن العواملالأخرى.**

**د ـ العلاقة الغائية للدين: الدليل المقارن لا يتطلب منا فقط أن نفصلبين الرباط المفاهيمي للثورة والتقدم،وإنما علينا أن نشدّ أو نوثق الصلة بين الثورةوالدين. إذْ لم يكن الدين عاملاً مهماً في ثورة البيورتان وحسب ،وإنما في كافةالثورات الأوربية المعاصرة باستثناء الـ فروند Fronde. أن وولزر كان مُصيباً فتقديره لمنافي البيوريتانيين في سنوات الخمسينات 1550 واعتبارهم طلائع أو بشائرللأيديولوجيات الثورية المعاصرة[159] ونفس الشيء صحيح أيضاً مع رجال الدينالكاثوليك في الثلاثين سنة الأخيرة[160]. في 1940 كان الوعاظ البيوريتان يسمون مجلس العموم الأداة الإلهية المختارة لإعادةبناء بيت المقدس[161]. في نفس السنةكان نظراؤهم الكاثوليك في كاتالونيا أيضاً منهمكين في نشاط ثوري. هنا يظهر قائدقوات الملك الأسباني في روسلّو متشكّياً من التحريض على العصيان وتفسيق رجال الدين:** **«بين الاعتراف والوعظ والمنبر يقضون معظم وقتهم محرّضين الناس، يقدّمون للثوارالحماسة والنصائح ، يعلّمون الجهلة علىأن الإيمان بالثورة سيمنحهم مملكة السماء»[162].** **توجد هناك قرائن متشابهة بين ثورة البيورتان والثورة الإسلامية. مَثَل كرومويل،كمثل موسى، لدينا (إمام) خميني، كما هوإبراهيم وموسى شيء واحد، ومثل قدّيسي البيورتان، لدينا رجال الدين المناضلينومواعظنا مثل مواعظهم الراسخة وخطبهم فيالأعوام المحصورة بين 1642 ـ 1649[163].** **كانت لدينا تحت حكم الشاه، تجمعات الأربعين لإحياء ذكريات الشهداء، وبعد الثورةأصبحت لدينا خطب الجمع في صلواتجماهيرية حاشدة. الاختلافات المهمة، مع ذلك تؤثّر على غائية هذه الثورات وهدفيتها.** **توجد هناك عناصر فوضوية قوية في البيورتانية وخاصة، الاستقلاليون الذين يعتبرونأنفسهم رجال الكنيسة الحقيقية داخلالكنيسة الفاسدة. الوصايا الألفية[164] الفوضوية في عالم المستقلين تعمل ضد قبولهمالحكومة الكنسية الوطنية البرسبيتارية.**

**هذه الوصايا كانت تؤدي إلى نفس اتجاه مفهوم الإنسان لدى دعاة المساواة Levellers باعتباره كائناً عاقلاً في صورة آله. ومنهناك نحو الحقوق الطبيعية.** **التضامن الاتحادي لرجال الدين الشيعة المناضلين يتناقض بقوة مع واقعية القديسينالبيورتان كما تتناقض الشرعية المنهجية معالأفكار الألفية للقديسين باعتبارهم المسيح واهب الشرعية. وأخيراً إن نظرية رجلالدين الشيعية الثورية حول شمولية الفقهتتناقض تماماً مع فكرة التمثيل المستقل، وخاصة لدى البريسبتارية المشيخانية.[165]**

**الموقف يختلف بالنسبة للثورات الحديثة، ولكن دعنا نرى كيف؟ أدرك دي توكيفِل بأنالثورة الفرنسية كانت أنتجت ديناً جديداً. إنها استهدفت إتمام النواقص في إعادة بعث الكائن الإنساني، إنها تطورت في نماذجعديدة للدين، حيث فهمت انها دين غير كاملمادامت بلا آله، وبلا وعود وأحلام في حياة مستقبلية، ومع ذلك، هذا الدين الغريب،شأنه شأن الإسلام، غيّر وجه العالم بأصنامهومناضليه وشهدائه[166].**

**مصطلحا «الدين العلماني» و «الدين السياسي» كانا استُخدما بجدارة لوصف الشيوعيةوالفاشية.[167] الثورات الحديثة تحتاجبالفعل إلى أديان سياسية. القضية الحساسة هي في ما إذا كانت هناك مغايرة أو تناقضبين الدين العلماني والدين السياسي.**

**الثورة البلشفية كانت كفاحاً إلحادياً. ولكن قبل أن نخلص إلى أي استنتاج، دعنانتأمل بعمق في أيديولوجيتها المستوردة، وكذلكفي القاعدة الاجتماعية الضيقة الممتدة لنخبتها السياسية. ماذا عن الثورة الفرنسية؟لم يلاحظ دي توكيفيل أي تنافر بين المسيحيةوالدين السياسي للثورة. اللادينية والحملة على الدين تشكّلا بسبب علاقة الكنيسة معالنظام القديم، وليس من أية حساسية أوإحساس لا ديني واسع الانتشار.** **ماذاعن الثورة الفاشية؟! الفاشية الأوربية غالباً ما اقترنت مع اللادينية أوالإكليريكية، الاّ أن هذا الاقتران لم يكن عاماً شاملاً ولاجذرياًمتطرفاً. النازيون مجّدوا العقيدة الألمانية المسيحية الأسطورية وكانوا لادينيين، ونفس الشيء صحيح مع الحركات الفاشيةالأخرى في غرب وشمال أوربا. في النهاية الأخرى من المشهد، مع ذلك، الحركات الفاشيةالرومانية ،والهنغارية والسلوفاكيةوالكرواتية كلّها كانت مسيحيةبالتأكيد وكانت تهدف إلى تأسيس دول اتحادية مسيحية.**

**القيادة الدينية ومساهمتها في الجمهورية السلوفاكية التي تأسست من قبل حزب الشعبللأب هلينكا (الذي تزعمه الأب تيسو) وفي حركة أستاش في كرواتيا تقدّم ملاحظات ممتعة للمقارنة مع إيران. ولكن المقاربالأكثر بروزاً وأهميةً، بين التقليديةالثورية الشيعية والحراس الحديديين الرومانيين هو فيلق أو كتيبة أرچنجيل ميخائيل.** **كلتا الحركتين يُشخَّصان بتعبدهما فوق العادي وعشقهما للمعاناة والتضحية والشهادة.**

**القساوسة هم الشخصيات الأكثر بروزاً في حركة ميخائيل هذه وجنباً إلى جنب مع طلابالجامعة. مُلتقياتهم الكتائبية كانت تسبقهاعادةً عادات وطقوس كنسية، ومظاهراتهم كان يتقدمها في الغالب القساوسة وهم يحملونالإيقونات والأعلام الدينية المقدسة.** **المسيحية المتكاملة لهؤلاء الكتائبيين هي التي فرقتهم عن النازيين والفاشستالإيطاليين، وهذا شيء يعرفونه هم، كما صرحواحد من زعمائهم المثقفين قائلاً: «الفاشية تعبد الدولة، والنازية تقدس العرق والقومية. حركتنا لا تناضل فقط لتقريرمصير الشعب الروماني ،نحن نريد تحقيقذلك على امتداد طريق الخلاص للبشرية» أن الهدف النهائي للقومية ـ كما أكّد كولوينووآخرون هو «الانبعاث وقيامةالمسيح»[168].**

**وأخيراً إننا يجب أن نعتبرأنّ التكاملية البرازيلية هي الحركة الفاشية الأكثرأهميةً في أمريكا اللاتينية.التقى مؤسسها پلينيو سالگادو موسيليني عام 1930. ترك اللقاء أثراً عميقاً في نفسه إذْ عرف بالتأكيد انه ليسهناك تناقضاً بين الدين السياسي الفاشيوالكاثوليكية. بعدها عاد إلىالبرازيل (لكثلكة) الفاشية الإيطالية «أي أتطيرهابالكاثوليكية». مستثمراً شبكة الأعمال الممتدةللمؤسسات الدينيةالمطروحة التي جاءت إلى الوجود بفضل الكادرينال ليم، فقد أسّس هذاالرجل حركة التكامل البرازيلية بهدفإيجاد وتأسيس الدولة الاتحاديةالمتكاملة. فالتكاملية إذن، تنتمي إلى المثقفينالكاثوليك بسبب وعدها التاريخي في «الثورةالروحية» والدولة المتكاملة «التي تأتي من المسيح، وتُلهَم بالمسيح، وتعمل للمسيح،وتتجه نحو المسيح». وطبقاً لهذا، راحسالگادو ينتقد الوجه الوثني الخطيرللهتلرية وينعى حاجة أو فقدان الأيديولوجيةالنازية للقاعدة المسيحية أو المرتكز المسيحي. [169] قليلون هم الذين يتصورون العبارة القائلة بأن الثورات السياسية هيالشكل المعاصرللألفية السعيدة غير المقبولة أو المعترضعليها. الشيوعية الروسية كانتالألفية العلمانية لروما الثالثة، فيما كانت النازيةهي الألفية العلمانية للرايخ الثالث «أي الألفسنة الرايخية من الحريةالوطنية والعدالة الاجتماعية»[170]. وكما كانت القصة معالدين والدين السياسي، فإنّ الألفية السياسيةوالدينية ليست بأي شكل منالأشكال هي المضادّ التبادلي. فالعنصر الألفي الديني [171]chiliastic يمكن أن يهيمن في الثورةالتايبية التي سعت إلى تأسيسالمملكة السماوية للسلام الأعظم[172]، أو أنها يمكن أنتلعب دوراً مساعداً مهماً كما في ثورةالبيوريتان في انكلترا والثورةالإسلامية في إيران.** **في ثورة البيورتان، نواجه نمطين أو شكلين من الألفية: الألطف والأعمق عالمياً معالمقدّس المستقل ،والآخر الأكثر شهرةوالأوحد الناشط في رجال الملكية الخامسة. لا يوجد شك بأن الألفية الثورية السياسيةكانت لعبت دوراً حاسماً في استنهاضالانتلجينسيا الإيرانية (أي المثقفون) والجماعات الأخرى. ولكن مضافاً إليها، أنّالمنهج الشيعي يتضمن اتجاهاً ألفياً مهماً: وهوالاعتقاد بظهور الإمام الثاني عشر المهدي الذي سينقذ العالم.**

**هذا الاعتقاد كان مناسباً لتحقيق هدف ثورة (الإمام) الخميني. كما كان مناسباً،لمؤسس الإمبراطورية الصفوية عام 1501.[173] ورغم أن الألفية الشيعية لعبت دوراً هاماً في الثورة الإسلامية، إلاّ إنها لم يكنلديها أية نتائج أو عواقب فوضوية أو تجزيئيةكالألفية البيورتانية ،لأن رجال الدين كانوا مسيطرين على قرائتها وترجمتها، وفيالحقيقة أنهم اشتقوا أو انتزعوا سلطتهم الفقهيةوالشرعية منها.** **استنتاج: إنّ نجاح الأيديولوجية الثورية الإسلامية هو العلامة الفارقة والدالّة التي لم يسبقلها مثيل في تاريخ الثورة الإسلامية في إيران. فالأيديولوجية إنما هي استجابة قوية في التنقيب السياسي المقارن بحثاً عن الأصالة. لاسيما وان بناءها قد تمّ من خلال الاستفادةغير المعترف بها من كافة المحاسن التقنية للحركات الأيديولوجية الغربية والأديانالسياسية ،مع الشيء المضاف، بل المسترجعبالتأكيد، وهو الوعد بإنقاذٍ عالمي، أي الخلاص في يوم موعود.** **وبمعنىً من المعاني، أن الثورة أضافت حسنة أيديولوجية ذات قيمة فاقت النازيةوالشيوعية اللتين اصطدمتا مع الدين، فضلاً عن  عدم القدرة على إيجاد بديل جديد له. وكما فعل الشيوعيون والنازيون ،فإنّ المناضلين الإسلاميين عزّزوا ديناً متيناًموجودٌ فعلاً، بدرع أيديولوجي ضروري جداًفبحقبة جديدة أو ميدان جديد من سياسة جماهيرية أو جمهور سياسي. وبهذا العمل استطاعهؤلاء المناضلون تأكيد مساهمتهم  المتميزّة في تاريخ العالم.**

# ****دور الأيديولوجية والقيادة والأمة في****

# ****الثورة الإسلامية****

## ****بقلم****

## ****منوچهر محمدي****

## ****ميدان في حقل الدراسة:****

**إنّ واحدة من أهم الإشكاليات عند دراسة ظاهرة العلم السياسي، كما في العلوم الأخرى،هي انتخاب ميدان البحث أو حقله.**

**هناك جدل حاد بين علماء الاجتماع في ما إذا كان ينبغي دراسة الموضوع بكافة اتجاهاتهوأبعاده ومنحه شمولية مطلقة، أم المغامرة بتفكيك تفاصيله وعناصره الثانوية وتركيز الانتباه على عناصر نموذجية مع تجاهلعلاقاته مع العوامل التي جرى إهمالها.** **وهذا في الحقيقة قياس تشبيهي يشير إلى عدم رؤية الغابة من أجل الأشجار. مجموعة منالعلماء يتناولون المسألة الكلية ويفضّلون الدراسة النظرية (التحليل الاستقرائي) فيما يعتقد آخرون بانتخاب عناصرنموذجية اعتماداً على البحث التجريبي والتاريخي (التحليل الاستنباطي).**

**معظم العلماء المعاصرون اليوم يتبنّون الفكرة القائلة بأهمية كلا الطريقتين فيالتحليل ويعتبرانهما بدرجة متساوية في الأهمية، ويعتقدون إن أي تقدّم في أي جانب منهما يؤثر في تقدّم الجانب الآخر. وعلى الرغم منعدم وجود قاعدة نموذجية أو مبدأ محدّد للتمييز بين التحليل الاستقرائي، كطريقة نظرية رئيسية، وبين التحليل الاستنباطيكآلية فريدة في التحليل التجريبي، فإنّ هناك تأكيداً على المتباين منهما وعلى الأولويات التي تميّز أحدهما عن الآخر.**

**تأسيساً على الميدان المحدد لحقل الدراسة فإنّ التحليل التجريبي والتاريخي كلاهمامفيدان ومؤثّران. ومع ذلك ومع اتّساع تعقيدات ميدان العلم السياسي والظاهرة المعنية به، فان إمكانية تقديم تحليل تاريخيجدّي أصبحت ضعيفة وصار من الصعوبة بمكان الوصول إلى استنتاج متكامل حول الموضوع. ولنفس السبب، فإنّ دائرة التحليلالسياسي النظري في العلوم الاجتماعية، بما فيها العلم السياسي، كانت اتّسعت بشكل هائل على صعيد امتدادها الأفقي وسرعةالنمو في آليات التحقيق خلال القرن الحاضر.** **مدعومةً بالتقدم في العلوم الأخرى، فإنّ هناك ديناميكية جديدة وملحوظة قد ظهرت فيهذا الحقل. ونتيجة لذلك، فقد عُرضت نظريات متباينة وعديدة لدراسة وتحليل الحوادث الاجتماعية والسياسية.**

## ****الوضع الاجتماعي والسياسي في إيران قبل الثورة:****

### ****القوة السياسية:****

**فقط المجتمعات التي نأت فيها السلطة السياسية بعيداً عن الشعب وافتقدت القاعدةالجماهيرية المؤدية إلى سيادة الوضع الاجتماعي الثنائي القطب، هي التي تكون عرضةً للثورات. مثل هذه الحالة أو هذا الوضعكان موجوداً في إيران منذ فترة طويلة، ومثال ذلك، أنّ السلطة السياسية نادراً ما أهتمت بمشاركة الجماهير أو رضاها. وفي الحقيقة، وبسبب إفقار الجمهور وسلبه قوته ونموّه، فإنّ هذه الحالة لم يكن لها وجود إطلاقاً.**

**مع بداية واتّساع الكولونيالية الجديدة الغربية في القرنين الماضيين وآثارها علىالأقطار الأخرى، فإنّ إيران وبافتراض موقعها الاستراتيجي وثرواتها الطبيعية، كانت موضع الاهتمام الأول بالنسبة إلى القوىالأوربية الكبرى، وقد أصبح هذا عاملاً آخر في التغيّرات الحاصلة في السلطة السياسية الإيرانية. ومع تنافس أو صراع المصالح بينروسيا وانكلترا التي سبقت الحرب العالمية** **الثانية وظهور الولايات المتحدة على المشهد السياسي العالمي ،وتنامي التنافسالعالمي بين القوتين العظميين، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية، فإنّ إيران لم تبق محصنّة أومستثناة في ظل هذا التنافس أو هذه الصراعات. وفي الحقيقة إن البحث عن النفوذ من قبل القوى الأجنبية أصبح مؤشراً مهماً جداً فيتشكيلة القوة السياسية في إيران.**

**إن السلالة البهلوية التي أُسّست من قبل الضابط القوقاسي الفظّ المغامر عام 1924وانتهت بنجله عام 1979 كانت آخر سلالة في الحكم الملكي في إيران.**

**قبل صعود رضا شاه إلى مركز القوّة في إيران، كانت السلالة القاجارية هي التي حكمتالبلد.فالقاجاريون الذين كانوا في يوم ما ملوك أقوياء وأصحاب نفوذ أيضاً، أصبحوا ضعفاء باتجاه النهاية. أحمد شاه، آخر ملوكالقاجار، الذي هو نجل المخلوع محمد علي شاه، كان أضعفهم جميعاً. إنّ حكم أحمد شاه هذا كان تزامن مع الحرب العالميةالأولى وثورة البلشفيك الروس. قبيل الثورة في روسيا، كان لهؤلاء نفوذ قوي ومؤثر في إيران، وكان شمال إيران عملياً تحتهيمنتهم. فرقة الحماية الإيرانية القوقازية كانت تُدار وتُنظم وتؤمر من قبل الضباط الروس.**

**لم يكن البريطانيون سعداء مع شؤون الدولة في إيران وكانوا يريدون أو يرغبون فيحكومة قوية فيها لتحقيق مصالحهم أولاً في هذا البلد، وكذلك في كبح الخطر الشيوعي ومنع امتداده في المنطقة، فكان أفضل خيارلهم في الوضع القائم هو رضا خان وبتنسيق أو توجيه البريطانيين كان التخطيط لانقلاب، ولكن، وطبقاً لاتفاقات سابقة،فانه (رضا خان)، وبدلاً من إسقاط أحمد شاه القاجاري، أقترح عليه أن يختار بين تأييد حكومة الانقلاب أو الاستعفاء من السلطة. وبالتأكيد، فإنّ الملك القاجاري فضّل دعم الحكومة على الاستقالة. ولكنه عملياً، وبهذا الإجراء فقدَ كل مقوّمات نفوذه وسلطتهواستقلاليته.**

**بعد أربع سنوات، صمّم رضا خان الذي راح يقوّي دعائم سلطته في كل الأبعاد، على إنهاءسلالة القاجار وأعلن نفسه الملك الشرعي على إيران. إنّ انتقال الملوكية كان نُفّذ، بطبيعة الحال بسلوك شرعي من قبلمجلس المؤسسين ،هذا المجلس عدّل دستور 1917 الذي وضع أسس الملوكية لعائلة القاجار واختار رضا خان ملكاً. بعدها تمّالتصويت على ان الملوكية في إيران تستمر (كنسياً) في عائلته.**

**تمّ تتويج رضا خان في أردبهشت 1303 الموافق لـ (20 أبريل 1924) ملقبّاً نفسه رضاهشاه بهلوي. إن اختيار كلمة (بهلوي) كلقب لهذه السلالة نقطة مهمة جديرة بالتأمل. إذ أن (بهلوي) هو اسم اللغة الإيرانيةالقديمة، وان رضا خان في اختياره لهذا الاسم كان بيّن تفضيله للمعتقدات الإيرانية القديمة على التعاليم الإسلامية الحاكمة فيالمجتمع الإيراني.**

**أثناء فترة حكمه التي استغرقت قرابة الستة عشر عاماً، اتخذ هذا الرجل الأمّي العاديخطوات وإجراءات تمت ملاحقتها أو إتمامها من قبل نجله. الكثير من هذه الخطوات أو المشاريع كانت تعارَض من قبلالمعتقدات الدينية للمجتمع الإيراني. إنّ إجبار النساء على السفور مثلاً وإكراههن على خلع (الشادور) مقلداً بذلك النمط الغربي في الزي، وحظره أو منعه عرض المسرحية العاطفية والخطب المتعلقة بوصف المشاهد التراجيدية لحادثة كربلاء، كانت بعضاً من هذه الإجراءات المضادة لمشاعر الناس.** **رضا خان أخطأ الحساب في بداية الحرب العالمية الثانية التي انتهت باحتلال إيران منقبل الجيوش الأجنبية والتي قادت في** **نهاية المطاف إلى خسارته لعرشه. هذا الضابط الجاهل، وظناً منها وعدم إدراك للشؤونالعالمية، والذي أدهش أو انبهر بالحرب الألمانية الكاسحة وسقوط الأقطار واحدة بعد الأخرى بأيدي القوات الهتلرية، اعتقدبأن ألمانيا سوف تربح الحرب وان قوات هتلر سوف تتاخم الحدود الإيرانية. ولهذا، فقد وضع نفسه بجانب الفائزين، مصطفاً معهممتوهّماً الاستفادة من علاقات الصداقة مع المنتصرين في نهاية الحرب.**

**وفي النهاية تم إبعاد رضا خان من جزيرة موريتيوس إلى جوهانسبرغ في أفريقياالجنوبية، وفي يوليو تموز 1944، أي سنة واحدة قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ،مات في المنفى.** **محمد رضا وتوأمه أخته أشرف كانا وُلدا من زوجة خان الأولى في 26 اكتوبر 1919 عندما كان رضا خان مجرد ضابط قوقازي لا أكثر، وبعد وصول رضا خان إلى التاج، سمّى محمد رضا أميراً لتاجه، وبعد إتمام دراسته الابتدائية أرسله إلى** **سويسرا لإتمام تعليمه العالي.** **كان محمد رضا ضعيفاً ومريضاً في طفولته. رضا خان الذي كان يريد من ولده أن يكونجدّياً وفظّاً مثله، أرسله إلى المدرسة العسكرية، إذ أن معايشة هذه المدرسة غيرّت مواقف وتوجهات محمد رضا. مع ذلك، وفي عام 1941 عندما وافق الحلفاء على اختياره خليفةً لأبيه بعد استعفاء الأب ونفيه، لم يكن الولد أكثر من شاب غرّ وغيرمجرّب. ومن أجل إدارة مهمات الحاكم، كان** **بحاجة إلى مرشد قوي ومحنّك. ولذلك فقد عيّن البريطانيون محمد علي فروغي رئيساًللوزراء، ومربٍّ فعّال خاص به (أي مشرف عليه).**

**لم يستمر فروغي في منصبه هذا سوى ستة أشهر، بعدها استقال من منصبه بسبب مرضه. وكانمعظم خلفاؤه يُنتخَبون من قبل السفارة البريطانية، كما أن محمد رضا شاه الذي لاحظ بل شاهد بعينه انتقامالبريطانيين من أبيه، لم يكن ليجرأ على معارضتهم.**

**يمكن تقسيم عهد محمد رضا إلى أربع فترات متميزة: الفترة الأولى، من 1941 ـ 1946التي احتُلت فيها إيران من قبل القوى الأجنبية. الفترة الثانية استغرقت سبع سنين مبتدئةً عام 1946 ومنتهيةً بمجيء محمدمصدّق رئيساً للوزراء وارتقائه السلطة وهروب الشاه من البلد. الفترة الثالثة التي استغرقت سنتان بدءاً من عودة الشاه إلىإيران وحتى إبعاد الجنرال زاهدي من رئاسة الوزراء. وأخيراً الفترة الرابعة التي تبدأ عام 1955 حيث بداية سطوته التي وصلت إلىالذروة وحتى سقوطه عام 1978.**

**وفي تقسيمٍ أكثر عمومية، يمكن القول أن محمد رضا شاه في الأربع عشرة سنة الأولى منحكمه، لم يستطع انجاز ما أنجزه والده في قوته وسطوته، ولكن ومنذ سنة 1955 وما بعدها، وفي قرابة23 سنة ظل يحكم إيرانبقوةٍ أوتوقراطيةٍ ملكية ودكتاتورية مستبدة[174].**

**إنّ الأربع عشرة سنة الأولى من حكم محمد رضا شاه كانت من أكثر المراحل إزعاجاً فيالحياة السياسية الإيرانية. ففي حقبة السنين الأولى التي كانت فيها إيران محتلة من قبل الجيوش الأجنبية لم يكن الشاهيمتلك عملياً أية قوة أو سلطة. معظم ممثلي البرلمان الإيراني مثلاً، كانوا يُنتخبون فعلاً تحت تأثير ووصاية وتوصيات القوىالمحتلة وكانوا خاضعين تماماً لأوامرها وإرادتها في هذا الإطار. وبالإضافة إلى نشاط وفاعلية القوى الدينية ـ السياسية تحت قيادة آية اللّه‏ كاشاني ونّواب صفوي، ظهر وجودان سياسيان آخران أيضاً:**

**الأول: هو الجماعة الوطنية الليبرالية بزعامة الدكتور محمد مصدّق**

### ****والثاني: حزب تودة الشيوعي.****

**الجبهة الوطنية كانت تُغذّى من قبل المشاعر المناهضة للوجود الأجنبي والمترشحة بسبباحتلال البلد من قبل هذا الوجود وتدخّله في الشؤون الداخلية لإيران. حزب تودة كان يُنسّق ويتعاون مباشرة بل ويُدعممن قبل الحكومة الروسية، وخاصة في المحافظات الشمالية الواقعة تحت احتلال الجيش الأحمر.**

**بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ارتفعت أو رفُعت قضية تحرير إيران من الاحتلالالأجنبي، قادة الحلفاء، وفي مقابلة معهم في طهران أثناء الحرب، كانوا أوعدوا بإخلاء إيران في غضون ستة أشهر بعد إنهاءالاعتداءات. مع ذلك، فإنّ الحكومة السوفيتية التي حُشرت في محاولتهم وراحت تحاول الحصول على امتياز خاص لاستثمار حقول النفطالإيرانية الشمالية التي كادت أن تفقد كل سيطرتها عليها لو سحبت جيشها من إيران، قررت تأسيس قاعدة نفوذ وقوة في المنطقةلتنفيذ هذه المهمة أو الخطة، فتمّ تأسيس حزب شيوعي مستقل سُمّي الحزب الديمقراطي الأذربيجاني. وقبل الانسحاب العسكريالمخطط، قامت هذه الجماعة، أي هذا الحزب، بمسك السلطة في مقاطعة أذربيجان بمساعدة الجيش الأحمر.**

**واحد من الأرقام السياسية البارزة في بداية حكم محمد رضا شاه ومن الذين اعتُبروامنافسين سياسيين هو قوام السلطنة زاعماً أنه قريب من الروس وواعداً إياهم بمنحهم حق امتياز في النفط الشمالي، وأخيراً، السماحبثلاث وزراء من حزب تودة في كابينته الوزارية.نجح قوام في إقناع الروس (الذين كانوا تحت ضغط الأمريكان) لإنهاء احتلالهملإيران، وبعد جلاء الجيش الأحمر، فإنّ الحكومة المدعومة روسيّاً في أذربيجان سقطت في الحال.**

**بعد فترة قصيرة من سقوط قوام السلطنة، حصلت محاولة الاغتيال الأولى للشاه، ومعالذين قُتلوا معه، بقيت حقيقة هذا الفعل مخفية رغم أنّ الحزب الشيوعي كان متهماً في الضلوع في الخطة أو التخطيط لها. هذاالإتهام أدّى إلى تصفيته.**

**وفي الأثناء، وسعّت الجماعة الوطنية ـ الليبرالية، التي يتزعمها الدكتور محمد مصدّقوالتي سمّت نفسها الجبهة الوطنية ،نشاطها مع الشعار الجديد في استعادة جقوق إيران من شركة النفط البريطانية ـ الإيرانية. وفينفس الوقت، فإنّ حركة رجال الدين والمتحمّسين الإسلاميين الذين يبحثون عن الحل والمخرج في الدستور والنظامالإسلاميين، كانوا شكّلوا خطراً جديداً على نظام** **الشاه.**

**كانت حادثة اغتيال الجنرال غلام حسين رزم أرا الذي كان رئيساً للوزراء هي حادثةالإغتيال السياسية الثانية في إيران بعد الحرب. هذه الحادثة أرعبت الشاه، ومع ذلك، ومن بعض الوجوه، فإنّه كان سعيداً جداًبهذا الحادث لأنّه أودى بحياة شخصية قوية منافسة له. وبموت هذه الشخصية فإنّ التهديد الأكبر لقوته وسلطته قد تقلّص كثيراً بلاستبُعد. لكن هذه السعادة لم تدم طويلاً لأن الإعصار السياسي الذي اكتسح إيران بعد حادث الاغتيال قد هزّ عرش الشاه. منتهجاً المصادقة على قانون تأميم النفط، فقد كان الشاه مجبراً على اختيار مصدّق زعيم الجبهة الوطنية وواحد من أشدّ وأبرز معارضيهكرئيس للوزراء.**

**مصدّق، الذي جاء إلى السلطة مرتقياً قمة المشاعر الوطنية المناهضة لبريطانية، كانعلى صعيد من الأصعدة المشكلة الكبرى للشاه. فموقفه الوطني المدعوم من قبل الزعماء الدينيين ،وخاصة آية اللّه‏ كاشاني قدأزاح عملياً كافة سلطات الشاه ودفع به إلى الخلف مؤدّياً إلى حالة ضعف ووهن في بداية حكمه. وعندما استقال مصدّق بسبب معارضةالشاه لاختياره وزير دفاع، واجهت** **الملكية انتفاضة شعبية بزعامة آية اللّه‏ كاشاني في 30 تير 1331 (21تموز 1952). هذهالانتفاضة أجبرته على دعوة مصدّق للعودة مرة ثانية بالعودة إلى وظيفته في عدة أيام.**

**وكالة المخابرات الأمريكية CIA وبالتعاون مع وكالة المخابرات البريطانية بدأتالتخطيط لإزاحة مصدق عن السلطة، وقد أخذ كرمت روزفلت وكيل الـ CIA هذه المهمة على عاتقه.** **جدير ذكره، أنه في بداية حكومة مصدّق، كانت الولايات المتحدة وبسبب تأثير شركاتالنفط الأمريكية ومصالحها في النفط الإيراني، قد تعاونت قليلاً أو كثيراً مع مصدّق ومع ذلك، وبعد أنفشلت الوساطةالأمريكية في إنهاء أو حل جدل النفط البريطاني ـ الإيراني الذي كان يضمن مصالح أمريكا أيضاً، فإنّ الأمريكان اصطفوا هم كذلك ضدحكومة مصدق. الذي رسّخ معارضة الأمريكان لمصدق وتدخّل الـ CIA في هذا الموضوع هو تنامي قوة حزب تودة في إيرانوخطر انقلاب شيوعي محتمل في هذا البلد.**

**عامل آخر ساهم في سقوط مصدّق، وهو فقدانه دعم المؤسسة الدينية والغالبية العظمى منالشعب. مع افتراض موقف مصدّق الاتوقراطي العنيد الذي أصرّ عليه، فإنّ أولئك الذين كان بأيديهم مفتاح تصعيدهللسلطة ابتعدوا عنه تدريجياً، وفي النهاية وقفوا ضده، وهذا ما ساعد على انحداره. ومع غياب المشاركة الجماهيرية فُسح المجال أمامالإنقلاب الأمريكي لأن يتبلور ويحقق انتصاره عليه بسهولة. ومن أجل تنفيذ مخططاتها في إيران، اختارت الولايات المتحدة الجنرال زاهدي الذي عملفترة مع مصدّق كوزير لداخليته.**

**ولتنفيذ المرحلة الأولى من هذا المخطط، دفعت الشاه لطرد مصدق من وظيفته وتعيينزاهدي رئيساً جديداً للوزراء. إلاّ أن مصدق رفض قبول أمر إبعاده، وأخذ نفس الأمر المبيّت والصادر عن الكولونيل ناصري (أحدضباط الحرس الإمبراطوري الذي أصبح في ما بعد رئيس للسافاك الجهاز البوليسي السرّي المرعب) بمثابة انقلابضده. الشاه الذي خاف ردّة فعل مصدّق وكان يخشى بأن اعتقاله يمكن أن يُرد عليه هرب من البلد. وهنا وضع الأمريكان المرحلةالثانية من المخطط موضع التنفيذ، مفتعلين الفوضى وحوداث شغب وبلبلة في الشوارع، وذلك باستخدام عناصر من القواتالمسلحة. حكومة مصدّق، التي حُرمت من دعم الزعماء الدينيين، وفقدت لدرجة كبيرة، شعبيتها، أُسقطت بسهولة.**

**الشاه، وبعد عودته إلى إيران، وجد لنفسه مصدراً جديداً للدعم أيضاً، ومقدّراً الدورالذي لعبه الأمريكان في إعادته للسلطة، أصبح قريباً منهم. فترة ما بعد انقلاب 28 مرداد يمكن أن تسمى بداية حقبة العلاقةالإيرانية ـ الأمريكية، وبالأحرى العلاقة الشاهنشاهية الأمريكية. في غضون أقلّ من سنتين بعد هذا الانقلاب نجح الشاه فيالحصول على تنازل أمريكي لإقصاء زاهدي عن منصبه. إن حقبة حكم الشاه محمد رضا المطلق قد بدأت فعلاً من هذا التاريخ. في عام 1960 وانسجاماً مع التحوّلات التي حدثت على المشهد السياسي العالمي، فإنّالشاه هو الآخر أُجبر على تغيير أسلوبه في الحكم. من أجل إضفاء وجهاً أكثر رائقية على وجهه المستبّد، فإنّ الشاه شجّع رئيسالوزراء منوچهر اقبال ووزير العدل اسد اللّه‏ علم على تأسيس حزبين سياسيين متنافسين من الملّيين أي (الوطنيين) والمردوم(الشعب) على التعاقب. على الرغم من أن كل فرد في إيران كان يعلم أن كلتا الجماعتين محكومتان لمدير واحد، فإنّ التنافس فيالانتخابات البرلمانية وحرص إقبال على الاحتفاظ بمنصبه من خلال الحصول على الأغلبية البرلمانية، أثار فضيحة سياسية كبيرة،وكان على الشاه أن يُصدر أمراً بإلغاء الانتخابات.**

**أستقال إقبال من منصبه، وكانت الانتخابات البرلمانية الثانية لمجلس الشورى الوطنيالإيراني العشرين قد أجريت في أوائل عام1962.**

**في تلك الأثناء كانت الانتخابات الأمريكية قد حُسمت لصالح الرئيس الأمريكيجون كندي، ووقفت الولايات المتحدة على بوابة تغييرات سياسية خاصة داخلية وخارجية.**

**إن ميل السياسات الأمريكية باتجاه الليبرالية أثّرت على توجهات السياسة الأمريكيةحيال إيران. علاقات كندي الشخصية الباردة مع الشاه، الذي كان متهماً بانتهاج سياسة دكتاتورية خانقة سببّت بعض الاضطراباتوالفوضى في إيران. وقد انتهت هذه الاضطرابات بسقوط الحكومة آنذاك (وهي كابينة شريف إمامي) وصعود علي أميني لمنصبرئاسة الوزراء. أميني هذا كان معتمّداً وموثَّقاً من قبل الحكومة الأمريكية الجديدة. وكان اختياره كرئيس للوزراءتحت تأثير الإدارة الأمريكية المباشرة. في حفل رسمي عُقد على شرف الشاه أثناء زيارته لواشنطن في مايو 1962، عبّر كندي عن دعمهلأميني بتسميته وبوضوح، رئيس** **الوزراء (الكفوء والمتخصص) apt and competentومع ذلك فإنّ الشاه وفي خلال العشرينسنة من حكمه، وحيث أتقن ممارسته للعبة السياسية، نجح في سفرته تلك على حيازة ثقة الرئيس الأمريكي واقنعهبقدرته على تحمّل مسؤولية تنفيذ التغييرات التي كان كندي ينوي تنفيذها عبر أميني. وبعد عودته من أمريكا بدأ الشاهتدريجياً يضع العراقيل أمام خطوات أميني** **التقدمية، وكانت النتيجة إجباره علىتقديم استقالته من منصبه في يوليو تموز من نفسالعام.**

**إصلاح الأراضي، كان واحداً من البرامج التي كان الأمريكان قد خططوا لتنفيذها بواسطةأميني، من ناحية أخرى، ولكي لا يُقال إنّ الشاه صار وريثاً لحكومة أميني، ومن أجل تعزيز الثقة بأنه هو مبتكر برنامجإصلاح الأرض وبرامج إصلاحية أخرى، فإنّ الشاه ألحق بعض الإصلاحات التي لفتت انتباه الأمريكان بما يعزز مصالحهم. وفياستفتاء صوري حاز الشاه على (استحسانوطني) لمجموعة من الإجراءات سُميّت لغطاً «الثورة البيضاء» The WhiteRevolution.**

**بعد اغتيال رئيس الوزراء علي منصور، كان هناك أحد وزرائه والمدعو عباس هويدا الذيلم يكن أحد حتى ذلك الحين سمع باسمه الا قليلاً، قد اختير رئيساً للوزراء.**

**إن اختيار هويدا لهذه المهمة جاء سريعاً كردّ فعل على اغتيال منصور وقد اعتبرالجميع حكومته على أنها حكومة مؤقتة، ومع ذلك، فإنّ هويدا ذهب أكثر من سابقيه في الطاعة والخضوع لأوامر ورغبات الشاه. ونظراًلامتلاكه هذه الصفة فانه نجح في تحمّل رئاسة الوزارة لأكثر من إثني عشر سنة، وقد اعتُبرت حقبته هذه أطول فترة فيتاريخ إيران المعاصر.**

**ويمكن أن تسمى هذه الحقبة الزمنية كذلك بأنها أشد فترات الحكم استبداداً للشاه. الحكومة طيّعة والبرلمان يفتقد أبسط معاني القوة، ووسائل الإعلام تحت رقابة مشدّدة، وكان السافاك يقمع أية معارضة حالاً، ولا أحد كانيجرأ على معارضة النظام.**

**كما لم يكن هناك الحد الأدنى من الإشارة والتلميح برفع أي صوت ناقد.**

**في هذه الفترة، بعض الأحداث التي كان يمكن اعتبارها نتائج لحوادث أو لظروف دوليةملائمة زادت من قدرة الشاه، كالثروة والغرور. تدريجياً، فكرة نمت أو تسللت إلى عقله تُنبئه بأنه فعلاً مخلوق غير عاديقُدّر له أن يحمل رسالة نبوية إلى أهل الأرض. وكان الشاه قد منح أرضية أووزناً دينيين لأفكاره الخاصة هذه والسبب أولاً:** **لجعلها أكثر مقبولية وأيسر هضماً من قبل عموم الناس، وثانياً: كان يريد أن يعلننفسه تدريجياً على إنه زعيم ديني أو يزعم الزعامة الدينية، بينما يعرف الجميع إنه لم يكن في يوم من الأيام مسلماً حقيقياً،وانه لم يؤد أي واجب من الواجبات التي يؤديها الفرد المسلم عادةً.**

**الاحتفالات المترفة والباذخة والمكلِّفة لإحياء ذكرى مرور 2500 سنة علىالإمبراطورية الإيرانية والتي حملت على اعتقاد الشاه بربط التاريخ الإيراني بفترة ما قبل الإسلام، جسّدت انشداد الرجل وطريقة تفكيرهوتعاطيه مع تلك الفترة.**

**الارتفاع المفاجئ في واردات النفط مصحوباً مع فقدان البرنامج الاقتصادي الموائملاحتوائه ،أوجد تحركاً سريعاً واضحاً للتقدم في البلد. مع ذلك، وبسبب أعباء المشاريع العسكرية الهائلة والمشتريات الضخمةللمعدات الحربية، وعلى امتداد مخطط نيكسون، بالإضافة إلى مواطن صرف طموحة مترفة أخرى، وفي نفس الوقت مشاريع لا جدوى فيها،كلّها ساهمت في خلق التضخّم وزيادة الانحطاط والتفسخ في البلد.**

**وفي خضمّ هذه المنعطفات والحوادث نشأت مشاكل عويصة ومعقدّة وجديدة، كان لابدّ منالتعاطي معها بجدّية.**

**وبما أن عمر الشاه وحكمه بدأ يهرم، فانه أصبح أكثر قسوة وأكثر عناداً وصلابةً،وراحَ تدريجياً يواصل ممارسة طريقة والده في إدارة السلطة، فيما كانت ظروف الأخير لا وجود لها في ظرفه.وإضافة إلى ذلك أنه هونفسه بطبيعته لم يكن بجسارة رضا خان أو صلابته في تعامله مع المشاكل والصعاب.**

**من خلال تلخيص وتحليل القوة السياسية الحاكمة في إيران والتي كانت نموذجاًكلاسيكياً للسلطة السياسية في أي مجتمع ثنائي القطب، الذي يعبِّد الطريق بشكل لا إرادي إلى التحوّل الاجتماعي ـ السياسي، يمكنذكر العوامل النوعية التالية:**

**1 ـ إن السلطة السياسية في إيران كانت ترتكز حول قطب واحد لملكٍ مستبد كان يفتقدالشخصية القوية ،وكان الناس الذين حوله غير معنيين بعمق في اتخاذ القرارات، وكانوا عملياً غير مؤهّلين ومن ذوي الشخصياتالطيّعة الضعيفة.**

**2 ـ كان النظام يعتمد كلياً على جيشه الخاص الذي كان مسلحاً تسليحاً ثقيلاً، كما إنضباطه من ذوي الرتب العالية كانوا مخلصين وموالين له بشكل مطلق. عذرهم في وفائهم وولائهم هذا هو المنافع التي جنوهامن ثروة متنامية تجاوزت الحد، ورفاه أو ترف غير محدود كانوا يتمتعون به. بالطبع، لم يُختبر هذا الجيش على الإطلاق فيمعركةٍ تبرهن على إخلاصه أو كفاءته.**

**3 ـ كان البوليس السري المرعب السافاك يخنق أي صوت معارض، وذلك باستخدام أسوأ أنواعالإرهاب والتعذيب.**

**4 ـ اعتمد النظام في وجوده على إقناع وإرضاء القوى الأجنبية، وخاصة الولاياتالمتحدة وبريطانيا العظمى.**

**5 ـ الفساد والرشوة غطت كلّ أوجه النظام الإداري، كما إن التضخم وبيروقراطية النظامحالتا دون قدرته على تنفيذ مهماته** **الروتينية.**

**6 ـ مع ارتفاع أسعار النفط، تنامت قدرة النظام الاقتصادية والمالية بشكل واضح، إلاّأن الحاجة إلى برنامج اقتصادي وتنموي واقعي زادت من السخط أو التذمر الشعبي ضده.**

**7 ـ انتقلت القوة السياسية أو نُقلت من أيدي الناس، وسُحبت كذلك من أيدي المنظماتالاجتماعية، كما أن النظام لم يُعِر أي اهتمام لكسب التأييد الجماهيري لحكومته. الشيء الوحيد المرغوب كان حاجة الناسلمعارضة النظام الحاكم الذي تسنّم السلطة عبر الإرهاب والتعذيب.**

**8 ـ آخذون بنظر الاعتبار عدم كفاءة السياسيين وسيادة القرارات الخاطئة التي أُلصقتبشكل رئيس بشخص واحد، فإنّ النظام السياسي لم يكن قادراً على حلّ أبسط المشاكل الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية.**

**9 ـ كان النظام يعتمد بكثافة على الدعاية، والمزاعم وإقامة الاحتفالات والمناسباتالباذخة من أجل تلميع صورته في الداخل والخارج.**

**10 ـ تجاهلَ النظام القيم الاجتماعية والتعاليم المتجذّرة للدين، وحاول بكل وسيلةتقليص دور هذه القيم واستبدالها بأخرى غريبة على المجتمع.**

**في أجواء هذه الظروف بدأت الوجودات الاجتماعية تيأس من النظام السياسي للبلد وراحتتتكتل خلف قياداتها، وبهذا تمّ إيجاد قوى اجتماعية بالغة القوة كان لها الدور الأول، وفي اللحظة المناسبة، لتعجيل سقوطالنظام.**

**القوة الجماهيرية:**

**القوة الاجتماعية والمذهبية تنشأ من إرادة وتصميم الشعب الذي يعيش في مكان محدّدعلى قاعدة ثابتة من سلسلة مصالح وقيم مشتركة. لا تستطيع أية أمة أو جماعة البقاء أو توسيع البقاء بدونها. الأمة بلا قيملا تتمكن من تحمّل المسؤولية وأنها تستسلم تنتهي بسرعة. القيم المشتركة يمكن أن تكون ذات طبيعة مادية أو روحية. مع ذلك،وبشكل طبيعي لا مناص منه، إن أي مجتمع** **يُبتنى أو يتأسس على قيم مادية بحتة أو مصالح فقط، لا يفتقد الاستقرار الذاتي وحسب،وإنما يكشف عن ضعف أو خواء يجعلاه غير قادر على الدفاع عن نفسه ضد الأخطار المحتملة.**

**شريحة كبيرة من المجتمع وخاصة عوام الناس والفقراء وأهل القرى المحرومين وسكانالمدن الأوفياء لعقائدهم الدينية الذين شعروا بالخطر على معتقداتهم، حولّوا اهتماماتهم من النشاط الاجتماعي أو السياسيوطلبوا ملاذاً في أبعاد محدّدة للدين مثل إلفات النظر إلى النفاق أو الرياء عند البعض، وتبنّى العزلة والسكوت عند بعض آخر، والوقوفبلامبالاة تجاه الأحداث الاجتماعية** **عند صنف ثالث. مجموعة صغيرة جداً من الناس وأغلبهم أولئك المنحدرين من خلفيةأكاديمية والذين لم يستطيعوا البقاء غير مبالين حيال ما كان يحدث في أوساطهم، جسّدوا ردود فعلهم في طريقين: مجموعة، وبسببعلاقاتها مع المجتمعات الغربية، وخاصة المثقفين الأوربيين لاحظوا التقدم العلمي والصناعي في تلك المجتمعات وانبهروابترفها المادي، اعتقدوا أن الطريق** **الوحيد لحل مشاكل إيران واللحاق بتلك المجتمعات هو التخلّي عن قيمهم الدينيةوالثقافية وبناء مجتمع جديد يقوم على أسس معاصرة وقيم غربية.** **هذه الشريحة قُسّمت إلى مجموعتين رئيسيتين:**

**الأولى كانت متأثرة بالليبرالية الغربيةوالثورة الفرنسية معتقدة بتعقّب المجتمعات الغربية والسير خلفها. ووفقاً لـ تقي زادة، أحد روّاد هذه النظرية «على المرء أنيكون متغرّباً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه لكي يصل إلى السعادة والراحة والتقدم الذي أحرزته المجتمعات الغربية». أعضاء من هذهالمجموعة كانوا ينتمون مبدأياً إلى سكان المدن الأثرياء الذين تهيأت لهم الفرص للاتصال مع المجتمعات الغربية أو أرسلواأولادهم إلى أقطار الغرب لغرض التعليم العالي.**

**والأكثر أهمية أن هؤلاء وجدوا الليبرالية الغربية أكثر مواءمة لهم أنفسهم.** **المجموعة الرئيسية الثانية التي كانت تتكون أيضاً من الشباب المثقفين والمتحمسينالذين أغاضهم فقدان العدالة وشيوع الظلم في** **المجتمع الإيراني، وفي بداية القرن، وتحديداً بعد انتصار الثورة الروسية عام 1917،وحين كان هؤلاء على اتصال مع جيرانهم** **الروس وكانوا متأثرين بالماركسية ـ اللينينية قاموا بتأسيس الحركات اليسارية فيإيران.هذه الجماعة، وبجانب رفضها للقيم** **التقليدية الحاكمة في المجتمع لاسيما المعتقدات الدينية، فقد كانت تحاول إقامةمجتمع اشتراكي على غرار ذاك القائم في روسيا.** **ولهذا الهدف، قاموا بالدعوة إلى الأفكار الإلحادية والمادية الموجودة في الماركسية (والمطبّقة في الاتحاد السوفياتي السابق).** **ومع ذلك، ظهرت مجموعة ثالثة متشكّلة على الأغلب من رجال دين وزعماء دينيين، عزواتخلّف مجتمعهم لا إلى إتّباع الناس** **القيم الإسلامية، وانما بالتخلّي عنها وتركها جانباً. إنهم كانوا يعتقدون أنّالمجتمعات الإسلامية، ورغم أنها تحتفظ بالمظهر العام** **للدين، إلاّ إن هذا الدين فُرّغ من جوهره الحقيقي. هذهالنظرية كانت عُمّقت من قبلحركة السيد جمال الدين الأسدآبادي التي** **أكدت بأن الطريق الوحيد أمام المجتمعات الإسلامية، وبالأحرى الأمة الإسلامية هوبالعودة إلى الإسلام. وقد بذل أنصار هذه** **الفكرة جهوداً كبيرة لتحقيق هذا الهدف الذي بلغ ذروته في حركات تأميم التبغ والنفطوالدستورية، ومن بينروّاد هذه الأفكار ،بعد** **السيد جمال الدين ،يمكن تسمية الشيخ فضل اللّه‏ نوري والسيد حسن مدّرس وآية اللّه‏كاشاني ونواب صفوي.** **والآن ومن أجل فهمٍ أفضل للقوة الاجتماعية في الأمة الإيرانية، من الضروري إجراءمراجعة موجزة لتركيبة الشعب الإيراني** **من وجهة نظر اجتماعية.**

### ****الوضع الاجتماعي في إيران قبل الثورة:****

**في فجر القرن الجاري كان القسم الأكبر من الشعب الإيراني يتألف من سكان القرى الذينينتهجون غالباً نمط الحياة القبائلية.** **كانت القبائل تشكّل قرابة الـ 25 % من سكان البلد. في عام1911، وفي المراحل الأولىمن الحركة الدستورية، بلغ مجموع** **سكان إيران حوالي 10 ملايين نسمة وقد سكن ما يقارب الـ 20 % منهم في المدن التي كانعدد القاطنين في كل واحدة منها يبلغ** **حوالي 5000 فيما كان عدد نفوس طهران 000ر200. ويشكّل هذا الرقم 2% من إجمالي سكانإيران.ومع ذلك فقد كان تزايد** **عدد سكان طهران سريعاً حيث وصل عدد قاطنيها إلى أكثر من مليون، والى ما قبل الثورةكان عدد نفوسها أكثر من خمسة ملايين نسمة.**

**هذا النمو السريع لسكان المدن يعود بشكل رئيسي إلى السياسة غير السليمة المملاة منقبل النظام البهلوي. وهذا ما سبب تدمير** **حياة الريف والقرى وجاء نتيجةً، لهجرة أبناء الريف إلى المدن الكبيرة مثل طهران. وبهذا وفي عام 1978 بلغ عدد سكان المدن أكثر من 20 مليون أي متجاوزاً رقم سكان القرى.**

**إن ظروف حياة القرويين مقارنةً بسكان المدن كانت تماماً غير مرغوب فيها.** **فالإيرانيون في القرى يسكنون في بيوت مبنية بالطين والآجر، وقد بيّن إحصاء عام 1976بأن هناك حوالي 65000 قرية في إيران، كان سكان 18000 فقط من هذه القرى يشكلون نسبة 25% ،وهذا يشير بأن الشعبالإيراني واحد من الشعوب المشرّدة المنتشرة في العالم.**

**إن التخلّف والحرمان وتمزيق القرويين الإيرانيين إلى تجمعات صغيرة أوجد ظروفاً صعبةلا يمكن تحمّلها. النسبة العالية من** **الأميّين والموتى بين سكان القرى هو النتيجة الطبيعية لمثل هذه الظروف. في عام 1974، كان هناك 39% فقط من أطفال** **الريف هم الذين استفادوا من عمر المدرسة للدخول إلى المدارس التربوية المدعومة منقبل الحكومة. نسبة أطفال المدن بلغ أكثر** **من 90%. القرويون وعلى امتداد قرون كانوا يعيشون تحت الاضطهاد المستمر واستغلالملاّك الأرض وجور الحكام** **المستبدين.** **وبذلك، فإنّ الطغيان والضغوط من قبل وكلاء الحكومة جعل القرويين لا يستشعرون أو لايضمرون إلاّ سوء الظن والكراهية** **والخوف تجاه الحكومة ورجالها.** **إنهم حسبوا أن موظفي الحكومة ليسوا أكثر من مجرّد مرتشين وطلاب أتاوات وموزّعيمفاسد، وليس على الإطلاق عناصر** **خير تمنحهم الحماية والأمان.** **حتى أوائل الستينات، كانت إيران مكتفية ذاتياً في مسألة توفير الطعام والغذاء،وكانت قادرة بدرجة ما على سدّ نواقصها من** **الواردات الأجنبية بتصدير القطن والفواكه والجوز، ومع ذلك، لم تمضِ فترة طويلة علىتنفيذ قانون إصلاح الأراضي للشاه،** **الذي جرى إعداده من قبل الحكومة الأمريكية في حقبة كندي، حتى أصبحت إيران تعتمد فيغذائها على الواردات.ومع هذا، وفي** **مخطط لمسح الأرض تمّ إعداده من قبل الخبيران الأمريكيان مورسون وكنودسون، حول خيارإيران في التطور، كان ممدوحاً أو** **مصوباً أن يركّز البلد أغلب نشاطاته على تحسين الزراعة. إلا أنّ الشاه في عام 1962،وتنفيذاً للسياسة الإمبريالية لنفس** **الحكومة الأمريكية، دمّر الزراعة في إيران ليبني على أنقاضها الصناعة المؤسساتيةالمستقلة المزعومة.** **في عام 1973 وعندما زادت واردات النفط الإيرانية بشكلٍ سريع لم يزد الاستثمار فيالقطاع الزراعي عن نسبة 8% من** **الدخل القومي.** **ونتيجة لبرنامج إصلاح الأرض المزعوم هذا، وتدمير الزراعة واتّساع ظاهرة الهجرة إلىالمدن والسكن فيها، فإنّ القرويين،** **وعلى أمل العثور على فرص عمل مناسبة، راحوا ينهمرون على المدن فأوجدوا طبقةاجتماعية جديدة من عمال الأجور** **اليومية.** **هؤلاء الناس الذين هاجروا إلى المدن بمفردهم كرجال تاركين زوجاتهم وعوائلهم فيالقرى، اصطدموا بالحياة المدنية ذات الثقافة** **الغربية الغريبة عليهم. وبقصد الحصول على الأموال وتأمين لقمة العيش، كان عليهم أنيشتغلوا في البنايات والعمارات الضخمة** **القريبة من الفلل والقصور العصرية المترفة المنيفة، التي كانت أرقام كلفتها ترتفعإلى السماء. إن دخولهم بدأت كبيرة وجيدة، إلاّ** **إنها كانت تُستنزف مع ارتفاع نسبة التضخم الفاحش.** **مع بداية عام 1976، بدأت برامج البناء تتقلص، وذلك بسبب انخفاض واردات النفط. نتيجةلذلك أصبح الكثير من العمال** **فائضين. وما دام وضع الزراعة سيئاً جداً هو الآخر، فلم يكن لديهم أي تصوّر بالعودةإلى قراهم.وبلحاظ الخلفية الدينية لمعظم** **هذه الطبقة من الشباب ،وفي بداية الحركة السياسية الثورية في المدن، فإنهم كانوا فيقلب النضال الشعبي، ليصبحوا بعدئذ أداة** **الوصل الطبيعية بين المدينة والقرية في هذا النضال.** **إنّ عناصر التذّمر الاجتماعي التي منحت خلفية عميقة للثورة عديدة ومتنوعة منها: إهمال القيم الدينية، عدم الاهتمام بنداءات** **رجال الدين ومطاليبهم، انتشار الرذيلة والفساد الأخلاقي ،تجاهل الأعراف العامة،توظيف البهائيين والصهاينة في مواقع حساسة** **في أجهزة الدولة، وهيمنة هؤلاء على الاقتصاد الاجتماعي، تبديل التقويم الإسلاميوالعودة إلى القيم والتعاليم التي كانت سائدة** **قبل الإسلام والدعاية لها وإقحامها في بعض البرامج أو الترويج لها، كلها كانت عواملمهمة سبّبت جرحاً عميقاً للمشاعر الدينية** **للمجتمع الإيراني.** **يُضاف إلى هذه العناصر، الحضور الكبير للأجانب وخاصة الأمريكان، والنقص الواضح فيالخدمات الاجتماعية، وزيادة** **البطالة، أي تناقص استخدام الطبقات الوسطى والدنيا، واتساع الهوّة بين الأثرياءوالطبقات الأخرى في المجتمع.** **هذه العوامل التي ساهمت في زيادة انكفاء الشعب عن النظام السياسي وكذلك عدم قدرةالسلطة السياسية على توفير الحدّ الأدنى** **من حاجات ومتطلبات الناس، فتحت الطريق أمام تحوّل جذري في النظام الاجتماعي ـالسياسي الإيراني. فلم يعُد يوجد هناك** **سوى نفر قليل ممن يشك بأن الاحتفاظ بهذا الوضع ممكن أن يدوم فترة طويلة.** **بطبيعة الحال، لا ينبغي أن ننسى أنه على الرغم من زيادة الهوّة بين أبناء المجتمعالإيراني والنظام السياسي الحاكم، فإنّ الشاه ما** **زال يساهم في إيجاد ظروف أفضل لما يخص الاقتصاد والعسكر والشؤون الدولية. وكان هذانتيجة ارتفاع أسعار النفط في أوائل** **السبعينات.إذ أن دخل الحكومة قد تضاعف عدة مرات عما كان عليه قبيل انتصار الثورة،وأصبح النظام معروفاً بأنه واحد من** **أهم الدائنين الكرام بين الدول الغربية وأقطار العالم الثالث. وفي سياق منهج نيكسونواختيار الشاه كشرطي للمنطقة، تمّ توفير** **ضغوط استثنائية لتقوية وتعزيز الجيش الذي كان أداة الشاه الرئيسية في القمعوالإمساك بالسلطة.** **وأخيراً، وفي إطار أجواء دولية للتفاهم بين القوى العظمى العالمية، شاركت حكومةالشاه بكل أنواع الدعم المادي والمعنوي لكافة** **القوى المؤثرة والفاعلة في العالم، شرقية كانت أو غربية. ومن الطبيعي إنّ مواجهةمثل هذا النظام، الذي كانفي قمة سطوته،** **وتوفير أرضية سقوطه كانت تحتاج إلى قوة هائلة ينبغي البحث عنها في العناصر الثلاثةالضرورية للثورة.** **وبلحاظ النقاشات السابقة، ينبري أمامنا هذا السؤال: لماذا أو لأي سبب يمكن أن ينتهيالتحوّل في الوضع القائم بالثورة؟ ورغم** **كل الجهود التي بُذلت، فإنّ الإصلاح الاجتماعي ـ السياسي لم يستطع حلّ مشاكلومعضلات المجتمع الإيراني، بل على العكس،** **انه أوجد ثورة تاريخية عظيمة، وهذا ما سوف نناقشه في الفصل اللاحق.**

### ****عناصر انتصار الثورة الإسلامية:****

**عندما يصبح المجتمع ثنائي القطب، وعندما تنكمش إمكانية علاج الأوضاع وتقريب الفجواتبين القوى السياسية والقوى** **الاجتماعية، حينئذ يكون التغيير الاجتماعي ـ السياسي أمرٌ لا مفرّ منه.** **وكما جاء التحليل في الفصل السابق، أنّ السلطة السياسية الحاكمة في إيران كانتمعزولة عن‏المجتمع الإيراني، وهذا ما ازدادت** **وتيرته في السنين الأخيرة من عمر النظام. قليلون هم الذين كانوا يشكّون بأن النظامالسياسي الحاكم فوق المجتمع الإيراني** **يستطيع، وفي ظل الظروف الحالية، أن يقرّب الهوّة بينه وبين المجتمع، إذ لمْ يعدالنظام يمتلك القدرة على تغيير أو تحسين** **كفاءته، ولا الشعب قادراً أو مستعداً لأن يخضع أكثر أو يسلّم أكثر، أو يقبل الحكومةويضع أدنى أملٍ فيها.** **وبهذا، فقد وصل المجتمع الإيراني إلى لحظة الانفجار وللحدّ أن أي حادث صار يمكن أنينسف الوضع القائم من أساسه ويلخبط** **الوضع الروتيني العادي فيه. إن أي جهد لعلاج الجروح الموجودة وتقليل الفجوة بينالناس والنظام السياسي لم يعد فيه أي** **جدوى، ولم يبقَّ هناك مجال لخداع الناس. وهنا أعلن الشاه مرة قائلاً: «إذا لم يستطعنظام الحزب الواحد (حزب راستاخيز) ان** **ينجح، فلا أمل حينئذ بإعادة النظام إلى الحياة أو إعادة الحياة إلى النظام».** **ومع ذلك، يبقى السؤال المهم القائم هو: لماذا لم تُدرَكالثورة في إيران أو تُعرف،في الوقت الذي تحصل في العالم حولها أشكال** **مماثلة من التحولات الإجتماعية ـ السياسية كل يوم؟ ضمن مقارنة مختصرة مع الثوراتالعظيمة في العالم في القرن الحاضر،** **يُلاحَظ بأن انتصار الثورة الإسلامية حدثت في ظروف، كانت فيها الظروف الدولية، منوجهة نظر عسكرية سياسية، ليس فقط** **غير مستعدة لدعمها أو تأييدها، بل كانت هناك جهود لخنقها أو قمعها.** **الثورتان العظيمتان في القرن الحاضر اللتان حدثتا في روسيا والصين حصلتا في ظل ظروفاقتصادية قاهرة وظروف سياسية** **واجتماعية مناسبة لإيجاد مثل هذه الأحداث. فثورة أكتوبر الروسية التي انتهت بانتصارعام 1917 لم يكن انتصارها ضمن** **نضال سياسي ضد قوة سياسية، ولا في دحر جيش روسيا لامبريالية ولا في حل النظامالحاكم، لأن هذه جميعها كانت ضعفت** **وأقرب إلى الانحلال بسبب تداعيات الحرب العالمية الأولى. الشيء الوحيد الذي فعلهالثوار هو أخذ زمام المبادرة في السيطرة** **على المجتمع الروسي في جوّ من الفوضى والارتباك وفقدان النظام.** **حكومة الكومنتانك في الصين فقدت قوتها هي الأخرى في الحرب العالمية الثانية نتيجةالهجمات الأجنبية على الحكومة** **المركزية. ماعدا مقاطعة بيجنع وضواحيها لم يكن للحكومة أية سيطرة على البلد. وبذلكلم تكن هناك أية عوائق معتبرة ضد تقدم** **القوات الثورية التي كان يقودها ماوتسي تونع ليفرض سيطرته على البلاد.** **وكما ذُكر سابقاً، أنّ الظروف الدولية وقت انتصار الثورة الإسلامية، وخلاف ظروفووقت الثورتين المذكورتين، لم تكن مهيئة** **لمثل هذا الحدث الكبير.** **القوى العظمى وصلت إلى اتفاق سلام دولي، وأسست منظومة إمبريالية عالمية منسجمة. يُضاف إلى ذلك أنّ هذه القوى الكبرى** **كانت على اتفاق كامل لحفظ الأوضاع الدولية كما هي، وخاصة بلحاظ المصالح والمنافعالتي حققتها حكومة الشاه لكلتا القوتين** **العظميين ،إذ إن كليهما دعما نظام الشاه حتى آخر يوم من وجوده وبالحدود التي كانتتحت إمكاناتهما وقدراتهما.** **كان الشاه كذلك معتمداً على جيش ضخم قوامه 000ر700 رجل كانوا مسلحين بأحدث أنواعالأسلحة.في ظل هذه الظروف** **المحلية والدولية انتفضت الأمة المسلمة في إيران ضد الملكية وحققت نجاحها دوناستخدم السلاح.** **لمعرفة وفهم أسباب انتصار الثورة الإسلامية، هناك نقطتان مركزيتان يجدر أخذهما بنظرالاعتبار وهما:**

### ****1 ـ الخلفية التاريخية لكفاح الشعب الإيراني:****

**إن أبناء الشعب الإيراني، وخلال القرن الأخير، بذلوا جهوداً مستمرة ومضنية ضدالنظام السياسي الحاكم بالطريقتين الإصلاحية** **والمحافظة، وعلى الرغم من اكتسابهم خبرة كافية، إلاّ أنهم عملياً واجهوا هزائم مرّةجداً. حركة التنباك، وحركة تأميم النفط اللتان** **استهدفتا إنهاء هيمنة الأجانب، انتهتا أخيراً في الانقلاب الأمريكي ـ البريطاني في 28 مرداد (آب 1053) وتكريس حكم الشاه** **المستبد وزيادة تحكّم الأجانب بمصير المجتمع الإيراني. ما يُسمّى بالتجاربالتاريخية برهنت إنه ما لم تُقطع جذور النظام** **السياسي الحاكم وتُجتثّ من قبل الحركات الثورية ومعها الفساد السياسي ويؤسَّس نظامجديد بديل يرتكز على قيم الناس** **وأفكارهم، فإنّ من المحتمل أن تتمكن بقايا النظام القديم المتهرّئ‏ من اكتساحوابتلاع كافة الإنجازات التي حققتها حركة الأمة.** **وبهذا، فإنّ كافة الضغوط المستخدمة ،من داخل البلد وخارجه ،لفرض صلح معين أو اتفاقمحدد لم تترك أي شك عند الناس في** **أنّ على قيادة التحرك أن تُدرك أنّ الأهداف الكبرى لا يمكن تحقيقها إلاّ بإقامة حكمإسلامي.**

**2 ـ حضور العناصر الثلاثة الضرورية المؤدّية للثورة:**

**إن حضور العناصر الثلاثة وفي انسجام كامل ووقت واحد، كانت سبباً للثورة الإسلاميةالإيرانية ،وهذه العناصر هي: الشعب** **والقيادة والأيديولوجية.**

#### ****أ ـ الشعب :****

**بإمعان النظر في الثورات العظيمة المعاصرة التي حدثت في العالم، لا يستطيع المرء أنيجد أية ظاهرة بنفس السعة والشمول التي وجُدت أو تجلّت فيها ظاهرة الثورة الإسلامية في إيران.ففي الثورة الفرنسيةكانت برجوازية المدينة وأبناء العاصمة هم الذين نهضوا وأسقطوا النظام البوربوني. وهذا هو سبب تسميتها بـ (الثورةالبرجوازية). في الثورة الروسية، كانت هناك إضرابات العمال في مصانع بتروگراد، وجنباً إلى جنب معمجموعة من الجنود من مدينة** **كاريسون، وكلهم هم الذين تمكّنوا من قلب حكومة القيصر. في الصين كذلك كان هناكالفلاحون وعمال الأرض المزارعون الذين قادوا النضال وحسموا الجزء الأكبر من الصراع مع السلطة، وبهذا عُرفت الثورةالصينية بأنها (ثورة الفلاحين).** **بينما في إيران، وباستثناء قلة قليلة جداً ممن كانت لهم علاقة وثيقة مع نظام الشاهويعتمدون عليه والذين ارتبطت مصالحهم ومنافعهم المادية بوجوده، فإنّ الجماعات الأخرى والطبقات الاجتماعية بمن فيهمالفلاحين، العمال، رجال الأعمال، موظفي الدولة، طلاب الجامعات والمدارس في المدن والقرى في كافة أنحاء القطر، كلهم انتفضواوفي انسجام كامل دون الحاجة إلى أي تحالف أو اتفاق أو ائتلاف على المطالب المختلفة للجماعات المتباينة. لقد وقفواجميعاً وقفةً واحدة وأنشدوا نفس الشعارات.**

**وبالأساس، أنّ الحركات الثورية للجماهير عبرّت وبقوة عن إرادة وتصميم كاملين. فيالتاريخ البشري، مَواطن قليلة مثل هذه يمكن العثور عليها. لقد صار موروثاً سياسياً حيث راح الفلاسفة ورجال القانونيُحللّون ويكتبون ويعملون على ضوء برنامج هذه الثورة ومنظومتها، كان لهذه الإشارة بُعداً نظرياً أقل إلفاتاً للنظر، وكما وضعهميشيل فاكولت قائلاً: «مثل اللّه‏ أو الروح ربما لا تُرى بالعين على الإطلاق». ومع ذلك، ففي طهران وفي عموم إيران ،لوحظ أن هذه ظاهرةأمة تتحرك بأجمعها كأنها شخص واحد باقية وستبقى وتُسجّل كملاحظة تاريخية لافتة لا يمكن محوها من ذاكرة الأجيال.**

**وبهذا، تشكّل اتحاد مفاجئ أو إئتلاف غير معلن لم يحصل في تاريخ الأمة الإيرانيةوكان مرتكزاً على مشاعر دينية قوية بحتة.**

**نعم، جرى هذا التشكيل جنباً إلى جنب مع ما كانت تعانيه الأمة، من سيطرةٍ الأجانبوتدخّلهم في الصغيرة والكبيرة ونهْبهم للثروات الطبيعة مع تبعية واضحة للسياسات الأجنبية، وتدخّل فاضح من قبل أمريكا فيالشؤون الداخلية لإيران.**

**التهبت المشاعر مؤكّدةً إرادة الأمة، ليس في رفض هذا الواقع المرّ فحسب، وإنما فيرفض القيم السائدة التي حكمت أو تحكّمت بالقدر السياسي للشعوب منذ قرون طويلة وكانت سبباً لمصائب وكوارث. إن هذه الوحدةالوطنية لم تكن نتيجة أي إئتلاف لجماعات سياسية مختلفة، كما لم تكن حصيلة أي تكتّل لجماعات اجتماعية بعينها، إذْكانت كل الجماعات مستعدة للتضحية ببعض أهدافها من أجل التشبّث بأية تسوية أو حلّ وسط عند الاختلاف.**

**على الرغم من أن الحركة الثورية في إيران كانت مبنية على قيم ومثُل الفكر الشيعي،إلاّ أن أبناء السنّة (العقائديين) أي المتدّينين دعموا الثورة وشار كوافيها. علّق فوكولت على حوار له مع أحد أبناء كردستان قائلا: «عندما سألته عن مساهمته في الثورة رغم** **وجود الخلافات الدينية والقومية، أجاب: صحيح إننا نعتقد بالمذهب السنّي، ولكننامسلمون قبل كل شيء)، وبعدها أردف قائلا:** **«لماذا فعلناها؟ انه شيء واضح، إننا قبل كل شيء إيرانيون وكلّ واحد منا له سهم فيالمشاكل والشؤون الإيرانية. نحن نريد** **الشاه أن يغادر، يعيش الخميني، يسقط الشاه». فالشعارات في كردستان كان هي نفسهافيطهران ومشهد.** **إنّ الذي طبع عُمق وحدّة الثورة في إيران عاملان أساسيان هما: الأول: هو تصميمالشعب الذي تشكّل سياسياً ولم يُعد أحد يشك** **في ذلك، ولا حتى الأعداء أو الشاه نفسه، والثاني هو إرادة الشعب وإصراره على إجراءتغيير سياسي وجذري في المنظومة** **الاجتماعية السياسية والقيم الحاكمة في المجتمع.** **ولكن العنصر الأكثر أهمية هو دور المؤسسة الدينية وعلماء الدين في تنظيم وقيادةالحركة الثورية، وهذه بحاجة إلى نقاش. إن** **الزعامة الدينية في إيران وخاصة المؤسسة الشيعية تمتلك خصوصيات معينة كان لها الدورالأكبر والأكثر تأثيراً في إدارة** **وتنظيم الأحداث.**

##### **1 ـ البنية الاجتماعية للمؤسسة الدينية:**

**إنّ الأغلبية العظمى من رجال الدين ينحدرون من الطبقات الفقيرة والمحرومة فيالمجتمع الإيراني ومعظمهم من أبناء القرى.** **وبهذا فإنهم أدركوا معنى الألم والحرمان لعموم الناس، وإنها نشأة معهم. على النقيضمن ذلك، الطبقة المتعلّمة والمثقفة، الذين** **أوجدوا في العديد من الحركات الاجتماعية ـ السياسية التي تزعموها في الكفاح الوطني،طبقة نخبوية بثقافة محدّدة خاصة بهم،** **وراحوا تدريجياً يفصلون أنفسهم عن عموم الناس، إذْ تراهم في الأعم الأغلب يفقدونعلاقاتهم الروحية مع الشعب. أما رجال** **الدين، فإنهم لم يفقدوا علاقاتهم الروحية والثقافية على الإطلاق.**

##### **2 ـ الاستقلال الاقتصادي لرجال الدين الشيعة:**

**على عكس رجال الدين السنّة الذين تستخدمهم الحكومة كموظفين، فإنّ المؤسسة الدينيةالشيعية ورجالها يتمتعون بالاستقلال** **الاقتصادي بعيدين عن النظام السياسي الحاكم، ويعتمدون في معيشتهم على الأموال التييستلمونها باسم الضرائب الدينية** **الخاصة التي يدفعها المسلمون المؤمنون. ومن الطبيعي إن هذه الاستقلالية الاقتصاديةعن النظام السياسي، والاعتماد على** **الشعب في توفير المعيشة، ساعدا رجال الدين الشيعة كثيراً لانجاز نشاطاتهم الدينية ـالسياسية بحرّية بعيداً عن القلق والهواجس،** **ووّفر لهم الوقت والجهد للاهتمام بحاجات ومطاليب الناس.** **وهنا، من الضروري أن نذكر نقطتين فقط: الأولى، أنّ رجل الدين حاول غالباً أن يعيشحياة بسيطة بدون أي ترف أو بذخ،** **وهذه وحدها كانت سبباً لحرية رجال الدين وبنائهم الروحي والمعنوي. الثانية، إنمؤونتهم في معيشتهم لا تعتمد على الأثرياء** **وإنما في الغالب على الطبقات الدنيا والوسطى في المجتمع، الذين، وبحكم أيمانهمبإشراف العلماء على النظام والقانون ورقابتهم** **الدينية، يرون أنفسهم ملزمين بأداء الواجبات الدينية والحقوق.مثل الخمس والزكاةوالنذور والصدقات وغيرها، وتوفيرها** **لمتطلبات رجال الدين المحدودة.**

##### **3 ـ تأسيس العلاقات:**

**مثل الاجتهاد، إن بذل الجهد والسعي الجاد لفهم معاني الدين الحقيقية وقوانينهاوضوابطها لا تزال تحتل بُعداً عملياً في الإسلام** **الشيعي، وهذه لوحدها لا تساهم في تيسير أو تسهيل النمّو المستمر للفقه الشيعي وحسب،وإنما أعطت الاجتهاد والتقليد أهمية** **خاصة ولافتة.إن أي مسلم لابد له أن يكون هو نفسه منظّراً متخصصاً أو منسجماًمتطابقاً مع فكرة فقيه متخصص مطلق يُعرف** **بـ (المجتهد) كمرجع، أو مرجعاً دينياً كان طبع كتاباً عملياً يسمى (الرسالةالعملية).من الطبيعي أن ليس كل الناس ومن مناطق** **مختلفة قادرين على الاتصال المباشر مع السلطات المرجعية العليا (أي المرجعيةالدينية).لذلك، فإنّ رجل الدين يلعب دوراً مهماً** **في نقل الأفكار والآراء الفقهية، وبدون الحاجة إلى رتبة خاصة.فهم إذن يحملون رسالةمهمة وهي نقل أو إيصال أفكار وفتاوى** **السلطات الدينية المرجعية هذه إلى أبناء الشعب. أنهم يترجمون فتاوى ومواعظ وأحكامالفقهاء المتخصصين في المساجد،** **وبالمقابل يعكسون مشاكل الناس وتساؤلاتهم إلى القادة الدينيين.** **مقدّراً دور المساجد ورجال الدين في كفاح الشعب الإيراني، كتب گراهام قائلاً:** **«الحقيقة أن رجال الدين الشيعة في إيران يعيشون بين الناس، ولديهم علاقات وطيدةمعهم، وهذا يعني إنهم أكثر إحساساً من** **غيرهم بمشاعرهم وأحاسيسهم. المسجد يُعتبر جزء لا يتجزأ من حياة الناس كما هوالبازار (أي السوق) بالنسبة لعامة الناس،** **حيث يُعتبر المركز في حياتهم العادية.وعندما يعارض علماء الدين سياسة الحكومة، فإنّأفكارهم لها من الشرعية والتأثير بحيث** **يجري تنفيذها من قبل الناس في جميع الظروف وأكثرها حدّة ودكتاتورية. في هذه الأثناءتوفّر شبكة العلاقات العامة والمسجد** **الإمكانية والقدرة لهم على الاتصال بجميع الناس».** **انه من وسط هذه الجماعة من رجال الدين السياسيين، ظهر قائد الثورة الإسلامية فيإيران سماحة آية اللّه‏ الإمام الخميني.**

#### ****ب ـ القيادة:****

**هنا، سوف لا نناقش ماذا فعله قائد الثورة، وإنما سنتحدث عن ماذا كان؟ وأيّة ملامحوخصائص كانت لديه، إن أي شخص التقى** **الإمام شخصياً، يُدرك أنّ هذا الرجل كان إنساناً نموذجياً ،مع كل ما تمتلكه الشخصيةالمقدسة من خصائص وصفات. إنّ مجموعة** **من صفات روحية وآلهية موهوبة وأخرى سياسية وعقلية وأخلاقية وضعت هذه الشخصيةالاستثنائية في موقعها لأن تلعب هذا** **الدور العظيم في تاريخ إيران المعاصر. نعم، أنّ قوته وقدرته، قد فاقت بلا شك، بعدةأضعاف قدرات وإمكانات أولئك الكبار في** **المرجعية الدينية العادية ونفوذهم العالي. انه كان بكل المعاني، نموذجاً فريداًللشخص المتكامل في فهمه لنفسه والتحكّم بها (كمسلم** **حقيقي). حتى غير الإيرانيين من مسلمي العالم وجدوا فيه النموذج الأعظم للرجلالمثالي في الإسلام.** **نعم ومع ذلك، انه وبامتلاكه هذه الصفات، وبلحاظ كونه الرجل الذي استطاع في دقائققليلة إخراج ملايين الإيرانيين إلى** **الشوارع في مظاهرات جماهيرية حاشدة، لكنك حين تنظر إلى مكان عمله وسكناه، لا ترىشيئاً أكثر من البساطة والهيبة. لقد** **تعوّد الجلوس على الأرض خلف طاولة صغيرة، هي الشيء الوحيد الذي تراه في غرفة عمله.** **أحد الصحفيين من مراسلي الصحف التركية غير المتدينين، وقبيل انتصار الثورةالإسلامية، كغيره من العديد من المراسلين** **الذين كانوا يذهبون لزيارته وإلقاء عدد من الأسئلة حول حقوق الأقلّيات وحقوق المرأةوأمثال ذلك، كان ذُهل تماماً بشخصية** **الإمام بحيث لم يستطع حياءً إثارة الأسئلة التي كان ينوي إثارتها، ولذلك فقد بقيصامتاً، ولكن السؤال الوحيد الذي آثاره هو في** **ما إذا كان الأمام يوصيه بعض الوصايا تنفعه في حياته الخاصة، فأوصاه بان يدرسالإسلام ويؤدي صلاته اليومية وما إلى ذلك.** **واحدة من الملامح اللافتة حول الإمام أن شخصيته القيادية ودوره السياسي في الثورةالتي لا نظير لها في التاريخ كانت عتّمت** **على موقعيته كسيّد جليل وفيلسوف وحكيم.** **لقد جرى الاعتقاد من قبل مسلمي العصر بأن أفكار ونفسية الحكيم والفيلسوف لا علاقةلها بالحقائق الجارية في المجتمع وإنه** **عموماً يمتنع عن أخذ أي دور سياسي أو اجتماعي، ويبدو ان سبب هذا الاعتقاد هو أنالبعض يرون أن المسائل الروحية** **والنفسية ليست لها علاقة منظورة مع المشاكل القائمة ومسائل العالم الإسلامي.** **إنّ حياة الإمام الخميني وعلى عكس هذه الفكرة تماماً، تعتبر دليلاً واضحاً علىالعلاقة بين المسائل المذكورة، وتجسّد الحقيقة** **القائلة بأن برنامجه ليس مجرد فكرة إستراتجية وسياسة ابتدائية وإنما تمّ تبنّيهاوالإهتداء بها وفق الرؤية الشرعية المقدسة.** **في عهد رضا خان، كان الإمام قد كتب كتاباً تحت عنوان (كشف الأسرار) منتقداًالدكتاتورية البهلوية ،كما انتقد في هذا الكتاب** **بجسارة وشجاعة نظام رضا خان وخاصة استسلامه للقوى الأجنبية.** **إن موقف الإمام من نظام الشاه كان موقفاً راديكالياً وغير قابل للمصالحة إطلاقاً،وانه لم يكن مقبولاً أو غير مسموح به من قبل** **النظام وحسب، وإنما كان مع ذوق العديد من السلطات المرجعية العليا ومراجع الدين فيمركز قم اللاهوتي Qums** **Thelogical Center نفسه، وكان هذا بسبب محاولة هذا المركز، رغم كل قوته، إنقاذموقعه وإبقائه حيّاً. ففي فترة آية اللّه‏** **البروجردي الذي كانت السلطة الدينية المطلقة له، كان الإمام واحداً من ثقاتهومستشاريه، ولكن هذا لا يعني أن وجهات نظره** **كانت معروفة بين مستشاري المرحوم آية اللّه‏ البروجردي.** **لم يؤسس الإمام حزباً من جماعة منظمة لها كادرها المنظم المبدأي، ولم يكن لهبرنامجاً مخططاً من قبل. انه ببساطة استفاد من** **الأساليب أو الوسائل البسيطة في ترويج أفكاره للوصول إلى المجتمع الإسلاميالنموذجي، وان هذا لم يكن لينفّذ إلاّ بعبقريته** **وجاذبيته الشخصية واعتماده على الرؤى الإسلامية الواضحة ونماذجها المعروفة (أيمصاديقها)المعروفة وبنوعٍ من القاطعية** **الفريدة التي كانت من خصائصه.** **إنّ فترة قيادة الإمام الخميني يمكن أن تُقسم إلى أربعة أطوار أو تمظهرات مختلفةهي:**

#### ****الطور الأول:****

**وتمثّل فترة ظهور الإمام الخميني كقائد ديني ـ سياسي، ومقبوليته السريعة من قِبلالجماهير. تبدأ هذه الفترة ببياناته المعارضة** **لإجراءات المجالس البلدية ومجالس المحافظات وتصل قمتها في خطابه الشهير يومعاشوراء، كان اعتقاله اللاحق هو الذي سببّ** **انتفاضة الجماهير في 15 خرداد 1342 (5 حزيران 1963) وانتهت بنفيه إلى تركيا بعد أنرفع صوته عالياً معترضاً على** **قانون الامتيازات الأمريكي المفروض، وعلى غدر وخيانة عدد من مراجع الدين الكباروتسوياتهم المهينة بمن فيهم شريعتمداري.** **في هذه المرحلة من النضال، اتخذ الإمام أربعة إجراءات مهمة:**

**1 ـ تحريم التقية التي كانت عذراً للمساومين أو المصالحين، وبذلك أزال الإمام أكبرالعوائق أهميةً في جدل الجماهير المباشر القوي مع الأنظمة المستبدة.**

**2 ـ سحب الكفاح إلى المركز الرئيسي للنشاط الديني، أي مركز قم اللاهوتي، وهنا نسفَالإمام والى الأبد النظرية القائمة على الفصل بين الدين والسياسية، وحتى أولئك الذين كانوا لا أباليين في دخول النشاطالسياسي، وجدوا أنفسهم مجبرين على إعلان مواقفهم بصراحة ووضوح.**

**3 ـ بتوجيه السهم الأول والحادّ في هجماته نحو المركز الرئيسي للفساد، أي الملكيةوالشاه نفسه ،أنهى الإمام حجة المحافظين ووسائلهم التي حاولوا إيجادها لتبرير تحفّظهم وصمتهم.**

**4 ـ بهجومه المباشر على جميع القوى الأجنبية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدةأنهى الإمام كل أنواع التحفظ السياسي الذي وُجد سابقاً وخاصة أثناء الدستورية (المشروطة) وحركات تأميم النفط واختار أسلوباجديداً بالكامل في إدارة متشابكات الكفاح السياسي.**

**وبما أن الإمام كان يمتلك فهماً دقيقاً للتجارب الماضية، وعبارته الشهيرة التي قالفيها: «بما إن أمريكا أسوأ من انكلترا وانكلترا** **أسوأ من أمريكا، وروسيا أسوأ من كليهما، وكلّهم واحد أسوأ من الآخر، فإنّ صراعنااليوم هو ضد هذه الوجودات السيئة جميعها** **وأمريكا» وبذلك أغلق الإمام الباب أمام أي تدخّل أجنبي أو اختراق من قبل أتباعالسياسات الأجنبية في حركة الثورة في محاولاتهم سرقة ثمار النضال الجماهيري.**

#### ****الطور الثاني:****

**الطور الثاني من قيادة الإمام الخميني يمكن تشخيصه بخمس عشرة سنة طويلة من فراغالسلطة، تبدأ منيوم نفيه إلى تركيا** **وتنتهي بيوم إبعاده عن النجف. في تلك الفترة، ولو بشكل متقطع في التعاطي مع أحداثإيران، كان الإمام مستمراً في معركته** **ضد النظام بإصدار البيانات والأحكام الدينية أي الفتاوى وإلقاء الخطب والبيانات،وانه بذلك احتفظ بعلاقته الروحية مع الناس** **قائداً وموجهاً ومرشداً لهم في نضالهم. إن أهم عمل للإمام في هذه الفترة، هو تعييننفسه كمنظّر للثورة، وقدنفّذ ذلك بإلقاء سلسلة** **من الدروس الدينية عرُفت باسم (الحكومة الإسلامية) أو (ولاية الفقيه). وطبقاً لهذهالرؤية، وضع الإمام القاعدة الأساس لحكومة** **ما قبل الثورة، وجعل ذلك بيناً أمام أولئك الذين لا يملكون فهماً واضحاً لمفهومالثورة الإسلامية لاسيما كيفية ونوعية الحكومة أو** **المجتمع الذي ينوون إقامته في ظل الحكم الإسلامي.** **إن القيادة الثورية تتجلى في ثلاثة أشكال: المنظّر الأيديولوجي، القائد المتحدي،وأخيراً المهندس ورئيس الحكومة الثورية.** **في هذه الفترة، تبّنى الإمام مسؤولية المنظّر للثورة وأنجز تكليفه هذا بأفضل وأكفأما يكون الانجاز.**

#### ****الطور الثالث:****

**المرحلة الثالثة من زعامة الإمام الخميني بدأت مع أول شرارات الثورة في قم في شهردي من عام 1356 (يناير 1977) حيث** **أشعلت النار التي تحت الرماد. انه لم تمر فترة طويلة قبل أن تحاصر هذه النار النظامالحاكم في إيران وتُنهي حقبة زمنية دامت** **2500 عام متواصلة من حكمٍ ملكي إمبراطوري غاشم.** **في هذه الفترة، مدركاً الظرف المناسب والحركة الواعية للأمة، لم يتردّد الإمام، فيحركته وراح حاملاً راية الثورة. متسلحاً** **بوعي وإدراك صحيحين لرغبات الجماهير، مع توظيفٍ كاملٍ لإمكانات أبناء الأمةوتصميمهم الذي تجلّى في مظاهراتهم** **الضخمة المعارضة للحكومة وقواتها، مقدّمين أرواحهم على الأكف، أعلن الإمام قراراًغير شعاري (أي واضح وصريح)** **لمواصلة الكفاح حتى إسقاط نظام الشاه. وبدخول الإمام باريس، كانت هناك فرصة كبيرةللاتصال الواسع والقريب مع أتباعه،** **فأصبحت نوفل لوشاتو، مقر إقامة الإمام خارج العاصمة الفرنسية، النقطة المركزية بلنقطة الانطلاق بالنسبة للإيرانيين** **الراغبين بزيارة قائد الثورة. وفي الحقيقة، أن هذه الضاحية الباريسية، وبفترةقصيرة، تحولّت إلى عاصمة ثانية لإيران، وأكثر** **دقّة، عاصمة إيران الفعلية. وهناك، انتقلت الثورة الإسلامية من الأقوال والكلماتإلى الفعل والممارسة حتى اجتثّت حكم الشاه في** **نهاية المطاف.**

#### ****الطور الرابع:****

**اُعتبرت هذه المرحلة الأصعب والأكثر حساسية على امتداد مسلسل حركة الإمام، إذ كانعلى القائد في هذه المرحلة أن يقود سفينة الثورة المضطربة إلى شاطئ الأمان على صعيدين، باعتباره قائداً اجتماعياًأولاً، ومرشداً روحياً وموجهاً للجماهير ثانياً.** **وهنا يكمن الوضع الحساس، حيث يضعف النظام الدكتاتوري والسلطة السياسية، وحيث ملايينالناس ممن يعيشون مقيدين من قبل نظام يعتمد على الأجانب في إرساء حكمه، يروحون يكسرون أغلالهم. كان احتمالالفوضى وارداً ليكتسح المجتمع ويسحب السيطرة من أيدي القائد. وبهذا كان على القائد أن يستوعب غضب الجماهير ويمنعالاضطرابات، وفي نفس الوقت ينظّم الحكومة الإسلامية التي كان عازماً على تصميمها ولكن على قمة الدمار أو الخراب الذيتركته الحكومة الساقطة.**

**وهنا تبقى المقولة التي وضعها ماركس حول ما إذا كان «الناس والأبطال يصنعهمالتاريخ»أو مقولة توماس كارليل الأخرى القائلة «الناس والأبطال يصنعون التاريخ» قائمتان وهما جدليتان ربما لا يسع المجاللبحثهما هنا، ومع ذلك، وعند دراسة مسار تشكّل الثورة الإسلامية وخاصة قيادة الإمام الخميني، يمكن القول بأنه هو نفسه (أيالإمام) كان من صنع التاريخ الإسلامي، وفي نفس الوقت هو الذي صنع تاريخ الثورة الإسلامية.**

**أحد المؤرخين قارن الإمام الخميني بشمعة مشتعلة ولكنْ بقوة وطاقة ألف قنبلة نووية،وأوضح أحد المراسلين الصحفيين العرب ذلك بجملة مفادها، إن ((الإمام) الخميني أربك وأدهش الشرق ،وهزّ الغرب، وجعل العربحيارى مجبرين على الدفاع عن أنفسهم، إذْ لا فرار. أنه الفت أنظار وانتباه كلّ شعوب العالم. وفي كل أرجاء الكرةالأرضية). الأيديولوجية:**

**وكما ذُكر في فصل الأيديولوجية، أن أهم المهمات الملقاة على عاتق القائد هي معتأسيس أو تقديم أيديولوجية الثورة. ومثل هذه الأيديولوجية يُفترض أن تحتوي على رفض الوضع القائم غير المرغوب فيه مع الإبقاء علىقيمه وثوابته، وكذلك رسْم معالم المستقبل الأفضل الذي ينبغي أن يحظى برضا ومقبولية مساحة عريضة من أبناء المجتمع.**

**في إيران ومنذ فترة طويلة، ومن البدايات المبكرة للقرن الحاضر، كانت هناك ثلاثأيديولوجيات شرقية وغربية، لفتت أنظار الوجودات الاجتماعية المختلفة. وهذه النظريات هي القومية ،والماركسية ـ اللينية،والإسلام، وكان مبشرو كل واحدة من هذه الأيديولوجيات يحاولون جمع الأتباع ورسم صورة مثالية للمجتمع النموذجي الذي ينوونإقامته أو الإعداد له. فالقومية، في عقول مصمّميها الغربيين تعني: «مجموعة من الناس ينتمون إلى نفس العنصرأو العرق ،ونفس الخلفية التاريخية ،ويتحدثون بلغة مشتركة وذوي ثقافة وتعاليم واحدة، وكانوا تجمعّوا داخل حدود جغرافيةواحدة كوحدة اجتماعية غير قابلة للتفكيك، ويعتقدون بكل ما تحويه هذه الوحدة من مصالح واعتبارات، ودودون ورحماء معبعضهم وعكسه مع الغرباء والأعداء».** **أما الحركة الماركسية، ورغم كل الجهود التي بُذلت لترويجها إلاّ إنها كانت أقلّ نجاحاً في إيران من النظرية القومية، وذلك لسببين هما:**

**1 ـ إنّ البناء الإلحادي والطبيعة المادية للماركسية ـ اللينينية اصطدمت مع طبيعةالمجتمع الإيراني ومعتقداته الدينية العميقة الجذور، ولذلك فإنّ هكذا نظرية لا تجد استجابة جماهيرية واسعة في هكذا مجتمع.**

**2 ـ إنّ الانشداد الزائد عن الحد للماركسيين نحو موسكو، انتهى أن يُتهموا «ونتيجةللتجارب المرة للعلاقة الإيرانية ـ الروسية» على إنهم مجموعة من دمى تحركها روسيا.**

**ومع ذلك، فإنّ الإسلام كمدرسة لأفكار سماوية، كانت له جذور تاريخية في عقول طبقاتمختلفة من أبناء الشعب الإيراني. إذ أنّ تركيبة المجتمع تتشكل من 98 بالمائة من المسلمين التقليديين ومعظمهم مخصلين لأوامرونواهي كتابهم السماوي المقدس. هذا المجتمع مُعّد إعداداً جيداً لتقبّل الفكر السماوي كأيديولوجية باتجاه التغييرالاجتماعي ـ السياسي، بضمنها الثورة.**

**من ضمن الجدليات الرئيسية ضد هذه الأيديولوجية وكونها تُستخدم كأيديولوجية للثورةهي:**

**1 ـ كانت الدعاية الامبريالية الغربية لعدة سنين تزرع الفكرة القائلة بأن «الدينيجب أن يُفصل عن السياسة ،وأنه لا علاقة له مع المواضيع الإجتماعية ـ السياسية. الدين ليس لديه الأهلية لحلّ المشاكل الاجتماعية ـالسياسية المعقدة المعاصرة. هذا المنهج الدعائي المتواصل كان أثّر على طبقات عديدة في المجتمع، وحتى على بعض العلماءومراجع الدين».**

**2 ـ المجتمع النموذجي الذي يُراد من الإسلام إقامته يعود إلى 14 قرن مضت، وكانالبعض يعتقد أنه من المستحيل إقامته من جديد بنفس أحكامه وأوامره في العصر الحديث. الشكوك ما زالت قائمة في ما إذا كانالإسلام يستطيع الإجابة عن التساؤلات أو المشاكل العويصة التي أفرزها الواقع المعاصر أم لا.**

**3 ـ اعتماداً على بعض المبادئ الإسلامية كالتقية وانتظار الإمام الثاني عشر فيالمذهب الشيعي، والطاعة للعلماء والوعاظ المعيّنين من قبل الحكومة في المذهب السنّيـ لم تترك أي مجال وحتى في عقول بعضالمسلمين الحقيقيين للفكرة القائلة بأن الإسلام يمكن استخدامه كنظرية ثورية لتغيير القيم السائدة.** **بلحاظ هذه المعوّقات أو الملاحظات، ورغم الجهود الحثيثة التي بذلها السيد جمالالدين الأسدآبادي، وآية اللّه‏ النائيني، وآية اللّه‏ نورى، ومدّرس، وآية اللّه‏ كاشاني والأوفياء للإسلام الذين قادهم نواب صفوي،وتأثيرهم الفاعل في تحقيق بعض الأهداف القومية ، إلاّ إن هؤلاء جميعاً لم ينجحوا في تقديم الإسلام كنظرية للثورة في عقولالجماهير، وخاصة الشباب الثوريين.**

**حتى نهاية 1962 ولكون قائد الثورة يمتلك معرفة دقيقة بالإشكاليات المذكورة فإنه بدأتدريجياً وبانتظام يهدم هذه العوائق، وقد نجح في تغيير قناعات بعض الناس الذين يقولون بعدم أهلية الإسلام أو عدم كفاءتهلإدارة الحكم. انه راح يزرع الإسلام في عقولهم كأفضل فكرة ملائمة للثورة، وذلك بعرضه بطريقة جديدة وأسلوب جديد.**

**وقبل أي شيء آخر، قام الإمام الخميني بتحريم التقيّة وجعلَ قول الحق واجباً شرعياًوتكليفاً ملزماً. بإتّباع ذلك، وباستثناء الفرصة التي توفّرت له في منفاه في النجف، قدّم الإمامفكرته عن الحكومة الإسلامية، ورقابة أو ولاية الفقيه الأعلى. وبهذا الفعل فانه مهّد الطريق أمام التغيير الجذري وأمام الرؤى التيتعتقد بأن الإسلام أيديولوجية ديناميكية حركية يمكن أن تؤدي وظيفتها في العالم المعاصر.**

**الحاكم في المجتمع الإسلامي يجب أن يحمل صفتين أو خصيصتين مهمّتين الأولى: استيعاب كامل للأوامر الإلهية، والثانية: أن يكون عادلاً وغير منحاز في تنفيذ أو إجراء هذه الأوامر.وبكلمة أخرى أن الفقيهالنزيه أو المتجرّد عن الهوى، هو في الحقيقة خليفة لنبي اللّه‏ والأئمة المعصومين في إدارة المجتمع الإسلامي وتنفيذ الأحكامالإلهية.**

**ومن هنا فان طاعته كولّي وحارس للأوامر الإلهية تساوي طاعة النبي المرسل نفسه.**

**بعرض هذا المبدأ، عرّف قائد الثورة ـ بل أسس ثلاث نقاط مهمة جعلها بمثابة محطّاتستراتيجية لثورته:**

**1 ـ قلبْ وإسقاط القوانين الإمبراطورية.**

**2 ـ العمل على إنشاء أو إقامة حكومة إسلامية.**

**3 ـ ضمان سلامة خط هذه الحكومة بتنفيذ مبدأ ولاية الفقيه. وبعد ذلك واصل الإماممسيرته واضعاً خطة وإستراتيجية النضال، لإضعاف، وأخيراً، دحر النظام الحاكم وكما يلي:**

**إن علينا:**

**1 ـ قطع جميع العلاقات مع المؤسسات الحكومية.**

**2 ـ لا تعاون معها على الإطلاق.**

**3 ـ تجنّب أي عمل يمكن أن يُفهم دعماً أو تأييداً لها.**

**4 ـ إيجاد وحدات قانونية ومالية واقتصادية وثقافية وسياسية بديلة.**

**عوامل مساعدة للثورة الإسلامية من رؤى مختلفة:**

**إحدى النقاط المهمة التي لفتت أنتباه المحللين والمتابعين لأحداث الثورة بمن فيهمالموالين والمعارضين هي: ما هو العامل (أو العوامل) التي سرّعت في إحداث التغييرات الاجتماعية ـ السياسية، وما هو مسلسلالأحداث الذي انتهى بانتصار الثورة؟ كيف أصبح البلد الذي كان حتى نهاية يناير 1977 يُسمّى من قِبَل الرئيس الأمريكي جيميكارتر «بلد الاستقرار» ويوصف فيه الشاه بأنه «القائد الأقوى والأكفأ في الشرق الأوسط»، كيف أصبح هذا البلد الأكثر شغباً واضطراباً في غضون سنة واحدة، وكيف تم اكتساحه بانتصار الثورة الإسلامية؟ انطلاقاً من نظريات عديدة ومتباينة تم طرحها لحد الآن، ومن خلال الوثائق والتحليلات والمعلومات المتوفرة توجد هناك أربع عوامل يمكن تشخيصها كعوامل مساعدة أدّت إلى وقوع حدث الثورة:**

**1 ـ تنفيذ سياسة كارتر حول حقوق الإنسان.**

**2 ـ مرض الشاه.**

**3 ـ محاولة الشاه لإجراء التحديث السريع للبلاد.**

**4 ـ وأخيراً، طباعة المقالة المهينة لقائد الثورة في صحيفة اطّلاعات، التي أثارتمشاعر الشعب الدينية واستفزت غضبه.**

**1 ـ تؤكد وجهة النظر الأولى، أنّ كارتر وبتقديمه لائحته لحقوق الإنسان ودعوتهلتسليط الضغوط على الأمريكيين المنضمّين إلى جوقة الحكام المستبدين في العالم الثالث، بمن فيهم شاه إيران، قام بكبح وردع القوىالدكتاتورية التي يجري استنفارها عادة لقمع المعارضة. إنّ سياسة التحرير في هذه المجتمعات التي لم تكن مستعدة لنزال الحريةالمتحدي، سببت تمزيق رتابة الحياة في إيران فضلاً عن تمزيق المنظمة السياسية الحاكمة فيها.**

**إن الفكرة القائلة بتأثير هيمنة الليبرالية الأمريكية على الشاه كان لها مؤيدونكثيرون ليس في الولايات المتحدة وحسب، وإنما داخل إيران كذلك. في الولايات المتحدة كان الجمهوريون من كافة الشرائح وبعضالليبراليين قد قبلوا بالضرورة وجهة النظر القائلة بأنّ جهود كارتر في تنفيذ لائحة حقوق الإنسان والنأي بعيداً عن السياسةالمتّبعة في إيران سابقاً، كانت الدافع الحقيقي** **لسقوط الشاه.**

**فقد اتّهمت جين كيرك باترك ممثلة أمريكا السابقة الدائمة في الأمم المتحدة في حقبةإدارة ريغن، اتهمت كارتر بهذه التهمة، إذْقالت: «إنّ إدارة كارتر أوقفت السياسات السابقة وبدأت حقبة جديدة ترتكز على جهودحثيثة لتوفير حقوق الإنسان. وكانت حصيلة عدم الاستمرارية في سياسة أمريكا الخارجية قد منحت الفرصة لاستبدال الأنظمةالصديقة بأخرى غير صديقة أو غير ودّية. ففيما كانت إدارة كارتر تساهم بنشاط بإسقاط الحكومات الاوتروقراطية وغيرالشيوعية، إلاّ أنها لم تكن مبالية لتمدّد واتّساع الشيوعية. وكان من أول ضحايا سياسة كارتر حول حقوق الإنسان، هو الشاه في إيرانوسوموزا في نكاراغوا».** **وهنا ينبري سؤالان: الأول يخصّ الوثائق المطبوعة: هل كانت هناك ضغوطاً حقيقة علىالشاه لانتهاج سياسة تحررية ليبرالية؟» والثاني: «أي الجماعات استفادت من هذه السياسة أو انضمّت إليها»؟.**

**في ما يخص المسألة الأولى، يمكن البرهنة انه لا يوجد أي دليل على الإكراه، بل هناكدليل قوي على العكس. مثلاً، أنّ سياسة الشاه في الانفتاح ليست لها أية علاقة مع برنامج كارتر لحقوق الإنسان، بل أنّ إدارةكارتر استثنت إيران من تطبيق هذه اللائحة، أي جعلتها استثناءً وهنا نسمع السفير البريطاني في إيران أنثوني بارسونيقول مثلاً:**

**«البعض قال بأن الدعوة للحرية جاءت بسبب الضغط المباشر المفروض على الشاه من قبلإدارة كارتر.. وأنا لم أتفق مع هذه الرؤية في تلك الفترة وما زلتُ كذلك لحدّ الآن، في الحقيقة، إن الإشعاعات الأولى منالحرية لوحظت في أواخر عام 1976 ،أي قبل حوالي شهرين أو ثلاثة من تسنّم كارتر لرئاسته، أنا لا أشك بأن الشاه، وباستثمارفرصته المناسبة إنما استنتج بأن ممارسةً أكثر إنسانية وأكثر ديمقراطية من جانبه ربما تجعله أكثر محبوبيةً أو مقبوليةً منقبل الرئيس الأمريكي الجديد».**

**وليم سوليفان يكتب في مذكراته مُشيراً انه عندما التقى الرئيس الأمريكي كارتر لأولمرّة كسفير جديد لأمريكا في إيران، اندهش بأن الشيء الوحيد الذي لم يتحدّث عنه كارتر هو موضوع حقوق الإنسان في هذا البلد،وكتب مضيفاً: «قبل السفر إلى إيران، وفي مقابلة مع كارتر، أكّد أهمية إيران الإستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائهاالغربيين ،ثم أشار إلى الشاه بأنه صديق قريب وحليف ثقة لأمريكا، ودعمه بحرارة، مؤكداً كذلك على أهمية إيران كعامل استقرار لحفظالأمن في منطقة الخليج الفارسي القلقة.**

**وفي النهاية، تحدث حول أسعار النفط ومسائل أخرى تتعلق بالمصالح المشتركة بين إيرانوالولايات المتحدة، وطلب منّي طرح أي سؤال يخطر ببالي حول إيران والمنطقة».** **ويلاحظ سوليفان، انه على الرغم من الحقيقة القائلة بأن كارتر كان دخل البيت الأبيضراكباً شعار حقوق الإنسان، وضمن حملة انتخابية انتَقدت مراراً وتكراراً الرؤساء الجمهوريين لدعمهم الشاه وبيع الأسلحةلنظامه، ولكنه (أي كارتر) الآن لا يذكر أي شيء حول هذا الموضوع، بل أنه سأل عن رؤيته حول حقوق الإنسان فأجاب بلا مبالاة: «بالطبع، هناك بعض المشاكل حول ما يتعلق بحقوق الإنسان في إيران، وبعدها طلب مني بأن أقُنع الشاه بتعديل سياستهالعامة في هذا الصدد أثناء لقاءاتي معه».**

**النقطة الأخرى الأكثر أهمية هي أن كارتر كان أوعد بأن يؤسس علاقته السياسيةوالاقتصادية، ويبنيسياساته الأمنية والعسكرية مع الأقطار الأخرى على ضوء ملاحظاتهم حول حقوق الإنسان، ومع ذلك، فإننا نرى بأن هذاالمبدأ الأساس في سياسته الإدارية قد تمّ تجاهله، وان النظام في إيران كان هو المستفيد الأول من هذا التجاهل.**

**في ما يتعلق بالصفقات الاقتصادية وخدمات التسليح والبيع الناتج عن التسوية يلاحظبأن واردات إيران من المعدات العسكرية كانت الأكبر من أية فترة أخرى. ففي ظل إدارة كارتر، وصل حجم الصادرات الأمريكية إلىإيران ما قيمته 6ر3 مليار دولار أمريكي، بالإضافة إلى ذلك، وقّع كارتر اتفاقية مليارية مضاعفة أخرى مع الشاه لبناءخمس محطات نووية في إيران.**

**إنّ كارتر، وبتوقيعه هذه الاتفاقية قال: «لقد وقّعنا عقداً نووياً مع إيران سوفيدرّ علينا مليارات الدولارات لتشغيل المصانع الأمريكية واستخدام أو توظيف الكثير من الطاقات الأمريكية العاطلة عن العمل، إلاّإن ذلك لا يتناقض مع سياستنا المبدأية في الحدّ من الأسلحة النووية».الأمر الوحيد الذي لم يوضحه كارتر بل لم يتطرق إليه هومسألة حقوق الإنسان في إيران.**

**وحول موضوع بيع الأسلحة لإيران، فقد تجاوز كارتر الرئيسين نيكسون وفورد في إشباعأهداف الشاه وتحقيق رغباته. فقد بلغت إرساليات الأسلحة إلى إيران ذروتها (4ر2 مليار دولار أمريكي) في أول سنة علىاستلام كارتر لمنصبه. بالإضافة إلى ذلك، ومن يناير 1977 إلى ديسمبر 1978، وصلت قيمة هذه الإرساليات إلى إيران أكثر مماوصلت إليه في عهدي الرئيسين الأمريكييْن المذكورين. إن السجالات بين إدارة الرئيس والكونغرس حول صفقات الأسلحةلإيران تعتبر كاشفة للموضوع تماماً، إذ أنها تصوّر السياسة الحقيقية لإدارة الرئيس الأمريكي كارتر تجاه نظام الشاه. هذهالسجالات تكشف بأن الإدارة الأمريكية الجديدة لم تغيّر من تعاملها السابق مع إيران حتى في الحدود الدنيا من التعامل.**

**ان بيع طائرات استطلاعية كاذبة من نوع (أواكس) إلى إيران من قبل الإدارة الجديدةكانت مناسبة جديدة لاختبار أو استطلاع سياسة كارتر حول حقوق الإنسان، وعندما سُئلكلّ من (الفرد اثرتون) من قسم إدارةالدولة، و(أرك فون ماربود) من قسم وزارة الدفاع من قبل سناتور سابق في العلاقات الخارجية، حول ما إذا كانت الإدارةالأمريكية قد وضعت أية عوائق أو حدود على مبيعات الأسلحة وحقوق الإنسان في إيران! فإنهما لم يدعا أي مجال للشك في أن ما يخصالمبيعات لإيران، وحسب إدارة كارتر سياسة لم تتبدل ،وليس هناك أية نيّة في تبديل هذه السياسة، وان إيران في هذاالسياق، تُعتبر استثناءً.**

**كريستوفر جونديس، باحث قبرصيّ المولد، قضى بعض الوقت في إيران أثناء الثورة، وبعدتحقيق دقيق للوثائق الموجودة في الولايات المتحدة وكذلك الوثائق المطبوعة التي اكتشفت في السفارة الأمريكية بطهران،استَنتج بأن «حقوق إنسان كارتر لم تشكّل له حصان طروادة في محاكمة الشاه، ولم تكن عنصراً ضرورياً في وقوع الثورة. كانلابد للثورة أن تقع عاجلاً أم آجلاً، بحقوق إنسان كارتر أو بدونها. إنها في الحقيقة تناقضات المجتمع الإيراني الداخليةالتي ازدادت بزيادة ألاعيب الدور الأمريكي في إيران والذي استمر على امتداد الـ 25 سنة الأخيرة. أنها أضعفت نظاماً متشدداًظاهره مستقّر ولكنها في النهاية دمرّته تحت أعاصير أكثر الثورات أصولية وجماهيرية في العصر الحديث».**

**وبالطبع، ومما لا ينبغي تجاهله إنه ومنذ ديسمبر 1976، تم استفزاز عدد منالليبراليين والمتغربين الإيرانيين بدعاوى كارتر حول حقوق الإنسان، كما تم التأثير على بعض المجتمعات والتجمعات. نعم، كتُبت أعدادقليلة من الرسائل المفتوحة وبعض المقالات الجريئة. كان كتّابها جميعهم يأملون بأن الجبهة الليبرالية يمكن أن ترقىالسلطة باستخدام السياسة المفتوحة والدعم** **الأمريكي. إنهم تصوّروا بأن حفظ العلاقة القائمة مع أمريكا ،وفي ضوء ذلك الدعم يمكنأن يُشرّع مسيرة الإصلاحات.**

**كان من بين أكثر هذه الجماعات معروفيةً هو تجمع مؤيدي الحرية وحقوق الإنسان. وقدضمّ هذه التجمع مهديبازرگان، وحسن نزيه وعبد الكريم لهيجيو علي أصغر حاج سيد جوادي ومقدّم مراقي كهيئة عامة منتخبةومشرفين. وفي أجواء المناخ المفتوح الذي تم الإعداد له، وجد الجماعة فرصة لكتابة المقالات وإلقاء الخطب والمحاضرات. وسائل الإعلام داخل القطر وخارجه كانت** **تشير إليهم على أنهم مؤثّرون وجماعة معارضة جدّية.الحاج سيد جوادي افتُرض إنه أكثرالأعضاء ليبرالية. جماعة أخرى تحت غطاء (رابطة الكتّاب)كانت نظّمت (أمسية شعرية) في الهواء الطلق في النادي الألمانيـ الإيراني ،تحت علم دولة أجنبية بدعوة من مؤسسة گوثا.**

**وكما يروي جونديس: «إن حقوق إنسان كارتر كانت مهمة بشكل خاص لقسم من معارضي الشاهمثل الليبراليين. ان عرض واستخدام عنوان حقوق الإنسان من قبل المعارضة الليبرالية هيّأت لهم بعض الفرص فيالبلد حيث أدخلتهم في الواجهة الثورية وساعدت فقط في إضافة شيء إلى عدم الشرعية على النظام. على أية حال، إنّ الدور الذيلعبه الليبراليون في الثورة كان دوراً هامشياً وبسيطاً وثانوياً، فيما كان الدور الرئيسي فعلاً يقع على عاتق البازاروالطبقات الفقيرة.المعارضون الليبراليون لم يشاركوا كثيراً في الحالة الجماهيرية، ولم يكونوا بين تلك الجماعات التي استلهمت باعثها أودافعها وقاعدتها من رجال الدين. فبالنسبة لعلماء الدين وهذه الجماعات من الشعب، كانت حقوق الإنسان لكارتر وسياسة الشاهالتحررية هامشيتان وليستا من الأهمية بمقدار** **أو بمكان بحيث يمكن إقرار معارضتهما أو تدوين شكاواهما».**

**بازركان، في لقاء له مع حامد الغار يوضح إستراتيجيته الليبرالية في الاستفادة منسياسة حقوق الإنسان لكارتر فيقول:**

**«عندما كان شريف إمامي رئيساً للوزراء، فإنّ نوعاً من الحرية الحقيقية كانت مُنحتوفقاً للقوة المنتزعة من سياسة كارتر حول حقوق الإنسان. إذْ وفرّت هذه السياسة الفرصة لمجموعتين من الناس أن يجتمعوا سويةويناقشوا ويجادلوا.. في ذلك الوقت كان موضوع الانتخابات ومسألة ان نشارك أو لا نشارك فيها هي المحور الأهم. إن فكرةالحركة الليبرالية وآخرين كانت تقول أنّ الانتخابات فرصة إلهية، وكان آخرون يقولون: ما هي الفرصة الأفضل من الآن مادامتالحكومة وصلت إلى وضع باتت هي نفسها تريد أن تعطي الحرية للانتخابات!! والآن، وفيما إذا كانت الانتخابات ستصل حتىالنهاية. أم لا، كان هناك عدد من المعارضين سواء كانوا دينيين أو وطنيين من حركة الحرية الليبرالية أو أي حزب آخر 10أو 20 عضو ربما سيشقون طريقهم إلى البرلمان، أو أنّ الانتخابات سوف لا تجرى بشكل صحيح، وعندئذ فإنهم لن يدخلواالبرلمان. إن ذلك لن يكون مشكلة، وان عذر الحكومة سوف ينفضحوا حينها سوف نقول:**

**«يا سيد كارتر... يا ست أمريكا: إن مزاعمكم عن حقوق الإنسان كانت كذبة»[175].**

**2 ـ النظرية الثانية المتعلقة بموضوع تسارع الأحداث وقدرة الثورة على الانسلال من سيطرة النظام تتعلق بمسألة مرض الشاه بالسرطان.**

**ففي رحلة تزلّج على الجليد للشاه عام 1974 تم تشخيص تورّم في معدته وسرطان في العقداللمفاوية من قبل متخصصيْن** **فرنسييْن. وقد وضعاه تحت نظام للمعالجة بالمواد الكيمياوية من تلك الفترة فصاعداً. بلحاظ شخصيته الضعيفة لم يحاول الشاه** **السماح لأي أحد الأطّلاع على وضعه الصحي. حتى أشرف أخته التوأم التي كانت تهيمن علىشخصيته وقراراته، يبدو أنها لم** **تكن مطّلعة على القضية[176]. الطريف أنّ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA معكلّ ما تملكه من سيطرة على الشاه** **والمسائل المتعلقة بصحته ونفسيته، لم تكن تعرف شيئاً حول الموضوع.** **إن آثار هذا المرض على نفسية الشاه كانت نوقشت بطريقتين:**

**أ ـ إنّ الشاه، مُدركاً انه لن يعيش طويلاً، قرّر أن يهيّئ الأجواء السياسية، فيحياته وبعد موته ويجعلها مناسبة لولده كي يستلم** **السلطة بعده. وعلى حد تعبير كلماته نفسه، أشار الشاه إلى هذه المسألة بقوله: «لقدأردتُ نقل التاج إلى ولدي في ظل ظروف** **ملائمة ومقبولة بلحاظ التنمية الاقتصادية والثقافية أثناء حياتي. إنني لا أريدإنجاز هذا الهدف باستخدام القوة أو إراقة** **الدماء»[177].**

**ب ـ التأثير الآخر لهذا المرض على نفسية الشاه جاء بفعل العقاقير، إذْ أصبحت تلكالأدوية تؤثّر على إرادة وقرارات الشاه التي** **تحتل محوراً رئيسياً في قضيته مؤكدّة معتقداته السابقة في القضاء والقدر.[178]**

**كرين برنتون، أستاذ التاريخ الأخير في جامعة هارفارد كان قد درس الثورات التاريخيةالعظيمة في أوربا الغربية والحركات الثورية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ووصل إلى نتيجة مفادها: «إن انتصار أيةثورة يأتي نتيجة لضعف وانسحاب القوة الحاكمة أكثر منه بسبب قوة أو إرادة القوى الثورية المعارضة».** **هذه النظرية مثل سابقتها، لا أساس لها من القوة، لأن الشاه بالأساس صاحب شخصيةضعيفة، وان التأييد الذي حظا به من القوى الأجنبية هو الذي منحه إحساساً مفتعلاً من القوة جعله يتباهى مزهواً بمعنوياته. انهكان يستأنس بدعم القوى العظمى إلى آخر لحظة في أيام حكمه. وفي الأثناء، انه لم يتردد عن تنفيذ أية إجراءات قاسية ووحشيةبما فيها إراقة الدماء في تنفيذ مطاليب تلك** **القوى وإطاعة أوامرها. فأثناء عام 1357 (1978 ـ 1979) ،ما كانت تمرّ سوى أيام أوأسابيع قليلة إلاّ وترى العشرات من أبناء الشعب الإيراني الأبرياء يتشحطون بدمائهم. إن كارثة سينما ريكس في عبادانومذبحة الجمعة الأسوأ في 27 سبتمبر** **1978  (التي ذكّرت بحادثة 6 حزيران 1963) هي بعض من الجرائم التي ارتكبها الشاهوأجهزته البوليسية والعسكرية.**

**3 ـ هناك نظرية أخرى رُتبّت من قبل مؤيدي الشاه والتي تم افتعالها في الحقيقةلحمايته وعبر الاعتراف بأخطائه وليس بجناياته وظلمه، وهي أن الشاه ما دام خادماً حقيقياً لبلده، وأنّه أرادأن يعوّضه عن التخلّفبأقصر فترة ممكنة واضعاً إيران على «أبواب الحضارة العظمى»، فانه لابد أن يرتكب خطأ. والخطأ أنه كان مسرعاً جداًفي تحديثالبلد الذي لم يكن مهيّأً فعلاً لمثل هذه القفزة العظيمة! لقد كان نقاشهم، انه ما دام المجتمع الإيراني التقليدي لم يستطع هضم كلتلك الإجراءات والمشاربع التحديثية في مثل هذه الفترة القصيرة فانه واجه مشاكل معقدة، وتراكم التذمّر على التذّمر حتى وصل إلىحافة الإنفجار وكان نتيجة ذلك سقوط النظام. يقول الشاه نفسه:** **«إنني أردت أن اختصر عدة قرون من التخلّف في بلدي في غضون 25 سنة من برنامج حثيث. كلّ المشاكل نشأت منهذا** **الاندفاع في تنفيذ هذه الخطة. وفي الحقيقة، كان يجب ان نقدم خطوات تمهيدية لتنفيذهذا العمل العام المستعجل.[179]** **من بين هؤلاء الذي اعتقدوا بهذه النظرية، يمكن أن نْذكر مرة أخرى انثوني بارسونز. إذ يزعم أنه في حواره مع الشاه، كان قد** **أكّد مراراً على تلك النقطة، وهي أن التعبير الحاد والسريع لمشاعر الأمة كان نتيجةطبيعية لضغوط 15 سنة كانت قد تحملّتها** **بسبب إصرارا الشاه على تحديث البلد. ففي رأي بارسون هذا، يبدو أن سبب الانتفاضة هوأن التحديث داس على حقوق** **واستحقاقات الطبقات التقليدية في المجتمع، وانه كان قد هيّج أو أوغر مشاعرالإيرانيين وألفتْ أنظارهم إلى التوزيع غير العادل** **للثروة، الأمر الذي وضع الطبقات الفقيرة في المجتمع في حالة استياء كبيرة. وهنا كانيُفترض ان يُحسب لموج الجماهير** **الشعبية وسخطها حسابها، وكيف أنها انتقلت إلى حالة معارضة وغضب وثورة.[180]** **قليلون جداً يشكون بهشاشة هذة النظرية وخواء قناعة الشاه ببرنامجه التحديثي.** **ومن نظره سريعة إلى حقائق وعواقب سياسة الشاه في السنوات العشرة الأخيرة من حكمهيمكن ان يُقدّم الدليل القوي على عدم** **صحة هذه النظرية.** **ورغم بلوغ إيرادات النفط أربعة أضعاف ووصولها إلى 20 مليار دولار أمريكي سنوياً،فإنّ هذه الزيادة في الدخل، وبدل أن** **تدخل في خزينة الدولة، كانت مُنحت هبات نقدية، وأنظمة مالية محتكرة من قبل أقطارغربية في أشكال قابلة لإعادة الجدولة،** **وعملياً قروضاً مصرفية طويلة الأمد، مثلا قروض ضخمة لشركات غربية أو أقطار غربيةحليفة ،وشراء أسهم في شركات** **أوربية وأمريكية غامضة ومصانع مرتبكة، والأكثر أهمية، بل جنوناً، بالطبع هو الفائدةالكبيرة للبائعين جرّاء شراء الأسلحة** **والمفاعلات النووية.** **هذه المنافع الضخمة الموهوبة للأجانب والجيران، كلها كانت تجري في بلد تعيش معظمقراه الحاجة إلى المستشفيات والأطباء** **والمدارس والمعلمين وشبكات الاتصال، والقوة الكهربائية والطرق. أما ما تبقى منإيرادات النفط فقد استُخدمت، وبدون تخطيط** **وطني سليم، في نظام اقتصادي تميّز بالإسراف والبذخ. فكمية كبيرة من الأموال كانتتُمنح على هيئة ضمانات مصرفية قابلة** **للتجديد، وقروض طويلة الأمد لشركات ترجع عائديتها إلى مؤسسة بهلوي وأفراد العائلةالمحيطة أو الناس المنتسبين لهم** **المحسوبين عليهم ،فيما كانت الاعتمادات المالية تستخدم لبناء تجمعات صناعية تعتمدبالكامل على الأقطار الأجنبية.** **4 ـ النظرية الرابعة التي لها مؤيدون كثيرون بين الناس الثوريين والجبهة الدينية،وكان لها الكثير من المحللين المنصفين من** **غير المتحزّبين، هي أن عنصر الثورة المسرِّع لا ينبغي البحث عنه في سياسة حقوقالإنسان لكارتر، ولا فيمرض الشاه أو ما** **يسمى التحديث، وإنما في المشاعر الدينية للناس التي جُرحت.وكما ذكرنا، فإنّ سياسةكارتر هذه لم تنفّذ أصلاً في إيران، بل على** **العكس كلّما زادت وحشية الشاه واغتيالاته لأبناء الشعب، كان يُسعف بدعم واضح من قبلإدارة الرئيس الأمريكي المذكور.** **ففي فاجعة 18 شهريور (28 سبتمبر 1978) حيث قُتل ألاف الناس بدم بارد، كانت هناكرسالة أرسلت من كامب ديفيد تحتوي** **على وعدٍ لكارتر في دعمٍ غير مشروط لنظام الشاه. الأكثر إثارة، هناك بعض الناس فيإدارة كارتر مثل زبيبغينيو برجنسكي** **كانوا منزعجين لأن الشاه لم يُظهر قوة كافية، أي لم يستخدم العنف المطلوب.** **الوثائق تشير أيضاً وبوضوح بأن كارتر لم يضغط إطلاقاً على إيران لمتابعة مسألة حقوقالإنسان فيها. بل كان يناقش لمصلحة** **قانون الزواج واضعاً المزيد من الضغوط على الناس.** **وهناك دليل أفضل لتأكيد هذه الدعوى، وهو ما جاء في مذكرات سوليفان الذي كان قد كتبفي هذا الصدد طالباً من واشنطن** **توضيحات حول واجبه تجاه إعلان قانون الزواج في طهران ،فيقول انه استلم ،وخلال 48ساعة فقط جواباً سريعاً وواضحاً** **ووافياً مؤكّداً أنّ الولايات المتحدة تؤيد عمل الشاه في تثبيت السلطة وحفظ الوضعمستقراً في إيران. ووفقاً لـ سوليفان، فإنّ رسالة** **من واشنطن لم تدع لديه أدنى شك بأن الولايات المتحدة سوف تدعم كل الأولوياتالموجّهة نحو إنهاء أي وضع يفترض شروطاً** **على إيران، وذلك لخنق المعارضة وتصفيتها.[181]** **وإذا كان هناك عدد من الناس ممن كانوا يضعون الأمل في سياسة حقوق الإنسان باستخدامالفضاء الذي أوجدته هذه الخطوة** **المنفتحة، فأنهم لا يقرون أولئك الذين لا دور لهم في الحركة الجماهيرية والذين لميستحسنوا أي عمل ثوري لاجتثاث جذور** **النظام القديم. كما أنّ أفعالهم لم يكن لها أي تأثير في تسريع منهج الثوريين، بينماكانوا في اصراراهم على الوسائل الإصلاحية** **والمحافظة يحاولون تعويق أو تأخير تقدم الثورة. إنّ هذه المنهجية كانت ألغيت طبعاًمن قبل قائد الثورة والتفاتاته النابهة.** **فيما يخص مرض الشاه وما تتركه الأدوية والعلاجات على قدرته لإدارة البلد، وكما ذكرتواً، فإنّ الشاه كان شخصاً ضعيفاً،** **مغموراً بعقلية والده، وانه لم يكن قادراً على تكوين شخصية خاصة قوية. وفي الحقيقة،انه لم يكن يدير البلد بقدرته، وإنما بدعم** **القوى العظمى الأجنبية وعلى رأسها الولايات المتحدة التي منحته الشجاعة لتنفيذسياساتها المملاة عليه.** **لقد تحدثنا توّاً عن هشاشة وعدم أرضية النظرية الثالثة والوثائق الضرورية المقدمةفي هذا الصدد، ولذلك يمكن القول وبلحاظ** **كل هذه السجالات وعلى أرضية الوثائق التاريخية ،أن أياً من هذه الرؤى لا تنهض لأنتُقبل كعامل أولّي مهم مسرِّع للثورة** **الإسلامية.** **أما النظرية الرابعة فتقول أنه بعد استشهاد نجل الإمام الحاج آقاي مصطفى والمناسبةالتي أقيمت في هذا الخصوص وكذلك نشر** **المقالة المهينة في صحيفة إطلاعات في 17 دي 1356 (8 يناير 1978) جاءت الشراراتالأولى للثورة. إذْ كانت مشاعر** **الناس الدينية قد جُرحت بشدة فزمجر بركان الغضب لدى الجماهير. بالعودة إلى التقاليدوإحياء المناسبات الدينية مثل إقامة يوم** **الأربعين لذكرى الاستشهاد، فإنّ الغضب التهب مرّة أخرى وتحوّل إلى سلسلة منالمواجهات المستمرة التي انتهت باجتثاث** **النظام الإمبراطوري، وبشّرت بانتصار الثورة الإسلامية.** **فمنذ نشر المقالة المهينة التي قيل أنها جاءت بأمر مباشر من قبل هويدا (رئيسالوزراء السابق، ورئيس المحكمة الخاصة في** **تلك الفترة) ما زال السؤال الذي يثار دائماً حول ما إذا كان هذا الفعل هو الآخر منضمن أخطاء السلطة العديدة، أو أنه كان** **مخططاً له من قبل، وأولوياً، ليبدأ الوجه الأول في خنق الأمة بعدها بدأ لفّ المنطقةبمسلسل كامل من القمع لاسيما بعد أن شعر** **النظام انه محاصر بخطر الأجواء السياسية المفتوحة.** **أراد الشاه، إذن، أن يبيّن للولايات المتحدة والعالم الغربي بأن المعارضة لا تعدوأكثر من ظاهرة دينية. وان كل أعدائه في البلد لا** **يتجاوزون مجموعة من رجال الدين المتحجرين المتعصبين المنغلقي العقول. وبذلك فإنّمنْحهم الحرية يمكن أن يخلّف الفوضى** **وغياب القانون ،وبالتالي يعرّض استقرار وأمن المنطقة للخطر وكذلك مصادر النفطوالاستثمارات العالمية. أما حرق سينما** **ركس في عبادان فقد صُوّر بأنه سيؤدي إلى تلك النهاية، ومع ذلك، فإنّ الشاه كانيعتقد أنّ لديه الوسائل الكفيلة بإنهاء** **الإضطرابات، ولم يكن مدركاً إنه وضع نفسه في لعبة خطرة كان إتّساع رقعتها وامتدادأبعادها يعني انقلاب عرشه ونهاية النظام** **الإمبراطوري.** **المظاهرات في قم في 19 دي 1356 (10 يناير 1978) تحولّت إلى مشهد دم واستشهد العديدمن الناس. في مناسبة إحياء** **أربعينية الشهداء في بهمن (20 فبراير) انتفض سكان تبريز وفجّروا غلياناً وهيجاناًكبيرين أخرج المدينة من سيطرة النظام.** **أظهر الناس غضبهم على الحكومة بإشعال النيران في دور السينما، ومخازن المشروباتالكحولية ومقرات حزب راستاخيز.** **وأخيراً تحرك الجيش ونّفذ مذبحة وحمام دم. ولم ينتهي النهار إلاّ وعشرات الناسكانوا قُتلوا. في مأتم الأربعين لشهداء تبريز،** **غضب الناس وثاروا في زاوية أخرى من إيران كذلك، وهكذا ثار أهالي مدينة يزد. حادثةتبريز تكررت في يزد في 9 و 10** **فروردين 1357 (29 و 30 مارس 1978). هذه السلسلة من الأحداث تواصلت في عموم القطروبشدة كبيرة على امتداد سنة** **1357 (1978) وكانت هناك مشاهد دم حتى في أيام الأعياد، مثل عيد الفطر، والجمعةالسوداء، ومظاهرات تاسوعاء** **وعاشوراء الإمام الحسين، كلها أدّت في نهاية المطاف أو ساعدت في تفجير الثورةالإسلامية.** **الشاهد فى كل هذه الحركات الجماهير الشعبية، يؤكّد بان عامل الحسم الأهم في الثورةاتسّم بالطابع الديني وعُزي السبب المباشر** **إلى مقالة مهينة تناولت شخص الإمام، وكما يلي:** **1 ـ من 10 يناير 1978 وحتى انتصار الثورة، كان طابع المظاهرات كله طابعاً دينياً،وكانت تقام في مناسبات وأعراف دينية،** **كالمآتم وعاشوراء واحتفالات الأربعين التأبينية والمناسبات الدينية، ولم تكن لهاأية صفة أو ميزة أخرى مشخّصة.** **2 ـ إنّ بدايات التظاهرات ونهاياتها تنطلق وتنتهي في المساجد، وان النظام أظهرعداءه للدين بمهاجمة المسجد الكبير في كرمان،** **ومسجد حبيب في شيراز ومسجد لورزادة في طهران، وكل ذلك في محاولات يائسة لمنع هذهالتجمّعات.** **3 ـ إنّ الدعوة للتجمعات ومسيرات الشوارع وقيادة التظاهرات كانت تُنفّذ من قبل رجالالدين، ولم يكن هناك أي دور لأي قائد** **غير ديني في إدارة أو قيادة التظاهرات. وحتى في محاولتها لاختيار قوتها، أعلنتالجبهة الوطنية إضراباً ومسيرة في أربعينية** **شهداء يوم الجمعة السوداء، وكانت مسيرة ناجحة فعلاً.** **4 ـ هذه الأولويات والشواهد ليست لها أية علاقة مع الجو السياسي المنفتح لسياسةكارتر لحقوق الإنسان، وإنما كانت على** **العكس، فإنّ التظاهرات كانت قُمعت بوحشية وبلا رحمة.بل أن مؤيدي الأمريكان في مسألةحقوق الإنسان هذه كانوا أيّدوا الشاه** **في هذه الإجراءات القمعية.** **5 ـ إنّ شعارات الناس ومطالبهم كانت دينية وسياسية، وقد تركّزت على محورين: الأول: رحيل الشاه وإسقاط النظام البهلوي،** **والثاني إقامة دولة إسلامية.** **6 ـ لم يكن هناك أي خيار أمام أية جماعة غير دينية سوى الاشتراك مع الجماهيرالمسلمة، وبذلك فإنّ الجميع أُجبروا على** **التخلّي عن شعاراتهم الخاصة كي لا يكونوا في مواجهة مكشوفة مع الرفض الجماهيري.** **ومن هنا يمكن القول إنّ انتصار الثورة الإسلامية في إيران كان معتمداً على قيادةرجال الدين التي ابتدأت عام 1342 (1963)** **مضافاً إلى ذلك إنها قيادة حازمة لأعظم مرجعية دينية في تاريخ التشيع، وهي قيادةالإمام الخميني، وكانت حظيت بدعم غير** **مشروط من قبل المسلمين الإيرانيين وقادت الثورة إلى الانتصار.** **إذن كان الدور الأعظم لانتصار الثورة في إيران، هو الدين ومدرسة الشهادة، وان أيةمحاولة لنسبة الانتصار لأدوار أخرى** **كسياسة حقوق الإنسان لكارتر، إنما هو تشويه للواقع ولا ينسجم مع الحقائق التاريخيةالموثقة.**

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

# ****الدين هو العنصر الأكثر أهمية في****

# ****انتصار الثورة الإسلامية****

### ****بقلم****

#

## ****عباس علي عميد زنجاني****

## ****مقدمه:****

**إن انتصار الثورة الإسلامية في إيران شكّل ظاهرة مهمة ومدهشة للعالم في القرنالعشرين، بالنسبة لسياسة المنطقة والعالم، لعبت الثورة دوراً بارزاً وكبيراً وأوجدتتحولات غير متوقعة أو غير محسوبة. هذا الحدث السياسي أبرزَ الإسلام مرة ثانية كقوةفاعلة في العالم وجسّد وحدة العالم الإسلامي وأقرّ عيون جميع المسلمين، وأثار موجةمن الخوف والقلق في قلوب الإمبرياليين والمستكبرين.** **إنّ دراسة سريعة في طبيعة الثورة الإسلامية ،وانعكاساتها العالمية والانجازات التيقدمتها للشعوب المسلمة، وخاصة للأمة المسلمة في إيران أومض لنا نوراً وأثارَاستنتاجاً بأن الثورة الإسلامية كانت أعظم حدث بالنسبة لإيران والعالم في هذاالقرن.** **إنها كانت أيضاً واحدة من أهم الظواهر في تاريخ الإسلام ومعجزة إلهية تجلّت فيهاالقدرة اللانهائية للّه‏ تعالى ضد القوى العلمانية والظروف المهيمنة على شؤونالعالم والتي توهّم البعض أنه لا تغيير ولا تبديل لوضعها السياسي والإجتماعي آنذاك.**

### ****ميلاد الحركة وانتصار الثورة الإسلامية:****

**في أكثر الأيام ظلمة إبّان حكم رضا خان الخانق، قدّم الإمام الخميني بحثه حولالدولة الإسلامية في كتابه الشهير (كشف** **الأسرار)، وقد سمّى مهمة تأسيس أو إقامة الدولة الإسلامية تكليفاً إلهياً يعتمد علىأوامر القرآن والحكم الأوّلي للإسلام. إن قائد الثورة الإسلامية حمل هذه الفكرة علىامتداد فترة الزعامة الدينية لآية اللّه‏ الراحل الشيخ عبد الكريم الحائري ،والراحلآية اللّه‏ بروجردي متطلّعاً إلى الأمام بانتظار فرصة لتقديمها من موقعيته كقائدديني لكي تكون أكثر مقبولية من قبل الناس وبذلك تحقق التحوّلات المطلوبة فيالمجتمع.** **حكومة رئيس الوزراء علي أميني استخدمت الدعم الأمريكي لتنفيذ جزء من برنامجالولايات المتحدة بخصوص الإصلاحات** **الاجتماعية وتحديداً برنامج إصلاح الأرض. مع هذا الفعل الخادع ومسلسل من اللعبالسياسية، نجح هذا الرجل في النأي بإيران بعيداً عن الانفجار المحتمل ولعقدينكاملين جاعلاً من نفسه وليّاً لأمر الشعب وحاميه والشخص الذي يمتلك احتراماً وحباًكبيرين لرجال الدين والمؤسسة الدينية.** **في 13 رجب 1381 (1962) أفلح في الدخول على الإمام الخميني، وسمع ما كان الإماميقوله حول دكتاتورية عائلة بهلوي والهيمنة الأمريكية على شؤون البلد، وهنا فقدالأمل في خداع علماء الدين.مع استلام أسد اللّه‏ علم للسلطة في 27 تير 1341 (18يوليو 1962) تحرك الشاه إلى قمة الهرم السلطوي. واستمراراً لـ (ثورته البيضاء) الأمريكية، أعدّ برنامجه في إصلاح الأرض لائحة المجالس للمحافظات والمناطق مبيّناًقبل كل شيء قمع الشعب.الإمام الخميني، الذي كان منذ فترة طويلة، يبحث عن فرصةمناسبة لتهشيم حكومة الشاه غير الشرعية والقضاء على هيمنة** **الزّهو الأمريكي، وجد فرصة موائمة، مبتدئاً حركته الرائدة العميقة الجذور فيالمجتمع الإيراني.** **الانتصار الأول في هذه الحركة كان بإلغائه مشروع مجالس البلديات والمحافظات. الانجاز الثاني هو الانسحاب الحكومي أمام تهديد الحركة بخصوص مسيرة النساءالسافرات، والانتصار الثالث للحركة أخذ شكله بوعد النظام بأن علماء الدين سوف لايجري التعرّض لهم أو إهانتهم في الصحف أو وسائل الإعلام الأخرى.** **في 2 فروردين 1342 (23 مارس 1963) حوّل الشاه المدرسة الفيضية للإلهيات والدراساتالدينية إلى مشهد من مشاهد الوحشية وإراقة الدم وذلك أثناء مناسبة وفاة الإمام جعفرالصادق عليه‏السلام. وبعبارة واحدة صدرت من قائد الحركة في مناسبة إحياء ذكرىالإمام الحسين في محرم 1373 (1963) تحولت المناسبة إلى مظاهرة وثار المتظاهرون ضدالمتوّج (يزيد العصر). ومع اعتقال الإمام وانتفاضة 15 خرداد، والإضرابات العامة علىامتداد البلاد، دخلت حركة الإمام مرحلة جديدة.إن مشروع الامتيازات الأجنبية كانمنعطفاً ونقطة تحوّل في تاريخ الحركة. ففي هذا الوقت وفي إجراء متسرّع وغير حكيم،اقتحم النظام الشاهنشاهي بيت الإمام في قم عام 1963 وبعدها تمّ نفيه إلى تركيا. ابتدأ الإمام محاضراته ونقاشاته حول نظرية الدولة الإسلامية ابتداءً من 1 بهمن 1348 (1970)، وبهذا فإنّ أرضية مرجعيته الدينية، الواسعة المقبولية، كانت أُعّدت في تلكالفترة.بعد مغادرة القوات البريطانية منطقة الخليج الفارسي، وتأسيس دولة الإماراتالعربية عام 1971 ،اختارت الولايات المتحدة الأمريكية إيران شرطياً للمنطقة وهنابدأ الشاه يقوّي قاعدة قوته بتوسيع علاقاته الودية مع الاتحاد السوفيتي والصين.إنالنهوض المفاجئ للحركة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني مكّن من تجميع قوى مهمةوزجّها في ميدان النضال السياسي. جماعات سياسية مسلحة مثل المنظمات الفدائية (فدائيان خلق إيران)عام 1971 ومجاهدين خلق بدأت فعالياتها. في ظلّ الجو السياسيالمفتوح عام 1977 كانت الخطوة الأولى للشاه هي تقديم إيران قرباناً على أقدامالرئيس الأمريكي الجديد جيمي كارتر. مع أول نسمة للحرية، أستلهمت حركة الإمامالخميني الإسلامية حياة جديدة ووسّعت المعركة بشكل أكثر حيوية واندفاعاً. أما سياسةتحديد الحرية السياسية التي أعقبت ذلك فقد أضافت مشاكل جديدة للنظام.إن الموتالمشكوك فيه لنجل الإمام الأكبر الحاج آقاي مصطفى أثار موجة من الحزن والسخط بينالناس. المذبحة الكارثية الكبرى التي وقعت في قم أثناء تظاهرة جماهيرية أقيمت ضدالنظام لطبعه مقالة مهينة في صحيفة اطلاعات أشّرت بداية المناسبات التأبينية في مدنأخرى عديدة على امتداد إيران. وزارات المصالحة الوطنية فشلت وأصبح نظام الشاهمشتبكاً في دوامة قاتلة من الأحداث مثل مذبحة الجمعة السوداء الدامية. في أربعينيةاستشهاد الإمام الحسين عليه‏السلام، كانت انتفاضة الجماهير وصلت ذروتها مع هربالشاه. ومع عودة قائد الثورة إلى البلد صار واضحاً أنّ الانتصار أصبح أكيداً.**

### ****عوامل مؤثرة في انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية:****

**يُعتبر انتصار الثورة الإسلامية ظاهرة مهمة في تاريخ إيران المعاصر، شأنها شأن أيةظاهرة تاريخية في العالم تأتي كنتيجة لسلسلة من العوامل والأسباب ولكلّ منها آثارهوتجلياته ونتائجه.بالإضافة إلى جذور الثورة الاجتماعية والتاريخية، فإنّ الذي ستجريمناقشته هنا هو العوامل والأسباب التي أدّت إلى انتصار الثورة الإسلامية فضلاً عنالعناصر الواردة من خارج طبيعتها والتي شكّلت في النهاية سلسلة من الحقائق الواضحةساهمت في حدوثها.** **ولكي نفهم أهمية هذه العوامل، من الضروري أولاً الأخذ بنظر الاعتبار سلطة الشاهالمستبدة ومدار اعتماده على القوى الأجنبية وخاصة الولايات المتحدة، مضافاً إلىالحرمان، وكذلك القوة السياسية التي زعمها من خلال هذه العلاقة. وهنا يطرح سؤالنفسه كيف يتحطم نظام وهو بهذه القوة والهيمنة والتسلّط؟ وكيف تحدث مثل هذه التحولاتالاجتماعية ـ السياسية، وبشكل دراماتيكي، وبقوى متسارعة غير منظورة؟ وكيف تتهاوىأيدي الشاه القوية وتعجز عن السيطرة على الأوضاع وهو يرى نفسه أنه فوق الطبيعةويحمل رسالة مقدسة[182]، وأخيراً كيف تنتهي هذه الدراما بانتصار الثورة الإسلامية! فقبل سنة واحدة فقط من هذا الانتصار وحينما كان ضيفاً في حفل أُعدّ له في طهران،قال كارتر قولته الشهيرة: «إن إيران هي جزيرة استقرار في أكثر مناطق العالم عنفاًأو هيجاناً».**

### ****حول هذه الملاحظة، نودّ تثبيت النقاط الثلاثة التالية:****

**1 ـ من الواضح عند مراجعة جميع النظريات والمفاهيم المختلفة حول أسباب انتصارالثورة، يمكن القول أن أغلب التحليلات ،وخاصة تلك التي قدمها محللون سياسيونغربيون، تعتمد على رؤية محدودة ولفترة محددة من الزمن، وجاءت مختزلة، وفاشلة لأنهالم تأخذ بنظر الاعتبار، الأرضية الأيديولوجية المعقدة والأصول التاريخية المتواصلةالتي قادت إلى تفجير حدث الثورة.**

**2 ـ كل محلّل ووفقاً لرؤيته المحدّدة الخاصة، وتفكيره وخلفيته كان يؤكّد على عاملأو عدّة عوامل ويقدّمها كعوامل أولية أو رئيسية فيما كان يضعّف العناصر الأخرى معتبراً إياها ثانوية أو أقل أهمية. الأساسلكل هذه التحليلات يحتاج إلى توضيح لا يمكن العثور عليه فيها.إن مقياس العامل فيكونه أوليّاً أو ثانوياً يتحدد في مداره الزمني وقربه أو بعده من الظاهرة أو تأثيرهالمباشر أو غير المباشر عليها. نحن نستطيع تحديد شدّة تأثيره كقاعدة للحكم، وكذلكأهميته وطبيعته. أما وجهات النظر الأخرى التي لها دور عادةً في تحديد السبب وكونهأولياً أو ثانوياً فتنفع في تحديد الاختيار فقط.**

**3 ـ على العموم، أن تصنيف وجهات النظر المتباينة والمشتملة على تحليلات وقراءاتمختلفة لانتصار الثورة، تُعتبر مهمة صعبة وشاقة. وتتأتى هذه الصعوبة من تداخل العلاقات بين العوامل السياسيةوالاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية، لأنه وأثناء مناقشة أية ظاهرة سياسية،فإنّ كل عنصر اقتصادي أو ديني سيتحول بطبيعة الاستنتاج إلى عامل سياسي. كما أنّ كلالعناصر السياسية للظاهرة، ورغم أشكالها وملامحها المغايرة ستحسب بالنتيجة معالعوامل المحسوبة، وبسبب هذه المشكلة فإننا سنتجنّب تقديم تصنيف محدّد، أو طريقةخاصة لتقييم ودراسة النظريات المختلفة الواردة حول الثورة الإسلامية فيإيران.المبدأ الذي راح خلاله المحللون السياسيون الغربيون يقرأون الثورة أنهمالتفتوا إلى المظاهر السلبية فقط عند مناقشتهم سقوط الشاه، بينما أعطوا اهتماماًأقلّ للعوامل الإيجابية. وحين نرى أن معظم النظريات حول الثورة الإسلامية، تُظهرسقوط الشاه كمحور رئيسي، فإنّ السبب يعود في الحقيقة إلى تفكير المنظّر الدوغماتي المغلق.**

## ****سياسة التحديث:****

**إنّ حفظ هيبة واعتبار النظام الملكي يحتاج إلى قدر كبير من الدعاية، لأن النظرةالشعبية بخصوص هذا النوع من الأنظمة هو تخلّفها وارتباطها بظروف العصور الوسطى.** **ولهذا فان الأقطار المحكومة من قبل الأنظمة الملكية حيث يتمتع الملك بسلطات سياسيةوشرعية واسعة ،يصير عليه أن يغيّر أفكار الناس ويخلق في أذهانهم صورة حديثة عنالحاكم.** **ففي داخل إيران حاول نظام الشاه تغطية نقطة الضعف الرئيسية هذه بإيجاد نوع منالضجيج عن 2500 سنة من النظام** **الإمبراطوري، مستخدماً القومية في ربط إيران الإسلامية مع إيران الساسانية،والإمبراطوريات الـ Achaemenid وبجهود حثيثة في سوء استخدام الباحثين المحليينوالأجانب في طباعة ونشر الكتب التي تحاول إحياء الثقافة الملوكية..** **ان «بوابة الحضارة العظمى» كانت آخر التقليعات السياسية المستحسنة غربياً التياستخدمها الشاه لتقديم حكمه للأجانب وجعله يظهر بمظهر النظام الحديث. على أية حالأنّ سياسة إيران التحديثية تركزّت على شيئين: الأوّل: هو سياسة دعائية باهضة الكلفةوواسعة كان الشاه قد طيّرها باستخدام وسائل الإعلام المحلية والعالمية، والثانيبإعلان ونشر وترويج الثقافة الغربية واستيراد تقنيتهم المتطورة وبضاعتهم المترفةالباذخة، دون أي منهج مدروس وحقيقي للاستفادة من خطواتهم التقدمية الحساسة.الحقيقةأن تسرّع الشاه في تنفيذ هذه السياسة، له علاقة مع استمرارية وإدامة حكمه، كتّابمثل ميشيل ليدن ووليملويس في كتابهم الموسوم بـ (سقوطكارتر والشاه) The Carter and the Shahsfall، ووليم فوبس في كتابه (اعترافات الشاه) Confessions of Shah مضافاًإلى ذلك الكتاب المعروف بـ (سقوط عرش الطاووس)، وكذلك مقالات انثوني بارسونز،السفير البريطاني في إيران في كتاب (غروروسقوط)، والعديد من أنصار الشاه والموالينله الذين كانوا متعاطفين معه، جميعهم لاحظوا بأن هذه السرعة غير المعهودة كانتالسبب الرئيس في سقوطه.** **فبالنسبة لهم، إن النهضة المفاجئة لمشاعر جماهيرية حساسة، كانت النتيجة الطبيعيةلخمس عشرة سنة من الضغوط المفروضة على الناس من أجل ما يسمى تحديث البلد، ولأن هذهالسياسة مسّت الثقافة والمؤسسات الإيرانية التقليدية، فإنها انتهت إلى وضع خطيربحيث ظهرت الطبقات الدنيا في المجتمع الإيراني وكأنها ملصقة بظروف مرعبة، وأخيراًفإنّ هذه الموجات من المشاعر الحبيسة فتحت الطريق أمام موجات مدمّرة لمعارضةالنظام، فسبّبت إسقاطه.** **ووفقاً إلى بيانات الشاه ـ فإنّ برنامجه السريع كان بحاجة إلى فترة طارئة أواستثنائية، وانه فينفس تلك الفترة وجد نفسه في خضمّ الأزمات وفي دوائر صيدها.[183]** **ولعدم الالتفات يكون هذا التحليل ناشئ من سياسة دعائية، فإنه يشير إلى التناقض فيطبيعة النظام وعلاقته السياسية مع** **الجماهير. فالشاه، من جانب، يمجّد المبادئ التقليدية الإيرانية، ولكنه من جانب آخر،يزعم أنها لا قيمة لها وأنها غير ذات فائدة في برنامجه التحديثي للبلد.** **أنهم يثيرون تساؤلات رئيسية مفادها لماذا لم يكن النظام قادراً على إعداد الأمةللوقوف على طريق التحديث أو التطوّر قبل** **المغامرة باقتحامها، وأكثر من ذلك، انه لم يوضّح بشرف وصراحة كيفوا لماذا وقعالنظام في أخطاء عديدة.** **إلاّ إن النقطة المهمة في هذا التحليل غير الواقعي هي إن الشاه وأتباعه المحللينالرسميين، الذين طرحوا هذه النظرية في الدفاع عنه، تجاهلوا حقيقة قانون السببوالنتيجة، وكيف أن ظاهرة كبيرة بحجم سقوط نظام يشترك في دعمه الشرق والغرب، وانتصارثورة متجذّرة لها أرضية أيديولوجية وتاريخية، يمكن أن تتأتى من هذا العنصر السطحيأو الظاهري.** **عند مراجعة هذا التحليل، بالإضافة إلى هذه المعميات، فانا سنأتي إلى عدّة أسئلة لميستطع أولئك المحللون الإجابة عنها. من هذه الأسئلة والتساؤلات يمكن الإشارة إلىبعضها أو قليل منها:**

**1 ـ إنّ أنصار هذا التحليل ومن أجل التغطية على ضعف السلطة وخوائها، فإنّ جميعالمشاكل صارت تُنسب إلى ضعف الأمة زاعمين بأن المجتمع الإيراني التقليدي لم يستطعهضم جميع هذه المشاريع التحديثية، ولم يستطع التعاطي معها. فقدان الكفاءة هذا أوجدمشاكل خاصة أخرى أكثر تعقيداً، وبذلك وجد المجتمع نفسه مضطراً للنهوض والثورة. كيف يمكن إثبات هذا القول بعد أن أثبتت الأمة في إيران خلاف ذلك وبخطوات هائلةوتحولات جذرية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والبناء الاجتماعي. كيف يمكن القول أنهاغير قادرة على هضم المشاريع المعاصرة واستيعاب برامج التحديث؟! أين هي نقاط الضعففي هذه الأمة التي كان الشاه معجباً بها كأمة تحمل راية 2500 سنة من الحضارةالإمبراطورية، ولكنها حالت دون تبنّي خطوات أخرى لحياة أفضل؟ لماذا وصلت إلى هذاالمستوى من فقدان الكفاءة العقلية بحيث أصبحت أكثر تخلفّاً حتى من الأردن ومراكشاللتين كان مليكيهما يمشيان في أعقاب الشاه وعلى خطاه منفذّين نفس الخطوات والبرامجفي تحديث بلديهما؟**

**2 ـ لماذا كانت تُستخدم كل واردات النفط والتي وصلت إلى 20 ملياردولار أمريكي** **سنوياً كودائع في البنوك لتمنح عملياً فوائد دائمة وقروض كبيرة للغرب والأقطارالحليفة له؟ ولماذا كانت هذه الواردات تُستخدملشراء أسهم الشركات الأوربية والأمريكية الفاشلة وكذلك المعامل مضافاً إلى مشترياتغير مدروسة للأسلحة والماكنة العسكريةوالمعدات غير الضرورية؟!.لقد عرف العالم جيداً بأن كل هذا (الكرم) انما جاد به النظام الذي كان شعبه وفيمناطق واسعة يعاني من وطأة الحرمان وعلىكل المستويات، نعم، من انخفاض التعليم الابتدائي، والعناية الصحية وحتى شبكاتالاتصال. كل ذلك الكرم، كان على حساب** **الناس في بلد يستطيع المرء أن يعثر في عاصمته الكبيرة على أحياء فقيرة مرعبةالقذارة.** **ومن هنا، فلا يوجد تعريف محدد لأي برنامج اقتصادي ماعدا نظام الصرف غير المسؤولوالتواطؤ ،والصفقات المعقودة منتحت الطاولة.** **3 ـ ما هو نوع التحديث الذي تم تنفيذه في الوقت الذي سيق فيه النظامان الزراعيوالصناعي الضعيفان إلى الدمار، فضلاً عنذهاب مليارات الدولارات من أموال النفط لشراء الحبوب من أمريكا، والرز من تايلند،والبطاطا من الهند، والبصل من باكستان،والبرتقال من أفريقيا الجنوبية والدجاج من نيوزلاند والبيض من اسرائيل والجبن منالدانمارك والأغنام من تركيا واللحم المجمدمن استراليا، والموز والمنتوجات الاستهلاكية والمواد الصناعية الرديئة النوعيةوالأسلحة القديمة من الأقطار الغربية؟ نعم كاننتيجة هذا التحديث التضخّم وتصاعد سنوي له بلغ 25% وكان يبتلع كل الزيادة في الأجوروالأرباح، فيما كان أكثر من 85% من الموظفين والمستخدمين مدينين للبنوك أو لكبار الرأسماليين.** **ورغم كل هذه الملابسات والتساؤلات، فإنّ كاتب كتاب (نهوض وسقوط الشاه) Rise and Fall of the Shah يصرّ على الاستدلال منطقياً بأن الشاه نفسه أدرك أن تسرّعه واندفاعه لتحديث المجتمعالإيرانيسوف يعرّض موقعه إلى الخطر. ونتيجةلذلك فانه قلّل هيمنته المطلقة وتبنّى سياسة مركزية تنسجم مع متطلباتالملوكيةمشفوعة بسلسلة من الإصلاحات تتواءم معمطالب الناس. إلاّ إن هذه الإجراءات جاءت متأخرة جداً.إن التفكير غيرالمنطقي لعدد من المحللّين مثل فريد هاليداي في مقالته الموسومة بـ «الثورة الإيرانية: تنمية غير سويّة وشعبيةدينية» يذهب بعيداً إلى ما وراء سلسلة الشاه الذهبية المفقودة في تحديثإيران،وعميقاً في نظرية الشاه حيث أصبح ضحيةالتحديث الإيراني. إنه يقارن أفكار الثورة الإسلامية مع رغبات الشاه، ويزعمبنوع منالوقاحة تجعل نزاهته أمام تساؤل، وهويقول: «على الرغم من كون الوجه الثاني للثورة الإيرانية دينياً، ولكنه يرفضفكرةالتطوّر والتقدم».**

## ****ظهور القوة الجديدة:****

**البعض يعتقد بأن زيادة أسعار النفط عام 1971، وجنباً إلى جنب مع الإستقرار السياسيفي المنطقة ،وقوة الشاه العسكرية ،كلذلك حوّل إيران إلى قوة جديدة في المنطقة وجعلها وجوداً مهماً في السياسة الدولية.** **پاول أردمان في روايته السياسية (سقوط 79) حاول أن يصوّر قوة الشاه في إيران كوحشمرعب يحلم بإشعال حرب عالميةثالثة يخرج منها منتصراً.** **أوريانا فلاسي في كتابها (لقاء مع صانعي تاريخ العالم) Interview with the Worlds History Makers ومع تردّد** **قليل، تقول بأن الشاه كان رجلاً طموحاً وخطيراً لأن الملامح القديمة والجديدةاختلطت فيه، وهذه ليست فقط ضد مصالح شعبه،ولكنها ضد أوربا أيضاً. ألم يكن صحيحاً أن محمد رضا شاه امتلك أكبر آبار النفط فيالعالم؟ ألم يكن جيشه يفتقد القنبلة النوويةفقط؟ ألم يكن قادراً مثلاً، على احتلال العربية السعودية والكويت ونشر قواته علىعموم الخليج الفارسي؟ ألم يكن قادراً على أنيصبح كابوساً لأمريكا والإتحاد السوفياتي ويُحيّد كلتا القوتين العظميين؟ فريدهاليداي في كتابه (إيران، دكتاتورية وتحوّل) يكتب بأن النمو الاقتصادي لسنّي ما بعد 1963 وضع أسلحة جديدة بيد الشاه وحوّله إلىقوة مخيفة.** **وفقاً لهذا التحليل، نشأت مخاوف الغرب من القوة الجديدة في المنطقة وأصبحت السياسةالدولية عنصراً مهماً في سقوط الشاه،ومن ثم محمد رضا شاه الذي كان في الحقيقة الضحية الثانية بعد أبيه، إذ وفّر بنفسهالوسائل الكفيلة بإسقاط حكمه.** **سيغال في كتابه (ظهور وسقوط الشاه) يكتب قائلاً: «إنّ أهداف الشاه الرئيسية كانتبناء قوة إمبراطورية كمحور للسياسة** **العالمية، وإيجاد إيران قوية ونامية ومستقلة قادرة بالتالي على أن تصبح قوةرأسمالية معتبرة. ومن أجل الوصول إلى هذهالأهداف فانه انتهج طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية باتجاهالرأسمالية». يبدو أن قسماً من هذا المفهوم يعود إلى مزاعم الشاه ومناوراته السياسية فيلقاءاتهوالتي لا ترجع عادة إلى ركن ركين، وإنماناشئة من حالة ضعف، أو نقاط ضعف يحاول التغطية عليها عبر هذه التصريحات.تحتضغط حركة الإمام الخميني، وجد الشاه ملاذاً في الدين، وقال انه مختارٌ منقبلاللّه‏ لأداء رسالة إلهية، ومع ذلك، فإنّ قوته** **مشتقة من البندقية. في لقاء له مع فالاسي وضع الشاه قوته بين أسنان العالم حينماقال: «عندما يكون ثلاثة أرباع الأمة أميّين،فإنّ الطريق الوحيد لتنفيذ برامج الإصلاح هو امتلاك وتكوين قوة مطلقة وسلطة قويةجداً، وبغير ذلك فلا مجال...».** **«إننا أقوياء جداً في القوة العسكرية على الرغم من عدم امتلاكنا القنبلة الذرية،ومع ذلك، فإني أشعر بقوة أننا نستطيع المقاومةوالصمود لحرب عالمية ثالثة ربما تندلع» «وفي الحقيقة إننا نحن الذين يسيطرون علىمصادر الطاقة في العالم، ولكي يصلالنفط إلى باقي أرجاء العالم، فإنه لن يمر عبر البحر الأبيض المتوسط وإنما عليه أنيمر عبر الخليج الفارسي والمحيط الهندي».** **«أنا أقول: إن إيران هي مفتاح العالم، أو على الأقل، واحد من مفاتيحه».[184]** **روبرت گراهام في كتابه: «إيران: وهم القوة» يكتب بأن الشاه ارتكب خطأً فادحاًبالتعويل كثيراً على مصادر إيران المالية** **وتجاهُل قدرة البلد على توظيف هذه الواردات توظيفاً جيداً ويضيف:** **«لقد أغاظ الشاه السعوديين والأقطار المجاورة وأقلق أمنهم بتنمية وخزن أكبر مذخرللأسلحة المعقدة في العالم فضلاً عن تدخّلهبالشؤون الداخلية للأقطار المجاورة والمنطقة. كما أغاظ الاتحاد السوفياتي والكرملينلعقده معظم صفقات الأسلحة مع الولاياتالمتحدة وبهذا سبّب إلاخلال بالميزان التجاري الدولي الأمر الذي أثار استياء الدولالأوربية أيضاً. صورته المستبدة في** **التلفزيون كانت تثير مشاعر الشعب الأمريكي ضده، بل حتى المجتمع اليهودي أصبح يشعربقلق عميق من تنامي القوة العسكريةالإيرانية».** **لم يبق هناك أدنى شك في حقيقة إن الشاه مثل أبيه أصبح غارقاً في وهمالقوة.ومع ذلك، فإنّ هذا الوهم الفارغ لم يكن مثيراً لدرجة أن يسبب خوفاًللولاياتالمتحدة والأقطار الغربية.إنّ ظهور وسقوط رضا خان بيّن أن الدمى يمكن أنتُنحّى جانباً بنفس السهولة والسرعةالتي جيء بها أو رُقيت إلى مركز القوة. التاريخ يؤكد هذه الحقيقة مرّة أخرى بخصوص محمد رضا خان.فريدهاليداي يُصوّردعاوى الشاه بالعظمة وكأنه شكّل فكرة تقول: بأنه يستطيع أن يحكمالقطر بدون مؤيدين مخلصين أوموالين[185].مثل هذه التحليلات كأوهام الشاه في العظمة والقوة، تستطيعولدرجة ما، أن توضّح موقفالغربيين الحذر حول سقوط حلفائهم** **وتجيب على السؤال القائل: لماذا يستحق الحليف، رغم كونه حليفاً، مثل هذا السقوطالمخزي؟! إقتصاد إيران غير المنظّم:** **المحللون السياسيون الغربيون يوضحون الدور الذي لعبه الاقتصاد الإيراني المهرجل فيسقوط الشاه ضمن النقطتين التاليتين:**

**1 ـ إنّ ارتفاع الآمال الشعبية الناشئة عن فترة التقدم الاقتصادي والفجوة التيأوجدتها بعد ذلك ،أرعبت الناس وساعدت علىاتخاذ موقف ثوري.جيمس ديفيس في (نمو نظرية ثورية) يبيّن هذا المنهج بالتواء خاص، يسمى انحناء الـ J - curve ويقول: «قبل الوصول إلىقمة الانحناء يبدو إن التحوّل اللازم يعني احتمال الزيادة في القلق والإرباك وعدمالاستقرار». بالعودة إلى هذا الانحناء، يختتمديفيس أو يستنتج بأن الثورات غالباً ما تحدث عندما تراهن على رحلة طويلة من تقدماجتماعي ـ اقتصادي واضح، فهناك تأتيفترة قصيرة من الكساد والركود. في هذه الفترة يقلق الناس ويرتبكون ويُرعبون فيتجهوننحو الاحتجاج والصخب.لورنس مارتن يقدّم تحليلاً مشابهاً في مقالته (دور إستراتيجية إيران المستقبلية) ويزعم أنّ العامل المسبّب في سقوط الشاه هوالحقيقة القائلة بأن التقدم الإقتصادي يمكن على الأقل من وجه معين أن يسبب صخباًوضجيجاً أكثر من الاستقرار الاقتصادي. وكما ذكر سابقاً أن ساموئيل هنتنغتون يعتقد بأن التقدم الاقتصادي يقود أحياناً إلىفقدان الاستقرار.عند تفسير هذه النظرية يمكن القول بأن الارتفاع الكبير والمفاجئ في أسعار النفطأوجد مصدراً مالياً عظيماً وجديداً على طريقالتنمية الاقتصادية في إيران في العقد المحصور بين 1960 ـ 1970. وفي هذا الظرف زعمتإيران إنها حازت أعلى نسبةتنمية اقتصادية في العالم.** **في عام 1975، هبط إنتاج النفط إلى 20%، ونتيجة لذلك وفي عام 1976 كانت إيران مدينةبأكثر من 3 مليار دولار** **للمتعاقدين. خزينة سنة 1976، 1977 كشفت عن عجز قيمته 4ر2 مليار دولار مع نسبة مهمةمن قروض أجنبية.** **روبرت گراهام، عند ذكره هذه النقطة، يستدل بأن الشاه ارتكب خطأ بالتعويل كثيراً علىالمصادر المالية الإيرانية واعتقد بأنالنمو الاقتصادي المتراخي يعود إلى قوى خارج القطر، وضمن هذا الاستنتاج أشار إلىأنّ «الدخل الهابط ومبيعات النفط لايستطيعان الإجابة على التوقعات والآمال الجديدة»[186].** **النقطة المهمة جداً التي تم تجاهلها في هذا التحليل والتي لم يوفق جميع المحللينالذين تحدّثوا عن التنمية الاقتصادية الإيرانية فيضوء زيادة أسعار النفط إلى ذكرها، هي أين وكيف والى أية درجة حدث هذا التقدّمالاقتصادي المفترض أو المزعوم.** **إنّ الواجهة النظرية لهذه الفكرة تقول «أنّ نسبة الزيادة في هذا النمو الاقتصاديالسريع والمفاجئ والتي سوف تسبب عدم الاستقرار واضطراب بين طبقات المجتمع» يمكن أن تكون عبارة مقبولة.ومع ذلك، فإنّاستخدامها مع الثورة الإسلامية الإيرانيةيمكن أن يكون مقبولاً أيضاً شريطة أن يمتلك هذا النوع من القراءة السياسية، وقبل كلشيء، دليلاً كافياً على البرهنة بأن مثلهذا الحدث الكبير في تنمية اقتصادية سريعة يمكن أن يحصل في حقبة حكم ملكية قاسيةومتوحشة. أنّ استنتاجهم حول الزيادة فيدخل النفط هنا كان خطأ وإنه لا يرتكز على استدلال منطقي.**

**2 ـ العنصر الثاني المطروح من قبل أنصار النظرية الاقتصادية هو الحاجة إلى برنامجاقتصادي واضح وداعم للسياسة المدمرةالناشئة عن البذخ الإمبراطوري الذي ساهم في تبديد أموال البلد على مسائل فارغة أوتافهة، مثل إحياء مناسبات إمبراطوريةتعود إلى ما قبل 2500 سنة، فضلاً عن توزيع غير عادل وغير منصف للثروة الوطنية.** **باختصار أنّ الفساد والظلم، والتبذير وفقدان العدالة الاجتماعية مضافاً إلىالفقرأو الحرمان الذي عانت منه الأغلبية العظمىللمجتمع الإيراني هي الظواهر التي عمّت البلد في تلك الفترة.ورغم أنالمحللين الغربيين أعطوا اهتماماً أقل لهذا العامل، فإنّ هناك عدداً قليلاًمنهم أظهروا اهتماماً بهذا الموضوع وذكروه فيتحليلاتهم.[187]** **وطبقاً لهذه النظرية، وما تجره من سياسة بذخ وإسراف، فإنّ زيادة واردات النفط قدتحولت إلى حالة تضخّم مروّعة وعمّقتالهوّة بين المدينة والريف، وكان نتيجتها هجرة غير منضبطة للمدن وإهمال للزراعةوالحقول في القرى، مع بطالة ضاغطةوتفاوت في الدخول مثير للضغائن داخل المدن نفسها الأمر الذي أحدث فجوات طبقية فيالمجتمع المدني وما يتبع ذلك منتداعيات ونتائج غير حميدة.** **على ضوء دراسة واحدة، تبيَّنَ أنه حتى منتصف السبعينات كان هناك 2% فقط من سكانالمدن هم المستفيدون من 40% منالإنفاق الكلّي، فسكان المدينة الفقراء كانوا يعانون من أزمة السكن، وكان عليهم أنينفقوا أكثر من 70% من مداخيلهم علىالإبجارات، عدد السكان في بعض المدن تضاعف خلال عقد واحد، كما أنّ الانهياراتالأخلاقية في العوائل الكبيرة زادت منحدّة المشاكل وزيدت أعداد المؤسسات دون أية دراسة مسؤولة أو مخططة، وكانت فقطلتوفير فرص عمل مزيفة من أجلتقليص نسبة البطالة.هذا التحليل جدير بالاهتمام لأنه يوضّح بُعداً واحداً من أبعاد الخراب الاقتصاديلنظام الشاه والذي يمكن الاستدلال عليه بسهولة. بمجرّد نظرة فاحصة لنمط حياة الأغنياء مقارنة بإخوانهم الفقراء في تلك الفترة. ومعذلك، تبقى إشكالية هذا التحليل إنه يقدّمالإنحطاط والانهيار الاقتصادي كسببين رئيسيين من أسباب سقوط الشاه، وبالنتيجةعاملاً أساسياً من عوامل انتصار الثورةالإسلامية.** **سبب رئيسي من أسباب ضعف هذا النوع من التفكير، هو إن الظروف الاقتصادية كانت تحسّنتبعد انتصار الثورة قياساً بفقدانالمساواة وفقدان العدالة الاقتصادية والحظر التجاري والضغوط المفروضة من قبل القوىالأجنبية ووطأة الحرب المفروضة معالعراق وغير ذلك من المشاكل التي ترافق كل الثورات وما يتمخّض عنها من صعوباتجديدة. وهذا ما سبّب استياءً حتى فيأوساط مؤيّدي الثورة أنفسهم، ولكنه لم يمنع الناس من المشاركة في الشؤون السياسيةوتقديم الدعم غير المحدود لقادتها، ودليلذلك مساهمتهم الفاعلة في جبهات الحرب وتحملّهم عبئاً ثقيلاً في تسديد نفقاتهاالمكلّفة.** **هناك تحليل ثالث لا نرى ضرورة التركيز عليه أو مراجعته ويتعلّق بدور الاقتصاد فيحوادث 1978 ـ 1979 والمقدّم من قبلمحلّلين ماركسيين، ويعتمد عادةً على عرض نموذج عالمي جاهز تنطبق عليه كلّ التحولاتوالثورات في العالم.** **سياسة حقوق الإنسان المفروضة:** **قدّم الرئيس الأمريكي كارتر مشروع حقوق الإنسان كمفتاح رئيسي لحّل مشاكل أمريكاالمحليّة والدولية، ودعا إلى ممارسة شيءأكثر من وسائل الدعاية مُلزماً الحكام المستبدين المحسوبين على الولايات المتحدة،بمن فيهم النظام الإيراني، بالانفتاح علىالناس وتوفير أجواء سياسية مفتوحة لهم.كان الشاه نفسه يعتقد بتركيز السلطة والنمط الدكتاتوري في الحكم، وكان يكره النمطالغربي المنفتح على الليبرالية والديمقراطية. وانه لم يتردّد في ذكر قناعته هذه بوضوح وصراحة في لقاءاته مع الشخصيات ووكالاتالأنباء الأجنبية.** **ففي لقائه مع فالاسي، قال الشاه بجسارة: «أنا لا أريد هذا النوع من الديمقراطية، هلتفهمين؟أنا لا أعرف ماذا أعمل بهذا النوعمن الديمقراطية. خذوا كل هذه الديمقراطية لكم! سوف ترون في غضون سنوات قليلة، كيفستقودكم ديمقراطيتكم هذه، وأينستصلوا بها أو ستصل بكم!!»[188] لقد اعتبر الشاه سياسة حقوق الإنسان ومنح الحرياتللناس بأنها سياسة مفروضة، ورآهامتناقضة تماماً مع سياسته المستبدة.وفقاً لبعض هؤلاء المحللين الغربيين وحتى القليل من الإيرانيين، إن سياسة التحريرالأمريكية في إيران انتهت بتمزيق المسارالعادي لنظام الدكتاتورية الشاهنشاهية وتهديم البنائين الاجتماعي والسياسي للنظام. وعندما فقد النظام أدواته الضرورية للسيطرةعلى الأزمة، وراح يمارس الضغط السياسي من خلال القمع والتعذيب والاعتقالات والحرمانومصادرة الحقوق السياسيةوالاجتماعية، فإنّ المعارضة تشجعت لتصعيد نضالها ضده، وكانت النتيجة أنها أنهتحكمه.**

**الليبراليون الدينيون الإيرانيون رحّبوا بهذه النظرية واستحسنوها ورجعوا إليها فيتحليلاتهم فراحوا يكتبون مثلاً:** **«أنّ الخطوة الشجاعة والمبدعة التي اتُخذت في بداية عام 1356 (مارس 1977) في دعمالمعارضة السياسية والسجناء السياسيين هي تأسيس الجمعية الإيرانية في الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان. هذهالمنظمة مُنحت حصانة نسبية لم يسبق لهامثيل، وكذلك تسهيلات عملية بالاستفادة من سياسة حقوق الإنسان الأمريكية الجديدةالتي نُفذت لحساباتهم الخاصة وضمن تنافسهمأو صراعهم مع السوفيت. وبهذا تم الضغط على الشاه لإنهاء ظلمه ووحشيته وملاحظة حقوقوحريات الشعب الإيراني...كسنجر، في كتاباته الأخيرة أشار إلى أنّ تنفيذ سياسة حقوق الإنسان في إيران تُعتبرواحدة من الأفعال الخيانية التي ارتكبهاكارتر ضد الولايات المتحدة، وعاملاً حاسماً في فقدان الشاه وانتصار الثورةالإسلامية في إيران».[189]**

**سوليفان، يتهم كارتر وبوضوح في مذكراته بارتكاب جريمة الخيانة هذه، إذ يؤكد أنّكارتر فرض على الشاه سياسته حول حقوقالإنسان متجاهلاً عواقبها وغير مبالٍ بنتائجها.[190]ومع ذلك، ومن خلال فحص وثائق البنتاغون والتأمل فيها، نكتشف أنّ حقوق الإنسانوسياسة الانفتاح في إيران كانت مجرّددعاية وان إيران كانت استثناءً في هذه السياسة.**

**وعندما سُئل ممثل القسم الدولي للشؤون الأجنبية في الولايات المتحدة وهو عضو سابقفي الإدارة الأمريكية في ما إذا كانتإدارة كارتر أوجدت أية علاقة بين بيع الأسلحة وحقوق الإنسان في إيران، يأتي الجواببأن إدارة كارتر لم يكن لها أية نية علىالإطلاق لتغيير سياستها السابقة. وبلحاظ هاتين النقطتين، إن إيران كانتاستثناءً.[191]**

**وبذلك، فإنّ الحديث عن سياسة كارتر لحقوق الإنسان كعامل من عوامل سقوطالشاه، أوسبب في إيجاد ظاهرة عظيمة كالثورةالإسلامية في إيران، وبصرف النظر عن تهافت الموضوع، أو كونه عاملاًثانوياً، فإنّمثله ذا التحليل لا ينسجم مع حقائقووقائع مسار الثورة ،ولا يقدّم أي دليل لتأكيد هذه الدعوى.إنّ إدارة كارتركانت استثنت إيران من انتهاج هذه السياسة. بالإضافة إلى ذلك، أنّلدينا اعتراف بارسونز الذي يرفض نظريةالضغط السياسي هذه من قبل ادارة كارتر، وفي الوقت نفسه يثبّت وبوضوح بأنأولىإشعاعات الحرية كانت تكشفت في شتاء 1976، أي قبل شهرين أو ثلاثة من تسلم كارتر لمنصبه.**

**في نهاية هذه المناقشة، يجب أن نلاحظ بأن فكرة الجو السياسي المفتوح التي نُسبتإليها العديد من المعاجز، لم تكن شيئاً يستحقالإثارة وإنمّا مجرد دعاية قصيرة العمر، وان الشاه كان يتمتع بدعم البيت الأبيض وهوفي قمة ممارساته الوحشية والتعذيبوالسجون والقتل الجماعي وحتى آخر أيام اعتلائه السلطة في إيران.عناصر أخرى عجّلت في الثورة:**

**إضافة إلى النظريات الأربعة التي مرّ تعميمها، هناك افتراضات أخرى يمكن تقديمهاأيضاً نذكر بعضاً منها:**

**1 ـ السياسة الأمريكية تجاه إيران التي كانت مرتبكة، وتحتاج إلى تنسيق.**

**2 ـ الدور المباشر والأكثر الأهمية في وسائل الإعلام العالمية، الذي أدّته الإذاعةالبريطانية BBC بلحاظ ما كان يجري فيإيران.**

**3 ـ شهادة نجل الإمام ومناسبات التأبين التي أقيمت على رحيله والتي قادت إلى سلسلةمن التظاهرات والأحداث.**

**4 ـ نشر المقالة المهينة في صحيفة اطلاعات 17 دي 1337 (يناير 1977) التي استفزّتمشاعر الجماهير الدينية الحساسة.**

**5 ـ انتشار الظلم والقمع والتعذيب والزنزانات والسجون المظلمة وأخيراً قتل الناسبلا رحمة كل ذلك جعل الأمة في إيران تفقد صبرها وتثور ضد النظام.**

**6 ـ المظاهرات المليونية في المناسبات المختلفة التي أفقدت الحكومة تهوّرها فيالوقوف ضد إرادة الأمة.**

**7 ـ سياسة قطع النفقات أثناء وزارة أموزگار.**

**8 ـ إئتلاف المنظمات الاجتماعية المختلفة، والأحزاب والمؤسسات السياسية حول هدفواحد وإستراتيجية عامة واحدة.**

**9 ـ فقدان الشاه لولاء قواته المسلحة الأمر الذي أفقده القوة الكافية لقمع الحركةالثورية بشكلٍ فاعل.**

**10 ـ سرطان الشاه الذي تم تشخيصه عام 1353 (1974) من قبل متخصصين فرنسيين والذياحتفظ به الشاه سراً من أسراره.**

**11 ـ اعتقاد الشاه العميق بالقدر وعدم استخدامه كامل قوته القمعية، وهذا ما منحالمعارضة المزيد من الاندفاع والحماسة لمواجهته والانقضاض على حكومته.**

**12 ـ وقوع الشاه ضحية إجراءاته المتناقضة وسياساته المتدافعة.**

**13 ـ كان هدف الشاه الرئيسي هو تقوية سطوة الملكية باعتبارها محوراً رئيسياً فيسياسة دولته، وبذلك أوقع نفسه في نفس الشراك التي نسجها حول نفسه.**

**14 ـ اتساع دائرة الفساد الذي عمّ كافة أجهزته والناس المحيطين به، وصولاً إلىالجهاز التنفيذي في البلد، إضافة إلى عدم قدرته للسيطرة عليه، وحتى بين أقربالمقربين في حاشيته وبطانته.**

**15 ـ إحساس الشاه بأنه في الأيام الأخيرة من حياته ورغبته في أن يعمل كلّ ما بوسعهلشعبه أملاً في تحسين صورته أمام الناس.**

**16 ـ النسبة العالية للأمية وقلّة التعليم في المجتمع، والتي تقول نظريتها: «كلماتعلم الناس أكثر ،كان إسقاط الحكومات الظالمة أسرع» أوجدت استياءً عاماً لدىالأفراد والجماعات وركّزت اهتمامهم على المواضيع السياسية، وأخيراً ثورتهم علىالنظام.**

**17 ـ تساهل الشاه في تعامله مع معارضيه، مثل الحكم الصادر على مصدّق بالسجن لمدةثلاث سنين فقط، والإكتفاء بنفي الإمامالخميني، أمران أعطيا فرصة للمعارضين بمواصلة العمل ضده.**

**18 ـ إن وضع الشاه كشرطي لمنطقة الخليج الفارسي وتضخيم تأثيره في الأوبك OPEC أثاراحفيظة الحكام في المنطقة الخليجية وخاصة حكام السعودية ودفعهم للتنسيق مع شركات النفط العالمية من أجلالسيطرة على أسعار النفط، وترك الشاهيواجه مصيره لوحده.**

**19 ـ الضعف السياسي لنظام الشاه الذي كان يفتقد الشرعية، جاء مثَله مثل أبيه، الذيجيء به إلى السلطة عن طريق الانقلابولم تكن لديه وسيلة لحكم البلد الا من خلال القمع والدكتاتورية، وهذه هي النتيجةالحتمية لأي دكتاتور أو مستبد.**

**20 ـ إنّ شخصية الشاه الضعيفة، وعدم إطلاعه أو إطّلاعه على الوضع في البلد، وجنباًإلى جنب مع عزلته، جعلاه غير قادرعلى التعاطي مع مشاكل عام 1978، الأمر الذي أدى به في نهاية المطاف إلى خسارتهعرشه.**

### ****السياسة اللإسلامية: العنصر الحاكم في سقوط النظام:****

**نظرتنا نحو التحليلات السابقة، والتي عُرض بعضها وتم تحقيقه، والتحليلات الأخرىالتي عُرضت فقط دون توضيح، وبلحاظ** **ما أوضحناه آنفاً حول مسار الثورة الإسلامية، يكشف أنكلّ واحد من تلك العناصروالأسباب كان مؤثّراً بدرجة معيّنة في الثورة. ومع ذلك وعند الحديث عن العوامل الحاسمة في قلب نظام الشاه، أو انتصار الثورةالإسلامية ،لم يعُد كافٍ تعريف العامل الأكثرتأثيراً بعض الشيء فقط. إننا يجب أن نعثر، بين هذه العوامل المتباينة، على العنصرأو العناصر التي لعبت دوراً رئيسياً،وكانت سبباً في ولادة أو إيجاد العوامل الأخرى. واذا عثرنا على عنصر مهم وأساسبينها، فحينئذ ينبغي أن نعرضه بدلالةتاريخية موثقة.** **فالثورة الإسلامية في إيران، وطبقاً لطبيعتها الإسلامية، شكّلت بحدّ ذاتها العناصرالكفيلة بانتصارها... ولكي نفهم هذه المسألةأكثر، علينا أن ندرس الثورة من داخلها.** **وإذا بحثنا عن أي سبب أو عامل مؤثر، خارج طبيعة الثورة، وخارج نماذجها وجذورهاالتاريخية ،فإنّ الشيء الوحيد الذي يمكنالعثور عليه والذي له الدور الحاسم على امتداد مسار الثورة منذ ولادتها وحتىالانتصار، هو سياسة الشاه المناهضة للإسلام. انهكان يرى أن استمرار حكمه أو استمراره كحاكم قوي يسعى لدعم ملوكيته، والحصول علىالمزيد من الدعم الأجنبي، فهو سعيهالمتواصل لإزالة الإسلام من حياة الناس. فالإسلام هو العدو رقم 1 لأي نوع من أنواعالاعتماد على القوى الأجنبية. كما انهيرفض الاتكّال على القوى العلمانية ويحرّم هيمنتها الاقتصادية والعسكرية والسياسيةوالثقافية على المجتمع، وان الشاه لايستطيع مواصلة حكمه دون الاعتماد على القوى العالمية الظالمة. بالإضافة إلى ذلك،أنّ الإسلام يُعارض الحكم المستبد، واننظام الشاه ليس له طريق في البقاء إلاّ عبر استخدام القوة والاستبداد وممارسة الحكمالمركزي الفردي.بزعمه أن اللإسلامية يمكن أن تحرّره من عائق الدين الكبير لمواصلة الحكم وحلّ مشاكلسياساته المحلية والدولية يكون قد بدأمعركته في تاريخ هذا الإعلان بواكير عام 1340 (1961). وما دامت الأمة أمة مسلمة وانالشعب يؤمن بعمق برجال الدينوالقادة الروحانيين، فإنّ الشاه ومن أول خطوة، واجه مقاومة رجال الدين الذين كانوالسان الإسلام وصوت الشعب وكان بذلكواقفاً في عرض أهدافهم ونظرياتهم.** **من أول الأيام التي انتهج فيها الشاه هذه السياسة، فإنّ حاجة الناس لمعرفة شيء عنأعماق المواضيع السياسية وألاعيب الشاهوخدعه السياسية، لم تكن قد تكاملت بعد أو تجانست. كما ان انجاز مثل هذا التكاملوالتجانس يحتاج إلى قيادة. أنهم كانوا أيضاًبحاجة إلى الأدوات الضرورية في الوقوف ضد الماكنة العسكرية للنظام إذ كان منالسهولة بمكان دحرهم وخنقهم. وكنتيجةلهذين السببين، فإنّ المرجعية الدينية، وعلى رأسها الإمام الخميني أخذت على عاتقهاقيادة الجماهير وبدأت نضالها ضد إجراءاتالشاه المناهضة للإسلام.** **الوجه الأول في إستراتيجية الحركة الإسلامية في إيران، بزعامة الإمامالخميني هوإيقاف الشاه ومنعه من مواصلة هذه المؤامرةالخطيرة. وعندما فقدت قيادة الحركة كل آمالها في إيقاف النظام من مواصلةانتهاجسياسته اللإسلامية هذه، ابتدأت المرحلةالثانية من الكفاح ،وهيا لمقاومة والمعارضة السلبية. وقد أتُخذ هذا الإجراءمن أجلإضعاف النظام وتعبئة الجمهور من خلالإطْلاعه على الأمور بامتداد الشهور والسنين..كانت المعارضة تشتمل على شيءقليل ومتقطّع مما يسمى الكفاح المسلح.عندما وصل النظام إلى حافة السقوطوفقد حصانته، وبعد أن أصبحت الأمة موحّدة بدأتالمرحلة الثالثة، والتي خلالها بدأتنهاية النظام وجاء الختام بسقوط الشاه. هنا ظهَر نظام سياسي جديد في إطارثورةإسلامية وكان منسجماً مع أفكار وأهداف محددةفي هذه الثورة. ومع هذه تكشّف الضوء وانتهى ليل الظلام وتوهّج فجرالجمهوريةالإسلامية ليضيء أفق إيران الإسلامية.بلا شك، وضمن مسيرة 15 عام للحركةالإسلامية بقيادة الإمام الخميني والمدعومة منقبل رجال الدين والأمة المسلمة فيإيران، كان هناك عامل أو أكثر، له أثر واضح أو مستور في تقدم الحركات. بعضهذهالعوامل كانت مؤثرة في جميع المراحلأو الوجوه ،وبعضها الآخر كان لها تأثير في فترات معينة أو حالات معينةمساهمةً فيإيجاد أو انبثاق عناصر أخرى.وإذا كنّا، ضمن هذا الفهم الجديد، نقدّمالعناصر المذكورة في مسيرة الأحداث وفيمسار الثورة ،فإننا سنرى بأنها جميعاً كان لهاتأثيرها في تقدم الثورة وصناعة أسباب انتصارها. ومع ذلك، فإنّ هذه العناصرليستجميعها بنفس القدر من التأثير.وبنظرة أعمق، إن بإمكاننا العثور على عواملعديدة أخرى أو عناصر مؤثرة إضافة إلى كلما ذكرناه، ولكن تأثيرها كان متفاوتاًفي تحديد مسار الثورة الإسلامية، قلّ هذا التأثير أو كثر.**

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

# ****دراسة مقارنة عن نظريات مختلفة حول****

# ****أسباب انبثاق الثورة الإسلامية****

### ****بقلم****

## ****صادق زيبا كلام****

**دراسة مقارنة في نظريات متباينة: .. في ديسمبر 1977، وفي حفل تخرّج مجموعة من ضباط الجيش، وقف شاه إيران السابق ليعلنعلى الملأ وبصوت عالٍ «لا أحد .. يستطيع أن يقيم انقلاباً عليّ، إنني أحظى بتأييد العمال والفلاحين وطبقة واسعة منالمجتمع وعموم الناس والمثقفين، بالإضافة .. إلى دعم كبير لا شك فيه من جيش قوامه 700000 رجل»[192]. لا شك أنّ الشاه كان يعنيما يقول. لقد كان واثقاً من قوة .. نظامه متصوّراً إن مملكته لا تُمسّ. كما انه لم يكن وحده في تقييمه هذا حول استقرارالنظام في إيران. .. بعد شهر واحد فقط من هذا الخطاب، كان الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، وأثناء زيارتهلإيران، قد أشار إلى أنّ إيران هي ( .. جزيرة الاستقرار) مهنئاً الشاه على دوره المضيء في المنطقة.[193] بعض تعليقات كارتريمكن أخذها من باب الثناء .. الدبلوماسي أو اللياقات الدبلوماسية. ومع ذلك، وفي الحقيقة، انه كان يعتقد بجزءكبير مما قاله بخصوص استقرار وقوة نظام .. الشاه. وأفضل برهان على هذه الدعوى ما سُجّل من تحليلات في وكالة المخابراتالأمريكية حول الوضع في إيران. في أيلول .. من عام 1978 مثلاً وبينما كانت إيران على حافة الانفجار الكبير للثورة، فإنّ الـ CIA أوردت هذا التقييم الإجمالي الشهير حول .. الوضع في هذا البلد قائلة: «ان إيران ليست في وضعٍ لا تسبقه ثورة وحسب وإنما هي فيوضعٍ ليس فيه الحد الأدنى من .. مظاهر الظروف الثورية».[194] .. إنّ الـ CIA لم تكن المنظمة المخابراتية الوحيدة التي ارتكبت نفس الخطأ في فهموتقييم الوضع السياسي في إيران وإنما كانت .. على غرارها منظمة مخابرات وكالة وزارة الدفاع[195]، التي تغذي البنتاغون وخدماتالشؤون العسكرية الأمريكية بالمعلومات .. المخابراتية، وفي تقييمها للوضع في إيران، كتبت تقريراً بعد شهر واحد جاء فيه: «منالمتوقع أنّ الشاه سيبقى قوياً وفاعلاً في .. السلطة للسنتين القادمتين»[196]. .. إنّ الاعتقاد باستقرار نظام الشاه وقوته التي لا يمكن المساس بها، كان مزروعاً بعمقفي عقول مراجع السلطة في أمريكا، بحيث .. أنّ السفير الأمريكي في طهران، وعندما واجه الحقيقة مؤخراً، وحين عرفان استمرار حكمالشاه أصبح مستحيلاً فانه كتب تقريره .. التاريخي إلى مراجعه العليا في واشنطن تحت عنوان «تصديق ما لا يمكن تصديقه»[197]. .. إن تفهّم موقف واشنطن فيتصورها أنّ النظام مستقر وقوي، ليس صعباً، وذلك لوجود مسلسلمن الاتفاقيات والمعاهدات .. الستراتيجية بين الشاه وأمريكا على امتداد 37 عام من الحكم، وخاصة بعد انقلاب 19آب، اغسطس 1953 الأمر الذي جعل .. واشنطن تعتقد بأن نظام الشاه قوي جداً بحيث لا يمكن لأحد أن يتصور «إيران بعدالشاه». .. أحد الأعضاء من ذوي الرتب العالية في حكومة كارتر ثبّت اعتقاده كما يلي: .. «الاعتقاد بأن الشاه حكم البلد باقتدار كامل، وان فكرة معارضته لا أهمية لها،مسألتان غائرتان بعمق في عقول الأمريكان، فحتى .. قبل سنة واحدة على الثورة، وعندما بدأ إعصار الثورة يزحف ويكتسح الشارع الإيراني،فإنّ الحديث عن معارضة داخلية للنظام .. الإيراني كان ذو أهمية قليلة أو لا قيمة له عند أي شخص في الحكومة الأمريكية»[198]. .. ولكن الذي حصل، أنّ المستحيل صار ممكناً، وان النظام القوي المرعب تمّ إسقاطهبالقبضات الخالية، بالمعنى الحرفي لهذه .. الكلمة. .. الأكثر إثارة للاستغراب هو سرعة الانقلاب. معظم المناوئين للنظام المتفائلين لميتصورا أن كل شيء سينتهي بهذه السرعة. .. مصطلحات وعبارات مثل (الثورة المبتسرة) و(الثورة القيصرية) و (الثورة القافزة)والتيكانت موضوع حوارات عامة أثناء .. الشهور الأولى بعد الانتصار تصوّر أبعاد الثورة الإسلامية، هذه الظاهرة تعود إلىسرعة انفجار الثورة وعدم توقعها. .. هذا المعْلم، كما سيوّضح لاحقاً، أوجد استنتاجات مهمة في النظرية، أو المدخل النظريتجاه الثورة الإيرانية، ولكنْ وقبل المضي .. قُدماً، من الضروري أن نعرض المعلم الفريد المهم الأخر للحدث، ومن ثم نبدأ تحليلنتائج هذين العاملين. .. إذا كنا نعتبر الانبهار الكبير لحدث الثورة الإسلامية واحداً من أهم الملامح فإنّالنقطة الناتئة الأخرى هي الطبيعة الدينية أو .. الخلط بين الثورة والدين. .. ولا واحدة من الثورات المعاصرة كانت دينية، (الثورة الفرنسية، ثورة أكتوبر، ثورتاالصين وكوبا حيث كانتا في الأساس لا .. دينيتان). خلال القرن الأخير لا يمكن العثور إلاّ على عدد قليل جداً من الانتفاضاتوالحركات الشعبية التي مزجت بين الثورة .. والدين. .. نعم، في الثورة الجزائرية، وكذلك في الثورة الدستورية في إيران، أو حركة تأميمالنفط، كان للمسلمين حضوراً فاعلاً وأن .. شخصيات هذه الحركات أو مفاتيحها كانوا في الأساس رجال دين أو إسلاميين، ومع ذلك ولاواحدة من هذه الحركات كانت من .. أجل الدين أو تمّت قيادتها باسم الإسلام. في إيران كان الشوق والرغبة للدين هماالرمزان البارزان في الثورة. .. في الربع الأخير من القرن العشرين، قرن هيمنة العلمانية يبدو أنّ ولادة حركةاجتماعية سياسية عظيمة تحت راية الدين كان .. فعلاً مثار دهشة كبيرة. الذي أضاف إلى هذه الحيرة، حيرة أخرى، هو إن الإسلام يعودإلى الحياة، في مجتمع محكوم بحكومات .. لا دينية لأكثر من نصف قرن. السؤال الذي يُثار أمام كل باحث اجتماعي وسياسي معنيبالشأن الإيراني هو كيف ومن أين .. جاءت أو تولدت كل هذه العواطف الدينية مع هذا الميل والدعم الواسع الانتشار للإسلامالذي جاء إلى الوجود مع وجود المجتمع .. الإيراني؟ ومن هنا فإنّ الثورة الإيرانية أثارت سؤالين أساسيين:**

**الأول: كيف انقلبنظام الشاه في غضون شهور قليلة؟**

**والثاني: .. لماذا كانت هذه الحركة ملتصقة بالدين؟**

**مداخل الإجابة عن هذين السؤالين تغمر العديدمن الكتابات التي طُبعت عن الثورة .. الإسلامية في إيران لحد الآن، كما أن البحث عن جواب لهذين التساؤلين في العديد منالأعمال التي بحثت هذه الظاهرة، يُعتبر .. مهمة شاقة ومعقّدة فعلاً. .. نظرة عامة في هذه الجهود يوضح معاناة الكتّاب المضنية للعثور على جواب عن هذينالسؤالين. الكثير من الذين طُبع يأخذ .. المدخل النظري نحو الثورة أكثر من المدخل الوصفي. نحن نجد أعمال قليلة حاول الكتّابمن خلالها توضيح ووصف هيكلية .. الثورة الإسلامية. فيما القاعدة أن معظمها تحليلات وتنظيرات. .. لماذا حدثت هذه الثورة وأصبحت ممتزجة بالدين؟ لو كان الإنقلاب على نظام الشاهمتوقعاً منذ فترة طويلة، ولو كانت الحركة .. الدينية تزعمتها قوى سياسية عادية (كما في النضالات الأخرى على امتداد تاريخ إيران) لكانت الثورة الإيرانية هي الأخرى .. ثورة عادّية أو حركة سياسية. كان يمكن أن تكون معركة ضد نظام لم يكن يمتلك الشرعيةالسياسية، ومن الطبيعي ألاّ تكون لديه .. شخصية مستقلة أو خاصة. .. الكتّاب الذين تبنّوا الموضوع لم يُواجهوا بـ (كيف ولماذا) واضحتين. وكل ما كتبوهسيبقى وصفاً لتاريخية وجغرافية الثورة. ولكن .. مع الثورة الإسلامية في إيران، كان عكس هذه تماماً، تلك الكتابات وجدت نفسها مباشرةبين كماشتي هذين السؤالين. .. ومن هنا، سنحاول تقديم تصنيف إجمالي حول الأجوبة عليها، وهذا ما يمكن اختصاره فيأربع نظريات رئيسية، وكما يلي: ..**

**1 ـ نظرية المؤامرة: .. المجموعة الأولى تتكون من عدد كبير من أنصار النظام السابق أو ما يُسمون بـ (أنصارالملكية). الأساس في تفكير هؤلاء يرتكز .. على نظرية المؤامرة، لأنهم لا يدركون على الإطلاق أن الثورة الإسلامية كحركة أصيلةتأسست من إرادة شعبية. وبدلاً من ذلك، .. فهم يعزونها إلى خطة مسبقة ومؤامرة مدعومة أجنبياً. يوجد هناك إجماع بين المؤيدينلنظرية المؤامرة بخصوص الأجانب الذين .. كتبوا عن المخطط. فهم يشخّصون بأن القوى الغربية وخاصة أمريكا وانكلترا كانواأسـباباً في سقوط الشاه. ومع ذلك ليس لديهم .. فكرة واحدة عن دوافع هذه القوى لتنفيذ هذا الفعل المزعوم. .. الشاه السابق وبعض مؤيدي الملكية يعتقدون بأن القوى الغربية قرروا قلب نظامه بسببإصراره على زيادة أسعار النفط في .. النصف الأول من السبعينات 1970. وكان الشاه قد أشار عدّة مرات إلى هذه الفكرة فيمحاولة لفضح الثورة. مثلاً، وفي مقابلة .. طويلة له مع أحد الصحفيين البارزين في حزيران 1977، أكّد بأن التظاهرات ضد نظامهإنما هي نتيجة لمؤامرة من قبل القوى .. الغربية، لها علاقة مع سياساته في زيادة أسعار النفط.[199] .. وبعيداً عن النفط يثير هؤلاء المنظرون فكرة (غيرة الغرب تجاه تقدم إيران). وطبقاًلهذه الرؤية، فإنّ النمو الاقتصادي المتزايد .. الكبير الذي شهدته إيران عام 1971 وجهدها في إنتاجياتها الزراعية والمعدنيةوالصناعية للوصول إلى الأسواق العالمية شكّل .. تهديداً لمصالح القوى الغربية.ولهذا ومن أجل كبح تقدم إيران وإيقاف تطورها، فأنهمأوجدوا مناسبات وهيأوا أجواء لإيقاف هذا .. النمو في إيران. إنّ الشاه كان مقتنعاً بأن الغيرة الغربية كانت السبب القاطعلمعارضتهم لنظامه. انه كان يعتقد بأن «الغربيين لا .. يستطيعون أن يروا إيران وفي فترة 15 سنة تتقدم أكثر من أي قطر آخر في العالم». .. وأثناء الفترة الثورية، كان الشاه يسأل السفير الأمريكي في طهران مراراً، وبانزعاجودهشة عن «ماذا كان فعله للأمريكان حتى .. تروح الـ CIAتقف ضده؟»[200] أنثونيبارسونز، السفير البريطاني كان في نفس الموقفأثناء الثورة، مع اختلاف واحد، وهو .. انه بسبب أخبار الإذاعة البريطانية BBC، وتعليقاتها، كان الشاه أشار إلى لندن بشكوكأكثر وكراهية أكبر، انه اتهّم البريطانيين .. وبوضوح بأن لهم ارتباطات مع خصومه ومناوئيه. هذا الاتهام قد تكرر كثيراً، الأمرالذي حدا بـ بارسونز أخيراً، والذي عاد .. متعباً من هذه التعليقات فاقداً أعصابه فقال له مرّة: «إن أي شخص يعتقد فعلاً بأنالحكومة البريطانية لها علاقة سرّية بأي شكّل .. من الأشكال مع خصومك يجب أن يراجع مستشفى الأمراض العقلية»[201]. .. هذا الاعتقاد (بثبوت الجريمة) وبخصوص الإعداد للانقلاب على النظام كان صُوّر فيمقابلة مهمة وطويلة قَبل الثورة مع المجلة .. الشهيرة (الآن) Now: وجاء تحت عنوان: .. «كيف انقلب عليّ الأمريكان»[202]. الذي ينبغي أن نبقيه في الذهن عند مراجعة نظريةالمؤامرة، في الثورة الإسلامية .. الإيرانية وبالعكس، هو حقيقة الميل نحو الاعتقاد بوجود مؤامرة يشكّل جزءاً معتبراًفي الثقافة النفسية ـ السياسية الإيرانية. .. في ثقافة المؤامرة، تبدو العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية الواردة فيصناعة الحركة السياسية غير قابلة للاعتبار .. والتحليل. وبدلاً من ذلك، تظهر العقول ملتصقة بكليشهات عامة مثل: القوى العالمية،مصالح ومنافع القوى العظمى، ستراتيجيات .. القوى الكبرى، النظام العالمي الجديد، المساواة الدولية، موازنة القوة، وأفكار أخرىجاهزة عديدة. هناك عنصر آخر في ثقافة .. المؤامرة هو الاعتقاد بوجود «أعداء أجانب منظورين وغير منظورين»يخططون دائماًلمؤامرة مضادة لتدميرك. أما عوامل خلق .. نظريات المؤامرة هذه في مجتمعنا إنما هي خارج دائرة بحثنا هذا. .. يكفي القول أن الرقابة والحظر الحكومي على النشاط السياسي، والخلفية التاريخيةللتدخل السياسي للقوى الأجنبية وتأثيرها في .. إيران، وأخيراً الحاجة إلى روح تحقيقية حقيقية في البحث السياسي والاجتماعيوالتاريخي والدولي كانت أيدت تشكُّل هذه الثقافة .. في المجتمع الإيراني. ولذلك وبدلاً من عقلنة وانتقاد آراء أنصار نظرية المؤامرةهذه، ينبغي أن نُشغل أنفسنا بعمل أكثر جذريةً، .. وتحديداً، مواجهة هذا المرض الإجتماعي. ..**

**2 ـ نظرية التحديث: .. المجموعة الثانية من النظريات التي تظهر بخصوص الـ (كيف ولماذا) الثورة الإسلامية،يمكن إجمالها تحت عنوان (نظرية .. التحديث).هذه الفكرة كانت قُدّمت بأساليب وطرق متباينة.ومع ذلك فإنّ قاسماً مشتركاًدالاً وهاماً يمكن أن يوضع لها جميعاً. وطبقاً .. لهذه النظرية، فإنّ السبب الأهم للانتفاضة هو إصلاحات الشاه التحديثية المتسرّعةوالمخّطط لها خطأ والتي أريد بها تحوّل سريع .. لتحسين صورة إيران. ولكن وبسبب البناء التقليدي للمجتمع الإيراني، الكثير من الناسلم يكونوا مستعدين لهذا التغيير أو .. التحوّل.ونتيجة لذلك، فإنّ نفوراً ثقافياً اجتماعياً قد تم إيجاده وان الناس راحوايواجهون أزمة هوية أو انتماء. وبزيادة الفجوة بين .. الجمهور ونظام الشاه، فإنّ أزمة الهوية قد انتقلت إلى مواجهة سياسية ـ دينية. منقلب هذه العاصفة ولدت الثورة الإسلامية. .. هذه النظرية كانت بُوبّت في البداية من قبل باحثين غربيين معينين، ومن ثم وجدت لهامؤيدين ومروّجين بين الإيرانيين كذلك. .. التحليل التالي هو نموذج للعقلنة التي قدمها مؤيدو هذه الفكرة: «إن جذور انتفاضةاليوم تأسست من الاندفاعة المباشرة .. والمستقيمة نحو القرن العشرين التي خطط لها قبل 15 سنة من قبل الشاه. في عام 1963بدأ الشاه عدداً من الإصلاحات لقيادة .. المجتمع الإيراني الإقطاعي نحو عصر جديد. إلاّ أنّ التجديد اصطدم بالبناء التقليديوالديني للمجتمع، وان التقليديين واجهوا بقوة .. مسار التحديث»[203]. .. النقد الأكثر أهمية في هذه النظرية أن المؤيدين لها ليس لديهم أية تعليقات سلبيةعلى برنامج الشاه الاقتصادي، وليس لديهم أية .. كلمة يقولونها حول سياساته الحكومية. .. إن أكثر ما ينتقدون الشاه هو تسرّعه في تجهيز أدوات ما سمُي «البرامج التقدمية». .. «إنّ شاه إيران الآن يتعلم درساً مرّاً ولكنه واضح. في محاولته العنيدة لتحرير بلدهمن التخلّف، والنظام القديم من الإقطاع، إلاّ انه .. لم يستطع السير بشعبه على طول الخط، ورغم أنّ أهدافه واضحة، إلاّ إنها لا يمكنالوصول إليها بسهولة، وبدون الدعم الواسع .. للجماهير»[204]. .. في الأساس، وبلحاظ الموقف المعروف في الغرب نحو الشاه، فإنّ ظهور مثل هذه الفكرةليس مدهشاً جداً. فخلال عدة سنوات، .. وخاصة بعد عام 1963 والضجة الكبيرة لوسائل الإعلام العامة حول الثورة البيضاء فإنّالشاه ظهر في عقول العديد من المحلّلين .. الغربيين كقائد تقدّمي، أبدع سلسلة من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الحديثةبجهدٍ استثنائي بدّل وجه إيران. هذه .. اللاواقعية الأساسية لم تكن لتظهر بسبب المصالح العامة المشتركة بين الشاه والغرب،فقد كان هناك العديد من القادة في أقطار .. الشرق الأوسط الأخرى، وأجزاء أخرى من العالم، ممن ربطوا أنفسهم مع الغرب، إلاّ أنهملم يستلموا شيئاً مقارنة بدعاواه. بعيداً .. عن خطب الشاه ولقاءاته مع الغربيين بشأن إصلاحاته وجهوده، في هذا الاتجاه، فإنّ هذهالصورة جاءت إلى الوجود من خلال .. مزيج من السياسة، والخطط، وفوق كل ذلك الصورة الواضحة التي زعمتها إيران في السنينالأخيرة من نظام الشاه الإصلاحي. .. هذه الفكرة لم تكن محصورة فقط بالسياسيين وبعض المحللين المعنيين بالشأن الإيراني،ففي السنوات المتزامنة مع الثورة، العديد .. من الكتّاب المشهورين الذين كتبوا عن إيران، أمثال جيمس بل، ومارفن زونس، شاؤولباخاش وحتى نيكي كديكانوا وصلوا إلى .. استنتاج واضح مفاده أن سياسات الشاه الحديثة المتغربّة كإصلاح الأرض وحق الطلاقللمرأة، وتحرير النساء عموماً وسرايا .. المتعلمين كلها أثارت عدم ارتياح في أوساط الطبقة الدينية، وسببت تقاطعاً بيّناًبين علماء الدين ونظام الشاه. .. الاستنتاج المنطقي الممكن انتزاعه من نظرية التحديث هو انه لو كان الشاه لم يتخذمثل هذه الإجراءات في حينها، لما نشأت .. مشكلة معينة. أن مشكلته بدأت بشكل دالّ عندما شرع بهذه الإصلاحات في بدايةالستينات. وطبقاً لذلك، وحتى ذلك الوقت، وبداية .. برنامج التحديث، فإنّ النظام لم تكن لديه أية مشكلة، أياً كانت لأن الصعوباتالناشئة، رُبطت مع بداية مسار التحديث. .. في الواقع، أنّ هذا لم يكن صحيحاً. فالمعارضة لنظام الشاه السابق وُجدت قبل تلكالفترة أيضاً، أنّ هذا التناقض ينشأ من حقيقة .. أن نظرية التحديث لا تعطي الأهميّة المطلوبة لخصوصية نظام الشاه ولا لبنائه السياسيأو هيكليته السياسية. .. أسئلة أخرى، مثل مقبولية الشاه الجماهيرية، درجة الالتحام الشعبي سياسياًواجتماعياً، مستوى المشاركة السياسية الجماهيرية .. كلها لم تمنحه من الاعتبار إلاّ الشيء القليل. من وجهة نظر هذه النظرية، إن البناءالعام للمجتمع الإيراني يمكن تلخيصها بمقارنة .. مجموعتين منفصلتين من الاهتمامات. .. فمن جانب الشاه إنّ النظام يسعى جاهداً لسحب البلد أو جرّه نحو التحديث، أما الجانبالآخر من التقليديين، الذين تُعتبر هذه .. الإصلاحات والخطوات التقدمية بالنسبة لهم متيسرة وسابقة لأوانها، وبالنتيجة فأنهميعارضونها ويقاتلون ضدها. ..**

**3 ـ النظرية الاقتصادية كسبب للثورة: .. ليست هناك أية غرابة في فكرة أنّ المشاكل الاقتصادية وإثارة الضجيج حولها كانتالعامل الأساس لانبثاق الثورة الإسلامية، .. وان هذه الفكرة حظت بالكثير من المؤيدين. أتباع هذه النظرية يمكن تقسيمهم إلىمجموعتين رئيسيتين: .. تؤكّد المجموعة الأولى بأن المشاكل الاقتصادية لنظام الشاه بدأت من أوائل السبعينات 1970 أي بعد ارتفاع أسعار النفط إلى .. أربعة أضعاف في السوق العالمية. فيما تؤكد المجموعة الثانية، والتي تتشكل في الأغلبمن الحركات الراديكالية الإيرانية، أنه لا .. فصل لفترتي قبل، أو بعد ارتفاع الأسعار هذا وتعزو سقوط النظام إلى مزجه بين الأزماتالاقتصادية واعتماده على الامبريالية .. العالمية. .. مرتكز فكرة المجموعة الأولى متجذرة في زيادة أسعار النفط عام 1973. وفي روايتهمهذه، إنّ الارتفاع الحاد والمفاجئ في .. واردات النفط شجّع الشاه على اتخاذ سلسلة من الإجراءات السريعة والواسعة في برامجالتنمية الاقتصادية، وكانت النتيجة أنّ .. نمواً اقتصادياً في أواسط السبعينات بدأ يتجلّى بعواقبه السلبية. التضخم، الكسادالتجاري، حالات ضعف أساسية في تقديم .. الخدمات الضرورية، اتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية، أزمة السكن، انتشار الفسادالإداري والرشوة وغير ذلك، كلها .. أجبرت النظام أن يضع في الحسبان برنامج مواجهة التضخّم (مستبدلاً وزارة عباس هويدابوزارة جميشد أموزگار في آب ـ .. اغسطس 1977). .. إنّ سياسة مواجهة التضخم، بالمقابل، سببّت استياءً أكبر. هذا التوقف في النموالاقتصادي تحوّل تلقائياً إلى أزمة سياسية، أدى .. بالنتيجة إلى ضجيج سياسي، عبّد الطريق إلى الثورة. باخاش ونيكي كدي، وبالإضافة إلىسبب التحديث، وضعا أصبعيهما على .. الاقتصاد أيضاً. ميشيل فيشر، فريدهاليداي وريچارد كوتام، قدموا كذلك تحليلاًاقتصادياً حول الـ (كيفولماذا)الثورة. كوتام، .. المتخصص الشهير بشؤون إيران، أجمل النظرية المذكورة آنفاً كما يلي: .. «بدون شك، أنّ فترة الهدوء بين 1963 ـ 1973، جاءت مقابل فترة الاستياء والصخب في 1977 ـ 1978، وسبب ذلك الحقيقة .. القائلة بأن في الفترة الأولى، كان دخل الأكثرية من الإيرانيين قد زاد، وعكس ذلك فيالفترة الثانية باستثناء الأغنياء جداً، فإنّ .. أغلبية أبناء المجتمع واجهوا صعوبات اقتصادية جديّة»[205]. .. باخاش، أيضاً، يؤكد إنه وعلى الرغم من أن النظام كان يعاني مشاكل اقتصادية قبلزيادة أسعار النفط عام 1973، إلاّ أن تلك .. المشاكل ليست من الجدية بحيث يمكنها أن تشكّل تهديداً جديّاً على وجوده. .. «ما دامت هناك فرصة لمعظم الإيرانيين لتحسين ظروفهم المعيشية، فإنّ المشاكلالاقتصادية، لم تكن قادرة على أن تسبّب تهديداً .. جدياً للنظام. ومع ذلك، فإنّ انفجار أسعار النفط في السوق العالمية عام 1973، أدّىإلى تعقيدات اقتصادية واجتماعية عميقة في .. إيران»[206]. .. وكما يلاحظ، من وجهة نظر هذه المجموعة من المحللين، إنّ جذور سقوط نظام الشاه تكمنفي الاقتصاد، وبكلام أكثر دقّة، إن .. سوء التوفيق في برنامج التوسعة الاقتصادية جاء متزامناً مع الثورة. بالطبع، أن ذلكما كان ليُقال حتى حينئذ، إذ لم تكن للنظام .. مشاكل اقتصادية رغم عمق الأزمات واتساع تلك التعقيدات التي لم تكن من السعة بحيثتكون قادرة على شلّ النظام وجعل .. عودته إلى الحياة مستحيلة، ولكن في أواسط السبعينات، ظهرت أبعاد الضعف في اقتصادالبلد، كما أنّ ضجيج وفشل برامج .. الخطة الخمسية بين (1973 ـ 1978) كانت مهمة بمكان بحيث إنها أزعجت الأغلبية العظمىمن أبناء الطبقة الوسطى، خاصة .. أصحاب الدخل المنخفض، وكانت النتيجة أنّ الناس اصطفوا ضد النظام وأخيراً ثارواعليه. .. المجاميع الإيرانية الراديكالية، على نقيض هذه المجموعة من المحللين، لا يشخّصونفترة محدودة لبداية أزمات النظام .. الاقتصادية، أنهم في الأساس يعتبرون النظام وكيلاً للامبريالية أو كومبرا دوراًللبرجوازية، أي بسبب الاعتماد على الرأسمالية .. العالمية كان النظام غارقاً في مستنقع خاص من العقود. جماعات فدائيين خلق ومنظماتهميحللون إن أسباب انهيار النظام ووفقاً .. إلى طبيعته غير المستقلة (وتبعيته للرأسمالية) كما يلي: .. «مع اتّساع الأزمات العامة واعتماد الرأسمالية في إيران والتي تأثرت بعمق بارتفاعوانخفاض الأزمات العامة للمعسكر .. الامبريالي، انفتحت هوّة في جهاز الحكومة المركزية المستقر المعتمد على الرأسماليةالاحتكارية، ومع تصاعد حدة الأزمة .. الاقتصادية والاستئجار وزيادة استبداد الشاه، وتنامي التناقض بين الجماعاتالإمبريالية الأمريكية، بدأت حركة الأمة تتطور .. وتنمو بسرعة.وكلما نمت هذه الحركة، كانت دائرة الأزمة العامة في رأسمالية إيران غيرالمستقلة تتسع».[207] .. مع تطور الأزمة الاقتصادية، وظروف المعيشة، وخاصة ظروف العمال التي ساءت كثيراً بدأالناس تدريجياً ينظمون أنفسهم .. ضد نظام الشاه. الفدائيون رأوا الشرارة الأولى للثورة عندما بدأت الحكومة مواجهةسكان ضواحي طهران في صيف عام .. 1977.[208] .. منظمة مجاهدي خلق، مثل فدائيين إسلام، ترى هي الأخرى أن تطور الثورة جاء بسبب سوءالظروف المعيشية وخاصة .. المحرومين والعمال[209]. .. ولكن حزب تودة يقدم التحليل الأكثر استيعاباً للرأي القائل بأن «الاقتصاد هو سببالثورة».الحزب المذكور، وبعد عرض وجهة .. نظر عريضة حول البناء الطبقي للنظام واعتماده على الإمبريالية العالمية وتحديداًعلى الإمبريالية الأمريكية يصف النهب .. الأمريكي في إيران كما يلي: .. «الأغلبية المطلقة من الإيرانيين كانوا يعيشون في ظروف معيشية لا تطاق، العمال فيالمدن والمحافظات محرومون من معظم .. وسائل المعيشة الأساسية والصحة والتعليم. وفي خضمّ هذه اللامساواة المؤلمة جداًوهذه الوديان العميقة بين الناهبين الأجانب .. والمحليين، من جانب، والفقراء والمنهوبين من جانب آخر، أي بين معاناة الشعبالإيراني من جانب، والجبهة الامبريالية .. المجرمة بقيادة أمريكا والطبقة الحاكمة المؤلفة من كبار الرأسماليين الذيولوالإقطاعيين ومُلاّك الأراضي من جانب آخر، فإنّ .. بذور الحركة الثائرة ظهرت إلى الوجود كذلك»[210]. .. ورغم شيوع النظرية الاقتصادية وآثار الأفكار اليسارية بين الجماعات الماركسية،وبلحاظ تأثير وآثار هذه الأفكار على التفكير .. السياسي في إيران، إلاّ أن العديد من الكتّاب غير اليساريين الإيرانيين قد ارتضواعموماً هذا التحليل في تشخيص أسباب ودوافع .. الثورة. .. على عكس ما كان يُزعم حول النظرية الاقتصادية كسبب للثورة، فإنّ وضع الناس الحقيقيلم يزدد سوءاً، ووفقاً للاستدلال الغامر .. من جو الثورة، فإنّ مطلب الجماهير الأولي من النظام كان سياسياً. ومن خلال توقفالأعمال، مثال على ذلك، مطالب .. المُضربين، ومن كافة الاتجاهات بما فيها الحكومية، نكتشف أن المطاليب الشعبيةوقيادة الثورة كانت جميعها سياسية. ومن .. مراجعة محتويات الإعلانات والخطب والشعارات التي ظهرت في تلك الفترة، نكشف أنالمطالب الشعبية وقيادة الثورة، كانت .. سياسية أيضاً وليست اقتصادية. .. مجلة (تهران ايكونوميست) التي كانت عاكسة لوجهات نظر أرباب الأعمال والقطاع الخاصقبل الثورة تصف المسار العام .. للارتفاع الكبير للرواتب عام 1976 كما يلي: .. «الرواتب والأجور كانت في ارتفاع مستمر. هذه الزيادات أصبحت غير طبيعية بحيث يستحيالأب أن يكشف عن الرقم .. الحقيقي لولده. والسبب، رغم هذه التجربة، ان الأب يحصل أقل من ولده الذي دخل توّاًإلى سوق العمل. الأهم من ذلك هو أن .. المستخدمين أو الموظفين الذين فقدوا أعمالهم، بسبب الإهمال المستمر والخطواتالخاطئة الأخرى يجدون في الحال عملاً أفضل .. ودخلاً أحسن. كان للناس فعلا آمال عالية»[211]. .. فريدهاليداي، في عمله الكبير في إيران، وعلى حافة الثورة كتب فصلاً يحلل فيه ظروفالعمل والأجور، ولكنه لا يقدّم أي دليل .. يدعم فيه نظرية الأوضاع الاقتصادية المتدنية، وإنما على العكس، يؤكّد بأن هذهالطبقات كانت تمتلك قوة اقتصادية معتبرة. .. [212] .. آراء البروفسور أروند ابراهيميان واضحة تماماً أنه في السنوات الأخيرة من نظامالشاه كانت أجور العمال قد تحسنّت بشكل .. ملحوظ وكما يلي: .. «بين 1970 ـ 1977 بقيت الزيادة في الأجور على قمة الزيادة في الأسعار والتي كانت 90%. إذ كان أقل أجر يومي والمستقر .. على 80 ريال عام 1973، قد وصل إلى 210 ريال عام 1977، كما أن معدل مداخيل العمال في 21 مصنع رئيسي زادت .. بنسبة 30% خلال عاملي 1975 ـ1976، وآخر 48% خلال عامي 1976 ـ 1977. .. الزيادة في مستوى المعيشة بين العمال الصناعيين المهرة، كانت أكثر اعتباراً عام 1971، فالعمال الصناعيون في طهران .. وصلوا إلى معدّل في الدخل اليومي مقداره 220 ريال، ولكن الكمية لدى عمال مصانعتوليد السيارات وصلت إلى 1000 ريال .. عام 1977.[213] .. دراسات أخرى أجريت بخصوص جماعات وطبقات اجتماعية أخرى تؤكّد صحة اكتشافات هاليديوابراهاميان. .. روبرت گراهام، في مراجعته للوضع الاقتصادي للطبقة العاملة اختتم بأن هذه المجموعةكانت قادرة لأن تستفيد من فرصة .. التنمية الاقتصادية الناتجة عن تضاعف قدرة التداول الأجنبي في إيران البالغة أربعةأضعاف وتصبح أكثر ثراءً من ذي قبل. .. في عام 1976، وفي دراسة حول ظروف القرويين الذين هاجروا إلى المدن أعدها الدكتورفرهاد كاظمي، لم يجد الباحث أي .. انزعاجات اقتصادية أو حالات إحباط ويأس، وإنما سجّل بأن أكثر من 90%من هؤلاء كانوامقتنعين (مقارنة بحياتهم في .. القرية). .. النقطة المهمة الأخرى في مراجعته هي انه، حتى لو كان هناك بعض الاستياء في أوساطهذه الطبقة، فإنّ هذا الاستياء لم يصبح .. (تذمراً خاصاً)أو ملحوظاً وان معارضتهم السياسية لنظام الشاه إنما جاءت بسبب انخفاضمستوى المعرفة السياسية والوعي .. الاجتماعي وليس الاقتصادي.[214] .. وإذا كانت هناك جماعات اجتماعية أخرى شخصت نفس التشخيص فإنها ستنتهي إلى نفسالنتائج، علماً بأن أسعار عام 1970 .. تختلف عما هي عليه الآن وان عدد السكان أقلّ من النصف عما كان عليه اليوم، وإنالنظام كان يدخله 20 مليار دولار أمريكي .. فقط من الواردات الأجنبية. كل الذي نحتاجه هو المرور بلمحة سريعة على العددالمتزايد للعوائل التي تستخدم غسالات .. الملابس، والتلفزيونات الملونّة، والثلاجاتو المجمدات والسيارات الخاصة. حصلت زيادةمدهشة في السفر والواردات (سواء .. كانت سلعاً استهلاكية أو بضائع ضخمة). كما زاد عدد التلاميذ إلى الضعف داخل البلدوخارجه، فيما تمّ استخدام الآلاف من .. العمال الأجانب المهرة في إيران (من الفلبين وأفغانستان والهند وباكستان وكورياواليابان وأوربا وأمريكا) وهناك جداول تكشف .. هذا التوفيق أو النجاح. .. إنتاج الكهرباء ارتفع من 7000 مليون كيلو وات عام 1970 إلى 19000 مليون عام 1976. وخلال نفس الفترة زادت عدد .. أجهزة الراديو في البلد من 3 مليون إلى 8 مليون، وعدد أجهزة التلفزيونات من000ر200إلى 2 مليون، ارتفع عدد تلاميذ .. المدارس والكليات المسجّلين من 6ر3 مليون عام 1970 إلى 1ر7 مليون عام 1976.[215] .. إنّ هذه الزيادات لا تعني بأن النظام كان قادراً على إحراز نقله اقتصادية نوعية. إنارتفاع مستوى معيشة الناس والتحسنّ .. الاقتصادي النسبي في السبعينات يعود مباشرة إلى واردات النفط.هذا الدخل، وخاصة فيالسنوات العشرة الأخيرة من نظام .. الشاه، قد نما بنسبة لا تُصدّق من 437 مليون دولار أمريكي أو أقل من نصف مليار عام 1963 إلى 20 مليار دولار عام .. 1978، ومساوياً لقفزة فريدة في 15 سنة. بصرف النظر عما إذا كان هذا الدخل قد تمّصرفه بشكل سليم، فهذه مسألة أخرى .. تخضع للمناقشة. علي أية حال، إنّ النظام أوجد دخلاً وعملاً، رغم زيفه، وحدّ أدنى منالرفاهية للناس. .. 4 ـ نظرية الدين كسبب للثورة: .. المجموعة الرابعة التي تعطي تحليلاً خاصاً حول سبب الثورة الإسلامية، يمكن تلخيصهاتحت نظرية (الدين هو سبب الثورة). .. بالتخلّي عن نظرية المؤامرة، فإنّ الإطارين التحليليين الآخرين المقدّمين لم يكونااهتمّا بموضوع الدين ودوره في الثورة. ومع .. ذلك وكما لاحظنا في نظرية التحديث، فإنّ دور الدين في الثورة كان قد شُخّص بشكل غيرمباشر، واضعاً الطبقة الدينية كأهم .. مجموعة اجتماعية عارضت برامج الشاه التحديثية. .. بصرف النظر عن تلك الملاحظة، إن نظرية التحديث لم تنقّب أكثر من ذلك في الدين. أماالنظرية الاقتصادية حول الثورة فإنها .. أكثر لا مبالاة تجاه الدين. ومع ذلك، إذا أخذنا بنظر الاعتبار هذه الحقيقة وسلّمناأنّ الاقتصاد والقوى الإنتاجية والاقتصادية هي .. الأساس في التحولات السياسية والاجتماعية، فإنّ هذه الرؤية لا تعطي بالتأكيداهتماماً معتبراً لدور الدين. .. على عكس هاتين النظريتين، هناك الرؤية الدينية التي تصوّر الدين السبب في الثورة. وتزعم هذه الرؤية أن الدور المحوري .. والمطلق للثورة هو سياسة الشاه المناهضة للإسلام التي آذت مشاعر المسلمينواستفزّتهم لمواجهة النظام. طبقاً إلى ذلك، أنّ .. سبب هذا الاستياء والمعارضة وأخيراً الثورة ضد النظام كلّه هو لانّ «الشاه داسالإسلام» وان الناس أرادوا إسقاطه لإنقاذ .. الإسلام ومن أجل إقامة حكومة إسلامية. آية اللّه‏ حميد زنجاني والدكتور منوچهرمحمدي يعتبران السياسة المناهضة للإسلام هي .. العامل المهم والحاسم في سقوط الشاه. .. إنّ الدين سبب الثورة نظرية لها قاسم مشترك وأساس مع النظريات الأخرى. إن الجميعيؤمنون بأن الثورة الإسلامية نتجت عن .. تحوّل معين حصل في فترة زمنية محددة. ويستطيع المرء أن يتصوّرها نتيجة لمحاولةتحديث إيران بسرعة زائداً تضاعف .. أسعار النفط والتأثير السلمي لذلك على بناء الاقتصاد الإيراني، والثالث هو عواقبالفروق الطبقية الحادة، مضافاً إلى الأثر .. السلبي لأزمة النظام الرأسمالي العالمي على الوضع الاقتصادي الإيراني، والرابع هونتيجة السياسات المناهضة للإسلام. .. في إطار هذه النظريات، وأيّاً كان السبب، أنها بدأت من وقت معيّن فعلاً. أمابالنسبة لأنصار نظرية التحديث، فتُعتبر نقطة البدء .. هي تنفيذ الثورة البيضاء عام 1962. .. وبالنسبة لأتباع النظرية الاقتصادية، فإنّ نقطة البدء هي في النصف الأول منالسبعينات. أما رؤية نظرية الدين فليست استثناءً .. من هذه القاعدة العامة، وهي ترى أنّ السياسة المناهضة للإسلام، عندئذ هي السببوإنها تبدأ من وقت معين وهو أوائل الستينات .. وتحديداً عام 1963. الرؤية المهمة المنتزعة من هذه الملاحظة، هي إنه لو لم يكن ذلكالتحوّل الدبلوماسي الخاص قد حدث، فلا .. مشكلة كانت يمكن أن تحدث للنظام، وكان يمكن أن يستمر في منهجه (ولو بتعثّر). ولذلكفإنّ سبب الاستياء الذي قاد إلى الثورة .. يجب البحث عنه في إطار تلك الظاهرة المحدّدة. .. البُعد المشترك الآخر في النظرية الدينية هذه والذي ينسجم مع النظريات الأخرى هوالزعم أو الافتراض أو التخمين الذي فُهم .. بخصوص أسباب انبثاق الثورة. فنظرية التحديث تزعم بأن نظام الشاه كان جاداً في تحديدالمجتمع الإيراني، ونعني بالجديّة، إن .. سياسة منظمة ومستمرة كانت تحت الإجراء. في النظرية الاقتصادية، يأتي افتراض السببتحت عنوان سوء الوضع الإقتصادي .. للناس. وتحمل النظرية الدينية فكرة مشابهة حول سياسة الحكومة المناهضة للإسلام. مؤيدو هذه النظرية أسسوا أرضية فكرتهم .. على قيام الشاه بقصد ووعي بتنفيذ سياسة لا إسلامية، ويفترض هؤلاء (ان الثورةالإسلامية كانت نتيجة طبيعية لردّ فعل الناس .. تجاه تلك السياسة بالتحديد). .. السؤال الأساس هنا هو في ما إذا كانت مثل هذه السياسة قد وجدت في الواقع أم لمتوجد. تماماً كما ذكرنا بخصوص الزعم .. الجوهري للنظرية الاقتصادية، وهل كان وضع الناس الاقتصادي متدهور فعلاً؟ وهل عارضالناس الشاه في الواقع بسبب .. التحديث الذي أجراه في البلد؟ إن طرح مثل هذه الأسئلة، لا يعني بطبيعة الحال، إنكارالموقف اللاديني لنظام الشاه. وإنما هو .. اعتراض على النظرية الدينية التي تعتبر الدين السبب الوحيد للثورة وهكذا بالنسبةللنظريات السابقة الأخرى. إن هذه النظرية .. تنظر إلى الثورة الإسلامية كظاهرة لها صلة مع المسار العام للتحولات السياسيةوالاجتماعية المقارنة. ومن هنا، فإنها تعتبر وقتاً .. معيناً بدايةً للثورة ولا تضعه في سياق استمرارية الأحداث السياسة المقارنة. .. في الحقيقة، ولا واحدة من النظريات التي تمّ تحليلها تأخذ ماضي إيران في الاعتبارلأن خلفية النظام السياسية لم تكن مشمولة في .. تحليلاتها. فنظرية التحديث ترى الجذور في الاستياء الجماهيري الذي برز ضد الشاه فيمحاولته لتحديث إيران في أوائل .. الستينات. وبهذا فان الأفعال السياسية وردود أفعالها قبل هذه الفترة ليست بذيفائدة. كما إن نظرية مناهضة الإسلام تؤكد بأن .. حدث الثورة أنما هو حصيلة لتلك السياسة، ولذلك، فإنها لا تنظر إلى فترة ما قبلإتمام هذه السياسة. .. من وجه نظر مؤيدي هذه النظرية، إن السبب يجب أن يُشخّص وفق هذه السياسة، وفي هذهالنظرية كما في الأخريات، لا يوجد .. جواب لأسئلة محتملة مثل: ماذا كان يجري في إيران سابقاً؟ ما هي نوع التحولاتالسياسية والاجتماعية التي تجري خلف .. الكواليس؟ كيف كان وضع النظام؟ ما هي النظرية الشعبية تجاهه؟ كم كانت نسبة مقبوليتهوكم هي نسبة المشاركة الجماهيرية .. فيه؟ كم كان الشاه محبوباً؟ هذا النمط من التساؤلات كان غائباً.وسبب ذلك أنّ ظاهرةالثورة الإسلامية في إيران. حُسبت أنها .. متصلة مع تاريخ إيران المعاصر وليس في استمراريته. .. إذا كنا نعترض أنّ واقع المعركة ضد الشاه كان الاستياء الشعبي من النظام (بصرفالنظر عن السبب، فيصبح السؤال المهم متى .. بدأ هذا؟ هل يظهر في فترة معينة من الزمن كما في النظريات السابقة، أم انه موجودعلى طول الخط؟ هل عدم القناعة بالنظام .. بدأت في بداية التحديث أم بداية البرنامج المناهض للإسلام أم بداية اشتداد الصعوباتالاقتصادية؟ هل حدث ذلك فعلاً قبل تنفيذ .. هذه السياسات؟ وحتى إذا كنا نزعم، في الواقع، بان هذه السياسات طُبقَت من قبلالنظام، فإنّ جواب السؤال يعتبر اختبار مهم .. لقياس صحة هذه النظريات. فإذا اكتشفنا أنّ الاستياء كان قبل تنفيذ هذه السياسات،فسيكون منطقياً حينئذ، أنّ «حقيقة» الأسباب، .. أو الأسباب«الحقيقية» للتصعيد يجب أن تحقّق من جديد. .. لمحة سريعة نحو تاريخ ملكية محمد رضا شاه وخاصة من 1950 فصاعداً (أي عقد واحد قبلوضع التحديث موضع التنفيذ، أو .. السياسة المضادة للإسلام) تشير إلى أنّ المظالم الجدّية والمعارضة كانت موجودةفعلاً ضد النظام. أنّ انتفاضة 21 حزيران يوليو .. 1952 كانت دلالة واضحة على معارضة الشاه. بعد سنة وخلال انقلاب أغسطس 1953 كان علىالشاه أن يهرب من القطر ولم .. يتمكن من العودة إلاّ بالاعتماد على القوات المسلحة ومؤامرة أمريكا وبريطانياللاحتفاظ بحكمه. سبع سنوات بعد الانقلاب، ورغم .. قمع المعارضة من قبل النظام بقسوة، عام 1960، ولكنْ وحالما منحت بعض الحرية، حاولعشرات الآلاف من معارضي .. السلطة الاستفادة من ذلك التحوّل البسيط وتنظموا لقتالها. .. في اضطراب 6 يونيو 1963 كان النظام قادراً على مواصلة قمعه العسكري على امتدادالبلد. جميع هذه التحوّلات كانت تحدث .. في فترة لم يكن فيها أثراً للتحديث أو التحرك ضد الإسلام، أو معالم أزمة أقتصادية. وبكلمات أخرى، أن أي وقت كان الناس.. يجدون فيه فرصة لإظهار عدم قناعتهم بنظام الشاه. كانوا لا يترددون إطلاقاً في تنفيذهذا الرفض أو التعبير عنه. .. أن المعارضة التي شاهدناها خلال عامي 1977 ـ 1978 كانت حلقة في سلسلة من معارضاتسابقة بعد عام 1977، وبعد .. التحولات التي قادت إلى جو سياسي أكثر انفتاحاً في إيران، بادر الناس إلى انتهازالفرصة للتعبير عن مظالمهم الواقعية ضد .. النظام. .. إنّ المفتاح الحقيقي لفهم أسباب الثورة الإسلامية يتطلب في الحقيقة استيعاب كامللقاعدة عدم اقتناع الناس أو أستيائهم. وان .. جذور هذا الاستياء يمكن العثور عليها في الطبيعة السياسية لذلك النظام. .. جذور الثورة: .. استبداد ودكتاتورية: .. رغم الاختلافات المثبتة في التحليلات السابقة، ولكنها جميعاً لها نقطة ارتكاز عامةمشتركة، ولا يمكن اعتبار واحدة فقط من .. النظريات الخاصة قادرة على تحليل أسباب الثورة الإسلامية وخاصة في إطار التحولاتالسياسية والاجتماعية للمجتمع .. المعاصر. إنّ نظرية واحدة لا تستطيع أن تضع سقوط النظام في إطاره التاريخي أو تعرضأية قناعة بدون تتبع جذور الثورة .. في قلب التاريخ المعاصر. .. الذي يميّز هذه النظريات الواحدة عن الأخرى هو تحليلاتها المتباينة لطبيعة وأسبابظهور التعقيدات في السنوات الأخيرة من .. عمر النظام. فبعضها برّزت السرعة الزائدة عن الحدّ للشاه في محاولته تحديث المجتمع،وبعضها ركّز على الارتفاع الكبير .. لأسعار النفط عام 1973. مجموعة ترى أنها نتيجة لهجرة القرويين إلى المدن، فيماتؤكّد أخرى على أنها تعود إلى ابتعاد الشاه .. عن الدين وتطبيق سياسته المناهضة للإسلام، وما يتبع ذلك من نشر الفساد والرذيلة. وفي النتيجة إنهم يعتقدون بأن التعقيدات .. الناجمة عن ارتفاع كلفة السكن والفقر والتضخم وغيرها كلها أسباب لاستياء الناسوتذمرهم وبالتالي غضبهم وانتفاضتهم ضد .. النظام. .. في الحقيقة، أنّ هذه النظريات تصوّر الثورة على أنها تحوّل ناشئ في مجمل مسارالتحوّل الاجتماعي والسياسي في إيران،دون .. الالتفات إلى الحاجة لتجسير الصراع بين عامي 1977 ـ 1978 والتاريخ المعاصر للمجتمعالإيراني. وفي رأيهم، وبصرف .. النظر عما كان يحدث في إيران، فإنّ أسباب لثورة يمكن تتبّعها في تحولات السنواتالعشرة الأخيرة وعلى الأغلب التحولات .. الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمر النظام. .. إن وجهة النظر التي ننوي عرضها هنا هي عكس هذا التصوّر. ففي رأينا، إنه بدون الفهمالكامل لكافة الأجواء الاجتماعية .. والسياسية والدينية المعاصرة في إيران، فإنّ المرء لا يستطيع أن يفهم أسباب انبثاقالثورة الإسلامية ولن يكون بالتالي قادراً .. حتى على تصور أبسط المسائل المتعلقة بأسباب التذمر من نظام الشاه بشكل واقعي. إنالفرد لا يستطيع أن يرسم خطّاً بين إيران .. 1977 وإيران 1971، أو بين إيران 1971، وإيران 1966، وينتهي إلى أنّ الأمور في إيران 1971 أو 1966 كانت منتظمة .. قليلاً أو كثيراً، ولكنها فجأة وفي عام 1976 أو 1977 وحتى 1963، وبسبب تبنّي الشاهلهذه السياسة أو تلك، أو ارتكابه هذا .. الخطأ أو ذاك، أو إن الاقتصاد أصبح هكذا وان التضخم صار كذلك كانت النتيجة أنّالنظام قد تهشم فجأةً. .. في رأينا، أنّ ما حدث عام 1977 كانت له جذوره في عام 1966 و 1961 بل أنّ لهاامتداداتها في قلب التاريخ المعاصر .. لإيران. .. إننا لا نستطيع أن نرسم خطاً بين إيران 1966 وإيران 1971 أو ننشى‏ء خطاً حدودياًنكون من خلاله قادرين على تحليل إيران .. عام 1971 دون الحاجة لمعرفة الظروف المحلية لخمسة أو عشرة سنوات سبقت ذلك، وماذاكان يحدث في تلك الحقبة الزمنية. .. فما نراه في عام 1971، انما هو نتيجة لإيران 1961وحتى 1941 أو قبل ذلك. .. إن وصف إيران1971 عبر الشواخص غير الملونة والمزعجة مع آثار وبقايا 1961 و 1951مهمة شاقة ومتعبة ومعقدة فعلاً. .. بالطبع إن كشف ما حدث في إيران عام 1977 ـ 1978 وكيف أنّ له جذوره على امتداد 37سنة من حكم محمد رضا شاه (إذا لم .. نقل أنها تذهب إلى أبعد من ذلك) أكثر صعوبة. إنّ استيعاب هذه المسألة أكثر أهمية منقولنا أن جذور الثورة تمتد من كون الشاه .. أوجد التجديد بسرعة أكثر من اللازم، أو أن أسعار النفط تضاعفت، أو إنه أدار ظهرهللإسلام، أو أنّ الامبريالية واجهت أزمة أو .. غيّرت وجهها، أو إن مواجهة البرجوازية الوطنية مع كومبرادور البرجوازية الدوليةأخذت أبعاداً أوسع، أو إن مشاكل مثل .. التضخّم، والبطالة والفقر جعلت العمال غاضبين ومتمردين، وبعد ذلك ثاروا. .. إن خطاً لا يمكن أن يُرسم بين التحولات في إيران عام 1977 والتحولات في البناءالسياسي والاجتماعي لإيران عام 1951 ـ .. كما لا يمكن أن نضع حداً بين نضال عالم 1977 ـ 1978 وما أنجزته المعارضة ضد النظامقبل هذه الفترة. المعارضة ضد .. النظام وُجدت عام 1977، ولكنها كانت موجودة أيضاً عام 1967، بل حتى قبل عشر سنواتمن هذه الفترة أي عام 1957. إنّ .. معارضة النظام لم تبدأ من فترة محددّة أو من سنة معينة كأن تكون عام 1963 أو 1966مثلاً. انها ليست كأن يقال بأن شيئاً لم .. يحدث حتى سنة 1977، وفجأة وفي هذه السنة، أثّرت السياسات السابقة وكانت النتيجة: .. أن التضخّم يخرج عن اليد، النفقات تناطح السماء، الامبريالية تواجه أزمة، الفساد،الرذيلة، الشيطان، الكفر كلها تستعر، الناس .. يتدفقون إلى الشوارع، العمال يستمرون في إضراباتهم، وطلاب الجامعات يعلنوناحتجاجات. .. إنّ الهدوء الذي بدا مخيّماً على إيران قبل عام 1977 لم يكن واحة خضراء. إنه كانناراً تحت الرماد.كل الذي نحتاجه هو أن .. ننظر نظرة دقيقة إلى عدد السجناء السياسيين. فخلال العشرة سنوات الأخيرة للنظام،ارتفع عدد السجناء السياسيين قليلاً عن مائة .. سجين عام 1967 إلى حوالي 5000 عام 1977. بجب أنّ لا نشك أنه ليس فقط عام 1977،وإنما في كل فترة من فترات نظام .. الشاه، وخاصة عام1953 لو كانت الظروف الصحيحة متوفّرة لكانت أغلبية أبناء المجتمعتُصوّت ضد النظام. انقلاب 28 مرداد .. (19 أغسطس 1953) الذي أجبر فيه الشاه على بناء سيادته بوسائل الانقلاب والقوةالعسكرية، هو المثال الأكثر بروزاً لحاجة .. النظام إلى الدعم الجماهيري. فبعد الانقلاب لم يسمح النظام بأية معارضة. ولقد ظهربشكل واضح أنّ الاضطراب السياسي .. لسنوات ما بعد سقوط رضا شاه واحتجاجات الشوارع، وغليان الناس والإضرابات والتغييراتالوزارية والتي كانت بعض .. الأحيان والحالات لا تستمر أكثر من عدة أسابيع، وصلت إلى نهاية، فكان السلاموالاستقرار من حظ إيران في تلك الفترة. .. ومع ذلك، وبعد سبع سنوات، عندما خففت السلطة ضغوطها، انفجرت فجأة أمواج من المعارضةفي البازار، والجامعات .. والمدارس والاتحادات. وفي أقل من عدة أسابيع، وبدعوة من المعارضة، تجمّع ما يقاربالـ 000ر80 منسكان طهران في ميدان .. جلالية (الآن پارك لالة). وفي 1963 كان بإمكان النظام أن يفرض هيمنته باللجوء إلىاستخدام واسع لقواته المسلحة. وقبل ذلك .. في عام 1959 أجبرت الجماهير حكومة الشاه على الاستقالة ومن خلال احتجاجات شعبيةواسعة. .. المعارضة التي شهدناها عام 1977، لم تكن منفصلة من هذه السلسلة أيضاً، إذْ لم تحدثأية حادثة معينة أو استثنائية في هذه .. السنة. فلا الرأسمالية العالمية واجهت أزمة، ولا التحولات الامبريالية أعدّت أورتّبت خطة جديدة، ولا التناقضات الداخلية للنظام .. المتعلقة بالبرجوازية الكومبرادورية وصلت حد الانفجار لتوضيح الموقف. .. وكذلك، لم تقصم النفقات العالية، أو البطالة أو الفقر أو التضخم أو... ظهور العمال،ولا مشاريع الشاه التغريبية أو عجلة .. إصلاحاته التحديثية، ولا سياسات النظام المناهضة للأديان وجدت أبعاداً أوسع فيتعريف الواقع الإيراني. .. فالذي حصل في هذا العام، كما سنصف في الصفحات التالية، هو مجرد سماح النظام للناسبالتنفس، ولو نسبياً، تماماً كما إن هذه .. الفرصة نفسها كانت انفقعت في عامي 1960 ـ 1961 و 1963 ـ 1967. .. وهنا يجب أن نعتقد بأحد أمرين، إما بأن نظام الشاه كان مستأنساً بالدعم الضروريلمثل هذه التقليعات المعارضة الملحوظة في .. تلك الفترة والتي تعود إلى الصعوبات الاقتصادية التي واجهتها السلطة لاعتمادها علىالامبريالية العالمية، أو أنْ نقبل الحقيقة .. القائلة بأن نظام الشاه لم يكن بالأصل مدعوماً من قبل الشعب وكان يحكم فقطبالاعتماد على قواته المسلحة. ولذلك وبمجرد أن .. سنحت الفرصة، فإنّ النار التي تحت الرماد وجدت مخرجاً لتشتعل ومن ثم لاحظنا حرائقعديدة من الاستياء والتذّمر في تلك .. الفترات. إذا كنا نعتقد بأن مساراً مستمراً كان دائماً موجوداً (بصرف النظر عن ظروفالبلد الاقتصادية)، فإننا هنا أيضاً سوف .. نواجه سؤالاً: ما هو السبب في هذا الاستياء وفقدان النظام لجماهيريته؟ إنّ جواب هذاالسؤال هو، في الحقيقة، جوابنا عن سبب .. حصول الثورة. .. قبل أن نبدأ جوابنا أو ردّنا على هذا السؤال، علينا أن نورد السؤالين أو النقدييناللذين تواجههما نظرية استمرارية النضال. .. الأول والذي ربما يتعلّق بالبُعد التاريخي وهو، هل يوجد دائماً سبب أو عدة أسبابمحدّدة كانت سبّببت الاستياء من النظام؟ .. وبكلمات أخرى، كيف يمكن أن يُزعم بأن التنافر مع النظام كان موجوداً أم لا خلال 37عاماً من الحكم الملكي، وهل انقشعت .. غيوم هذا العنصر. .. السؤال الثاني الذي يُثار من وجهة النظر النفسية هو: هل أن الطبقة أو الطبقاتالاجتماعية التي كانت تعتبر غير مقتنعة بالنظام .. وتعارضه هي نفسها دائماً؟ أي هل كانت هناك طبقة أو طبقات دائماً معارضة للنظام؟وإذا افترضنا أن طلاب الجامعات والعمال .. والعناصر الدينية في الأربعينات، السنين الأولى للملكية، كانوا ضده لأي سبب منالأسباب، فهل إن هذه الجماعات هي نفسها .. التي عارضته في الخمسينات والستينات والسبعينات؟ ثم هل يمكن القول أن الظروفالاجتماعية للجماعات المعارضة للنظام .. كانت مستقرة على ما هي عليه طيلة الـ 37 عاماً، وبقيت مواقفهم مستمرة كما هي؟ هلكان دافع هذه الطبقات في معركتهم وعدم .. قناعتهم في السبعينات نفس دوافعها قبل تلك الفترة أو بعدها؟ هل كان المجتمعالإيراني منعزلاً ومفصولاً، منغلقاً وبسيطاً بحيث .. لم تحصل فيه أية تحولات أو تغييرات طيلة الفترة المذكورة؟ وهل أنّ الطبقة أوالطبقات المعارضة للحكومة بقيت دائماً هي هي .. على نفس الظروف والأوضاع؟ مراجعة موجزة لمسار الكفاح ضد نظام الشاه، تكشف لنا أولاًعن استمرارية النضال، وثانياً: .. تمكننا من الإجابة عن الاعتراضين المذكورين لدرجة ما. في السنين الأولى من حكمالشاه، كان حزب تودة يعتبر المعارض .. الأول والرئيس للنظام، بالإضافة إلى هذه الجماعة، تشكّل تيار آخر من ملاّك الأراضي،رؤساء العشائر، الليبراليونو العناصر .. الدستورية (بعضهم يرجع إلى عوائل مالكي الأراضي ويُصنّف على بقايا الحركةالدستورية) وأخيراً بعض المثقفين والتكنوقراط .. العائدين من أوربا، جميعهم كانوا يُعتبرون من المعارضين للمؤسسة الحاكمة. .. الذي كان يملكه أتباع هذا التجمّع المتباين عموماً، هو أنهم في الحقيقة أثناء فترةرضا شاه، إما كانوا كُفّروا أو هربوا من البلد أو .. حُشروا في زاوية خاصة من العزلة والانزواء. كان اهتمامهم الرئيس ألاّ يكون هناك رضاشاه أخر في البلد. منذ نهاية .. الأربعينات، وبداية الخمسينات وتزامنا مع معركة تأميم النفط، أصبح الوطنيون هم مركزمعارضة النظام. بنهاية الخمسينات، .. كانت العناصر الأكثر تديناً في الجبهة الوطنية، وتحت راية حركة الحرية في إيران، هيالتي تحمل علم المعارضة. .. الوطنيون والدكتور مصدّق يحاولون تأسيسه، وبين ما كان يريد الإمام إظهاره إلىالوجود. وبالتأكيد أن هدف شريعتي في معركته .. ضد السلطة كان يختلف عن هدف فدائيين. الاختلافات بين الحركات كانت بيّنة تماماً. إنهدفنا هو كيف نبيّن بأن نظام الشاه كان .. دائماً هو هدف الاحتجاجات، وان رغبة المعارضة في إدامة الكفاح ضده كانت دائماًموجودة خلال 37 سنة من مملكته. .. ولكن خلال تلك السنين، هل كانت المعارضة متماسكة نفسياً؟ وهل كان المجتمع ثابتاًوغير متحوّل؟ بالطبع، كلا، فعدم القناعة .. بالنظام واستمرارية الكفاح ينبغي ألاّ يُساء فهمهما كما هي حالة المجتمع الثابت فيزمن الشاه. إنّ المجتمع كان يتغير بشكل .. واضح. وفي الحقيقة إن هذا التحوّل يكشف عن نفسه بين طبقات المجتمع والجماعاتالمقاتلة ضد النظام، أو المناوئة له. .. كل الذي نحتاجه هو أن ننظر نظرة سريعة أخرى إلى قائمة الحركات المعارضة للشاه فيأوقات مختلفة من حياة النظام. وإذا كان .. المعارضون في الأربعينات والخمسينات يتشكّلون بنيوياً من تودة والوطنيين، فإنّ هذاالبناء تغيّر في الستينات والسبعينات. العدد .. الإجمالي لسجناء تودة، وحركة الحرية والجبهة الوطنية السياسيين لم يكن وصل المائة،بينما في بداية الستينات، فإننا أساساً لا .. نجد سجناء سياسيين غير أتباع تودة والوطنيين. في وسط السبعينات انخفضت نسبة هؤلاءالسجناء السياسيين إلى أقل من 2 .. بالمائة. .. في الأربعينات والخمسينات، إذا كانت المعارضة من غير تودة تتشكّل مبدأياً من رجالالأعمال، والاتحاديين والرجال الدينيين .. الوطنيين، والموظفين التابعين للوطنيين، والعناصر الإصلاحية والدستورية الذينغالباً ما يعودون إلى الطبقة الثرية، ففي .. الستينات والسبعينات وبخصوص ما نسميه التصنيف العمودي أو الأفقي في علم الاجتماع،فإننا سنلاحظ تغيّرات معتبرة .. وملحوظة في طيف المعارضة. عمودياً، يتجه الثقل المركزي الاجتماعي للسجناء السياسيينعموماً نحو الطبقة الوسطى ويتسّع .. طيف المعارضة أفقياً تدريجياً ليحتوي مستويات عديدة أمثال طلاب الجامعات، ورجالالدين، والنساء، والعمال والمثقفين .. الجامعيين، والمعلمين ورجال الأعمال والتلاميذ وغيرهم. .. لا يوجد نقاش طبعاً حول طبيعة ووجود هذه التحوّلات. وإذا كان ثمة نقاش، فالنقاشالوحيد هو انه على الرغم من الاختلافات .. التي تحملها كل واحدة من هذه المجموعات ضد الأخرى، وعلى الرغم من انتماءاتهاالطبقية والاجتماعية المتباينة، ووجهات .. نظرها نحو العالم وإيديولوجيتها، فأنها جميعاً تحمل قاسماً مشتركاً ببعدٍ جوهريواحد. ما هو هذا البعد المشترك؟ ما هو السبب .. الذي أبقاه نفسه طيلة الـ 37 سنة من حكم الشاه وجعل المتعلمين والمثقفين فيالسبعينات مثلاً يحملون نفس الكراهية التي حملها .. سابقوهم في الأربعينات لهذا النظام؟ ما الذي جعل رجال أعمال السبعينات بنفس الدرجةمن اللاقناعة مع النظام وبنفس الدرجة .. التي حملها آباؤهم في الأربعينات؟ ما هو الشيء الذي دفع الطلاب لمعارضة هذا النظامفي الخمسينات مثلما هو دافعهم في .. السبعينات؟ ما هي الأسباب التي جعلت المعارضة والاستياء من النظام هما مركزا الفعلضده من قبل مجتمع السبعينات تماماً .. كما هو انتشارهما وسعتهما قبل ثلاثين سنة؟ في رأينا، إن البعد المشترك أسبق من ذلكويعود إلى طبيعة النظام السياسية السابقة .. وطريقة حكمه.إن هذه الطبيعة، لم تتغير على الرغم من التغييرات الاجتماعية والسياسيةالتي طالبت المجتمع على امتداد حكم .. النظام، وأبقت عناصر معارضته مستمرة وعنيدة تتوارثها الأجيال من جيل إلى جيل. .. الإصلاحات الاجتماعية، والتطورات والتحولات خلال 37 سنة من حكم الشاه ينبغي ألاتمنعنا من تمييز أو تجاهل مواصفات .. الحكومة وأبعادها المختلفة مثل: البناء السياسي، المشاركة الجماهيرية في إدارةالبلد، حرية التجمعات وحرية الإعلام، التسامح .. مع المعارضة، ملاحظة حكم القانون، وتأكيد الحصانة الفردية والإجتماعية من انتهاكهذه الحقوق وغير ذلك. فإذا كانت هذه .. التحوّلات قد حدثت انطلاقاً من وجهات النظر الاقتصادية والاجتماعية فقط، فلا شيءكان يمكن أن ينجز في الميدان السياسي، .. إذنْ. .. ربما يمكن تصوير نظام الشاه كوجود مزدوج أو ثنائي. فهو من جانب مثلاً قطب مهم لبعضبرامج التنمية والخطوات التقدمية .. الاقتصادية: صناعات حديثة، مشاريع متقدمة، بنايات معاصرة، عسكر بمقدرّات متطورة، معأحدث أنواع الأسلحة، مشاركة .. للمرأة في الشؤون الاجتماعية بالمقارنة مع العديد من الأقطار العربية والإسلامية. .. وإذا كنا من مؤيدي نظرية التحديث، فإننا أيضاً نأخذ هذه العوامل كأسباب للتقدمالاقتصادي، وعندها فإن هذه التحولات لن تكون .. أكثر من وجه واحد للعملة. أما الوجه الآخر لها والذي لم يظهر في نزال واضح، فهوالبناء السياسي للمجتمع لأنه لم يُختبر فعلاً .. في أية تحولات اجتماعية أو سياسية. .. وفي الحقيقة وباختصار أنّ إيران الشاه الحديثة لم تختلف كثيراً عن إيران ناصر الدينشاه المتخلّفة قبل مائة عام. ..**

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

# ****دور القيادة الدينية في انتصار الثورة****

# ****الإسلامية****

### ****بقلم****

## ****سيد صادق حقيقت****

**مقدمه:** **تحدُثْ الثورات عند منعطفات الأحداث التاريخية وهي نادراً ما تقع. في الزمن، أماالأحداث الاجتماعية فإنها عموماً لا تتكرر. وبهذا فان من المستحيل التنبؤ بالوقت الدقيق للثورة أو زمن وقوعها أو تحليل العناصرالمؤثرة فيها. هناك العشرات من العواملالاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية المرئية وغير المرئية التي تنغلق فينقطة معيّنة لكي تسمح للثورة بأن تأخذ طريقهابالانبثاق.** **المحلل الاجتماعي، ليس عاجزاً على إحصاء جميع العواملالمؤثرة وحسب، ولكنه أيضاً لايملك مقياساً يقيس به مقدار تأثير كلعامل من هذه العوامل ومستوى تأثيره في مجريات الأحداث.الثورة الإسلامية فيإيران ليست استثناءً بالنسبة لهذه المشاكل التحليلية. هناك عضالمستلزمات المحددة الصعبة ذات العلاقةبهذه الثورة مما يجعل تحليلها أكثر صعوبة ـ فوجود حكم ملكي قوي ومجرّب قبالمشاركةجماهيرية غير مسبوقة في الشؤونالسياسية، وأخيراً دور الدين والأيديولوجية في هذه الحركة كلها من بين هذهالمسائلالمعقدة والشائكة. وكالات المخابراتالعالمية المعروفة، عموماً، وخاصة الأمريكية، لم تكن قادرة على تخمين وقوعالثورةحتى لأشهر قبل انتصارها. وحتى بعدالانتصار واجه محللو الثورة عدداً من التحديات النظرية.إنّ الاختلاف فيدائرة هذه التحليلات يُعتبر دليلاً واضحاً على التباين في قراءةهذا الحدث. واليوم، وحتى بعد مرور عقدين علىانتصار الثورة، يجب أن يقال بكل أسف، انه لا يوجد إلا النزر اليسير منالأعمالوالكتابات النظرية الموثقة العميقة حول الثورةوأسباب انتصارها.عدد من الكتّاب الأجانب كانوا عمّقوا تحليلاتهم ولكنْوفقاًلحاجتهم إلى فهم حقيقي للثورة والقوى التي احتوتها. بين المصادر الفارسية أيضاً، نحن لا نعثر على نصوص متينة وشاملة إلاّنادراً. النظريات المطروحة حول انتصار الثورةالإسلامية في إيران، وتحديداً نظرية المؤامرة، ونظرية التحديث، والنظريةالاقتصادية، والنظرية الدينية، ونظرية الدكتاتورية،رغم أنها مختلفة جداً، ولكنّ كل واحدة منها واجهت تحديات متباينة في قراءةالـ (لماذا وكيف) الثورة. على أي حال إن وجودجميع هذه المشاكل يُشدّد على ضرورة البحث الجادّ الجديد داخل العناصرالمؤثرة فيانتصار الثورة الإسلامية.بعد أكثر من عشرين سنة على انتصار هذه الثورة،هناك أسئلة كثيرة يمكن أن تثار بخصوصلماذا يجب أن تظهر هذه المواضيع إلى السطح مرة أخرى؟**

**ما هي الضرورة في صناعة نظريات حول الثورة الإسلامية؟أليس من الأجدر تعميق الإستراتيجيات الجارية التي تعتمد المصالح الوطنية، ونسيان المواضيع القديمةومحاولة تناسي الثارات التاريخية مع أعداءالثورة؟**

**جدير ذكره في هذا السياق، أنّ نسيان السجالات القديمة والتوجّه إلى الأمام وإلىالمستقبل بطريق عملي، كما يعتقد نيلسونمانديلا حول أفريقيا الجنوبية، مسألة مختلفة بلحاظ التحليل النظري لحدثٍ مهمكانتصار ثورة.**

**إننا في الحقيقة بحاجة إلى مثل هذه التحليلات لسببين مهمين اثنين، الأول، إن أي شعبيجب أن يكون واعياً لماضيه وتاريخه. وهذه فضيلة بحدّ ذاتها.السبب الثاني أنّ العديد من مشاكلنا العملية والنظرية المعاصرة لها جذور فيالتحليلات القديمة، وان أي إهمال أو تشويش علىإيران وتاريخ الثورة، سوف يضعنا في حالة ضياع وسنواجه لحظة عصيبة لا نستطيع خلالهاتحليل أي موقف سياسي علىالإطلاق، وبكلمة أخرى لا نمتلك رؤية سياسية أصلاً. الأسئلة والأمثلة التالية جميعهالها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع طريقة**

**تحليل الثورة:**

**\* ما هي حصة كل من الجماعات الإسلامية والوطنية والماركسية بعد الثورة؟** **\* ما هو مبرر إقصاء الجماعات الماركسية ومثيلاتها وكذلك الجماعات الوطنية؟** **\* كم كان شعبنا متديناً أيام الثورة، أو كم كانت جماهيرنا تبحث عن الدينلمستقبلها؟**

**\* هل لدى جماهيرنا صورة واضحة عن موضوع تدخّل الدين في السياسة ونظرية ولاية الفقيه (المطلقة)؟**

**\* وبذلك، فان البحث عن كيف ولماذا انتصرت الثورة، وطبيعة دور الدين في ها، ليس فقطيحيطنا علماً بتاريخنا السابق، وإنمالذلك علاقة بمواضيع معاصرة ملحّة تشمل شرعية النظام الحالي أيضاً أو مشروعيته.**

**طريقة البحث:**

**إن طرق دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية تختلف كثيراً عن التقنية المستخدمة فيتحقيق العلوم الطبيعية. لأن أحداث الصنفالأول عادةً غير متكررة، كما إن العناصر التي تنطوي عليها ليس من السهولة تمييزهاالواحدة عن الأخرى. فضلاً عن أنموضوع الثورة نفسه يمتلك إشكالاته المحددة الخاصة به أيضاً. فالثورات أحداث تاريخيةنادرة الوقوع، وان احتمال تكرارهاأيضاً لا وجود له. الشخص الواحد في حياته، يمكن أن يشهد ثورة واحدة فقط، وهذه هيالأخرى أيضاً، تأتي في سياقاتها المحدّدة،ولذلك فان التعميم في أسباب ظهور الثورات أو انبثاقها يبدو مستحيلاً ومجازفةً ربماغير أمينة.**

**في موضوع كهذا أنّ طريقة التحليل النصيّة المقارنة (أي البيئية) لها محاسن عديدة. هذه التقنية تُرصف عادةً بالضد من الطرقالتاريخية والوصفية والتحليلية والتأويلية (الهرومينطيقية). وكما يقول بسلي، «التحليل المقارن بوجهه الأول هو جمع المعلوماتالتي تنحلّ فيها علاقة النصّ في المعلومة التي يمكن اختصارها ومقارنتها واحدة معالأخرى بصياغة آلية تعريفية ونظامية لقواعد التصنيف. أما ظروف التحليل المقارن فهي:**

**الهدفية وتعني (تنضيدالبحث وفق قواعد وطرق محددة)، والمنظومة وتعني أن (الدائرةالمشمولة يجب أن تكون منسقّة، وانتقديم النص أو الموضوع يجب أن يعتمد قواعد عملية).ويبقى التعميم ويعني (دراسة علاقة المعلومات النظرية بعضها مع البعض الآخر).[216]إن طريقةالتحليل المقارن نافعة جداً في فهم واستيعاب شعارات الثورة والوثائق ذاتالصلة، ورسائل، وخطابات قائد الثورة. ومع ذلك، وبافتراض القيود المفروضة علينا في هذه المقالة القصيرة، فانه منغيرالممكن التعامل مع جميع محدداتها، مثل بسطالتساؤلات أو إنجاز مسح ميداني، أو تقديم نموذج للبحث.إن نظريتنا في هذاالبحث، رغم أنّ له شكله المحدّد الخاص، إلاّ انه من نوع البحثالمتعدّد الأسباب. وعلى هذه القاعدة، فإنتلاشي شرعية النظام ينبغي أن تأتي قضيةً منفصلة عن السؤال المتعلّق بانتصارالثورةالإسلامية. إن أي نظام يمكن أن يفقد مقوّمات شرعيته قبل أن يسقط. ان العناصر المساهمة في إزالة النظام الملكي يمكن أنتكون لها بعض الملامح المشتركة معالعوامل المؤثرة في انتصار الثورة الإسلامية، ومع ذلك فإنهما موضوعان منفصلان لكلّمنهما عوامله وأسبابه الخاصة المحدّدة. ولذلك فإن العناصر المؤثرة في كلّ واحد منهما يجب أن يقدّم ويُدرس على انفراد فيإطار هذه النظرية.**

**إن العامل الأهم المؤثّر في إنكار شرعية الملكية (وبالنتيجة تأسيس أرضية للثورةالإسلامية) هو التحديث. إنّ التحديث من النوعالبهلوي كانت له ميزته الفريدة الخاصة، أي الحركة السريعة باتجاه ما سمّي «بواباتالحضارة»دون الالتفات إلى الحاجة للتنميةالسياسية وظهور الأزمات الثقافية المصاحبة له. فلو كان مسار التحديث لم يبدأ بهذهالسرعة في الستينات، لكانت التحولاتالاجتماعية والسياسية في إيران، نحتْ منحىً آخر دون شك.**

**طبقاً للنظرية المطروحة في هذا البحث، يُعتبر العنصر الأهمّ في انتصار الثورةالإسلامية هو القيادة الدينية. الشخصية القيادية ( التي تفتقر إلى صفة التدين) كان تأثيرها قليلاً جداً في مسار الثورة الإيرانية. الذي يمكن تقديمه كأهم عنصر مؤثر في انتصارالثورة الإسلامية هو «القيادة الدينية».فالإمام الخميني (رض) مع خصائصه السرّانيةوالسياسية والفقهية والشخصية هو وحدهالذي كان قادراً على أن يبحر بسفينة الثورة ويصل بها إلى شواطئ الانتصار. ولو كانأي شخص آخر قد احتلّ موقعه، فأغلبالاحتمال أنّ هذه الثورة ما كانت لتنتهي إلى الانتصار.**

**ولو قسّمنا العناصر المؤثرة في الثورة إلى ثلاث عوامل، وتحديداً: الأيديولوجيةوالشعب والقيادة[217]، فان العامل الثالث كانالأكثر تأثيراً في الثورة الإيرانية. ورغم ان القيادة الدينية هي الملهمة والبادرةللأيديولوجية، إلاّ إن عامل القيادة يجب تشخيصهبعيداً عن عامل الأيديولوجية. إنّ الإيديولوجية يمكن أن تلعب دورها من خلال قادةدينيين آخرين، فقهاء أو علماء دين. ويمكن أنيكون القادة الدينيون عديدين ومن نفس المستوى، ولديهم مواصفات وخصائص فاتنة وساحرةبالنسبة للجمهور، بينما هي فيإيران أو الثورة الإيرانية كانت وجدت خصائصها جميعها في شخصية الإمام الخمينيالمتميزة والجذّابة.النظرية المارّة الذكر تعدّدية ـ السبب، في كونها أولاً تميّز بين موضوع فقدانالنظام لهيبته ومن ثم قوته وتلك التي هي انتصارللثورة الإسلامية.**

**وثانياً: أنها تنظر للتحديث كسبب للانقلاب على النظام حيث كان ذلك مختبئاً معالتنمية السريعة وغير المنظمة في الاقتصاد مصحوباً مع فقدان التنمية السياسية والثقافية. إنّ الاستدلال على صحة هذه النظريةيتطلب العديد من الصفحات والكثير منالوقت.أما الذي تم تقديمه في هذه المقالة فهو مجرد مقدمة لهذه النظرية، وتقديم الدليلالعملي لإثبات مصداقيتها.**

**وإذا أردنا أن نورد مراجعة شاملة للقضية فيجب أن نعود إلى جميع النصوص ذات الصلة معاستخدام أساليب البحث، كالتحليلالمقارن والدراسات الميدانية، والتي تعتبر مستحيلة في مثل هذه المقالة الموجزة.**

**للبرهنة على النظرية المذكورة وبعد إمعان النظر في المداخل المختلفة لدراسة الثورةالإسلامية، فإننا نستحضر خمسة أفكارأخرى، وبالأسماء: المؤامرة، التحديث، الاقتصاد، الدين ونماذج الدكتاتورية، وإنالأسباب المقدّمة من قبل كتّابها سوف تُناقَش.**

**لدى مراجعة قواعد الآراء المقابلة وكشف نواقصها، تصبح أرضية طرح النظرية الجديدةمؤهّلة ومتينة. في هذا الفصل، سوفنقدّم أطروحتنا، ومن ثم الدليل الحاضر. وبشكل موجز يناسب هذه المقالة وذلك من أجل أن نحيط القراء الكرام علماً بالموضوعأولاً ومن ثم نعبّد الطريق لبحوثمستقبلية أكثر ثراءً ومتنانةً.مداخل متنوعة لدراسة الثورة الإسلامية في إيران:** **وفقاً للتصنيف الأحادي الجانب، أنّ مداخل دراسة الثورة الإسلامية يمكن أن تنقسم إلىخمسة مجاميع وكما يلي:[218]**

### ****1ـ تضخيم أهمية الثقافة في الثورة:****

**مثال على ذلك، يحاول علي دواني في كتابه (حركة رجال الدين الإيرانيين) التأكيد علىإن سقوط الشاه يجب البحث عنه في الإسلام وقدرة رجال الدين على تعبئة الأمة باستخدام الشعارات الإسلامية. حامد الغارفي كتابه (جذور الثورة الإيرانية) يعزو الثورة إلى التشيّع وقيادة الإمام الخميني في قدرته على تمثيل التقليد الدينيوتقديم الإسلام كأيديولوجية. عسّاف حسين في كتابه ( إيران الإسلامية:ثورة وثورة مضادة) يلفت انتباه الباحثين إلى عنصر الأيديولوجية.** **وبالإضافة إلى الكتاب المذكورين الذين لديهم مشاعر إيجابية نحو الثورة الإسلامية،فان بعض المحلّلين من أصحاب الرؤىالنقدية نحو الثورة مثل سعيد أمير أرجمند في كتابه (عمامة التاج) يعطي أهتماماًكبيراً للبناء المرجعي الديني الشيعي، بالإضافةإلى عامل التحديث. طبعاً، وكما سنرى، فان مدخله يعتبر من نوع تعددية ـ الأسباب.**

**حسان الزين في كتابه (الثورة الإيرانية في أبعادها الاجتماعية والأيديولوجية) كانأيضاً رجّح الدين كأهم عنصر في انتصارالثورة الإسلامية، رغم انه يعود إلى عامل القيادة أيضاً ضمن توضيحه للأحداث، ولكنّهغالباً ما يتجاهل دور القوى الاجتماعيةالأخرى وكذلك العوامل السياسية والاقتصادية.**

### ****2 ـ تضخيم دور العوامل الاقتصادية والاجتماعية:****

**روبرت لوني في مقالته (الأصول الاقتصادية في الثورة الإيرانية) يشير بأن النظام لميُعر أي اهتمام للاستراتيجيات التنموية،فالعلاقة بين الأهداف والبرامج والمشاكل الناشئة عن التضخم، والبرامج التنمويةالواسعة والكبيرة كلّها أوجدت أزمة في التوزيعغير العادل للدخل مصحوباً باستياء وعدم ارتياح بين الجماهير. هومايون كاتوزيان فيكتاب (الاقتصاد السياسي في إيران)يرجعإلى الأعوام المحصورة بين 1340 ـ 1357 (1960 ـ 1978) باعتبارها سنيّ (دكتاتوريةالنفط). وفي رأيه، أن الجمع بين هذاالعامل، وذاك الذي يُسميه (التحديث الكاذب) يشكّل جذور الثورة الإيرانية. ثيداسكوكبول في (دولة الدخل والشيعة في الثورةالإيرانية) تُذكّر بالحالة الاقتصادية والأيديولوجية الشيعية مع طقوسها كحبالشهادة، كعناصر مهمة في انبثاق الثورة.**

**وهنا من الضروري أن نذكر نقطتين:**

**الأولى: إن التأكيد على العناصر الاقتصادية يجبألاّ ينتهي إلى إهمال العوامل الأخرى، والثانية: يجب الإلتفات إلى أن بعض وجهات النظر تعطي وزناً أكثر إلى جذور الثورة (مثل نظرية كاتوزيان) فيما يتعامل البعض الآخر مع أسباب الثورة (مثلسكوكبول).**

### ****3 ـ تضخيم العوامل النفسية:****

**مروين زونيسس في (السقوط الإمبراطوري) يحاول أن يبرهن انه إذا كان الشاه ضعيفاًنفسياً فان الثورة كان لا يمكن منعها. إنّالنقطة الرئيسية في التحليل الاجتماعي ـ النفسي تتشكل حول انحناء J كمحور، وكذلكالفجوة بين الآمال المتوقعة ومستوىإشباع الحاجات في السنوات التي سبقت الثورة.** **هذا النوع من التحليلات لا يشرح بشكل سليم التوقعات الفردية والجماعية. فضلاً عنتجاهل العوامل الأخرى.الحرمان النسبيلبعض الجماعات المنضوية في مسار الثورة التي قادها رجال الدين لم يكن موضحّاً هو الآخر في هذه التحليلات.**

### ****4-مدخل سياسي تجاه الثورة:****

**إبراها ميان هو الناطق باسم التحليل الوظيفي، على نمط هنتنغتون. ففي اعتقاده، أنّالثورة الإسلامية حصلت لأن الشاه بدأ التحديث في مستوى اجتماعي ـ اقتصادي محدد، وبذلك فانه وسّع الطبقة الوسطى الجديدةوكذلك القوة العاملة الصناعية. مدخل سياسي آخر يعتمد على آراء چارلس تيللي.**

**ميثاق پارسا في (الأصل الاجتماعي في الثورة الإيرانية) يرجع إلى تعبئة البازارومصالحهم المشتركة التي التقت مع الجماعاتالاجتماعية الأخرى وزعامة آية اللّه‏ الخميني.التحليل الوظيفي أو العملي، يتعامل، بدرجة ما، مع مرتكزات الثورة، ومع ذلك، انه غيرقادر على تقديم منظومة معرفية دقيقةلتحليل الأسباب والعوامل التي قادت إلى الثورة.**

### ****5 ـ مدخل الأسباب المتعدّدة:****

**عدد من محللي الثورة الإسلامية يؤكّدون على تطابق أو تلاقي العوامل المختلفة. ميشيلفيشر الذي يسلّط الضوء على العناصر الثقافية في مقالته (من الجدل الديني إلى الثورة)يعود إلى أن أسباب الثورةالاجتماعية والاقتصادية تشكّل كماً ونوعاً، تقليداً للمعارضة الدينية.نيكي كدي عادت هي الأخرى إلى إصلاحات الشاه المستعجلة وإلىالأيديولوجية الشيعية.**

**فريد هاليداي في (الثورة الإيرانية: تنمية غير مستوية وجماهير دينية) يعرّف خمسةعناصر رئيسية للثورة في إيران: تنميةسريعة وغير متناسقة للرأسمالية في إيران، ضعف سياسي في النظام الملكي، تحالف قوىالمعارضة، دور الإسلام في تعبئةالقوى والأجواء العالمية المتغيّرة وغير المتوقعّة.**

**فريدة فارهي في «فقدان هيبة الدولة والأزمة الثورية للمدينة: تحليل مقارن بين إيرانونيكاراغوا» يحاول أن يذهب أبعد بإضافة عاملين آخرين لنظرية سكوكبول:**

**توازن متباين للقوى الطبقية نظراً للتنمية غير المستوية للرأسمالية، وفهمٍ أكبرللأيديولوجية. مدخل جون فوران يبدو مشابهاًلمدخل فارهي.سعيد أمير أرجمند يجمع بين المسار السياسي (الذي هشّم هيبة هيمنةالبناء الملكي) والعنصر الثيولوجي (ومثالهالأيديولوجية الشيعية الثورية)[219].**

**مدخل تعدّد الأسباب، ورغم انه يؤكّد على مختلف العناصر ويحاول ألا يُضخّم سبباًمفرداً بعينه، إلاّ إنه يقع ضحية التعميمات الزائدة عن الحد.لا نرى نحن هنا بحاجة إلى القول بأن عناصر متعددة يمكن أن تشتمل عليها الثورة. ومعذلك، فإن النقطة الرئيسية هي «أيالعناصر وإلى أي درجة يمكن أن يكون له التأثير الأكبر في مرحلة من مراحل الثورة (مرحلة تداعي شرعية النظام السابق أممرحلة انتصار الثورة)؟ منطقياً، في مدخل السبب التعددي، يمكن أن نعمل خطأ أو نشتبهبين السبب والأثر والدلالة، ولكن تبقىالعلاقة المشتركة بين عنصرين فاعلة، وهكذا بين العوامل الجذرية الأساسية والعواملالمساعدة للثورة. إننا لا ننوي التحديق في الثورة الإيرانية من خلال أي مدخل محدّد أو خاص عن تلكالتي قُدمت لحد الآن، السؤال المهم.**

**ونظرية البحث الحالية تبحث عن تعريف أكثر العوامل أهميةً في انتصارها، والمقدّم علىغيره من أجل العثور على الطبيعة الحقيقية لهذه الحركة الرائدة.ان مدخل السبب التعددي هو أيضاً نوع من التحليل. الاّإن الفرد يجب أن يكون منتبهاً ألاّ يقع فيالغموض. يجب الكشف بالضبط عن أي العوامل وفي أية واجهة أو على أي صعيد وإلى أي درجةاشترك هذا العنصر أو ذاكفي الثورة. انه فقط وفي هذا السياق يمكن القول أنّ الطبيعة الحقيقية للثورةالإسلامية يمكن أن تُفهم بعض الشيء، وان الأسبابوالعوامل المشاركة في انتصارها يمكن تعريفها.**

## ****نظريات حول انتصار الثورة الإسلامية:****

**قبل أن ندخل في أي توضيح لأطروحتنا ومحاولة البرهنة عليها، نقدم، كأفكار مقابلةالنظريات الأخرى حول انتصار الثورة.**

**الخطوط العريضة، ونقاط الضعف والتحدّيات المواجهة لهذه النظريات سوف يقود إلىالتقويم والاستدلال على أطروحة بحثنا. على العموم، وطبقاً لتصنيف واحد، توجد هناك خمسة رؤى حول انتصار الثورةالإسلامية.[220]**

## ****1 ـ نظرية المؤامرة:****

**المؤمنون بهذه النظرية يَتهّمون مبدأياً انكلترا والولايات المتحدة وأحياناًالاتحاد السوفياتي باعتبارهم ضالعين في هذه الحدث. البعض يعتقد بأن الشاه، بعد انقلاب 28 مرداد 1332 (أغسطس 1953)، أصبح أكثر قرباًللولايات المتحدة، وبذلك أرادتانكلترا أن تنتقم منها.**

**جماعة أخرى تؤكد بأن الغرب بدأ يشعر أن أسواقه في خطر وبذلك أنقلب على الشاه أوقلبه لكي لا تظهر (يابان أخرى) أو تجدطريقها إلى الوجود.**

**إذا كانت هناك ثمة شكوك حول خلل أو ضعف أو عدم صحة هذه النظرية، فالآن، وقد مرّعقدان على ذلك التاريخ، فإن أهميةهذه الفكرة أو ضحالتها قد تمّت البرهنة عليها. وفي الأساس، فان (عقول المؤامرة) وعقليات بعض الناس البسطاء، تحاول أنتعفي نفسها من عقدة التحليلات باختلاق نظرية المؤامرة هذه.**

**إنّ نظرية المؤامرة (أو وهم المؤامرة)له جذور عميقة ومتوغلة في الثقافة الإيرانية. وإن حقيقة كون الأعداء يتآمرون ضد أيةدولة، حرفياً، حقيقة مقبولة. ومع ذلك، فان روّاد هذه النظرية أو المبشّرين بهايضعون كلّ شيء في إطار المؤامرة. وبهذا فإنالمشكلة الحقيقية تتنحّى جانباً في هذا المدخل العام، بدلاً منبذل الجهد المطلوبلتحليل أعمق. تاريخياً، ان التنافس البريطانيالروسي في إيران، وهشاشة ملوك القاجار أعطى الأرضية للاعتقاد بأن جواب أية مشكلة أوحلّها في إيران انما هو بيد القوىالأجنبية. إنّ نفاقية وازوداجية المواطنين والأجانب، الأصدقاء والأعداء وما إلىذلك، كانت الأكثر تأثيراً في تشكيل صورة هذاالوهم في عقول الإيرانيين.[221]**

**على أي حال، إن نظرية المؤامرة، بخصوص الثورة الإسلامية طُرحت بشكلضعيف ومخففجداً، وان الزمن وحده كفيل بزيادة ضعفها.**

## ****2 ـ نظرية التحديث:****

**وفقاً لهذه النظرية، إن برامج التنمية الاقتصادية للشاه في الستينات 1960، وبافتراضتوفيقها وسرعتها، وكذلك فقدان التعاونوالتنسيق مع التنمية الاجتماعية والثقافية، عمّقت التناقضات والصراعات في المجتمعالشبه الصناعي في إيران. إن هذهالمفارقات الاجتماعية هي التي أحاطت التحوّل السياسي للنظام بالخطر.**

**فينقد هذه النظرية (وللاستدلال على النظرية الدكتاتورية) يقول زيبا كلام:«.. وفي الواقع، أنّ المسألة ليست كذلك. إنّ المعارضة للنظام كانت موجودةبالكاملحتى قبل أن يبدأ الشاه برامجه التحديثية.**

**مشكلة أخرى مع نظرية التحديث هي في الحقيقة أنها تحجّم معارضة الشاه والنظاملمعادلة المسار الديني في المجتمع. المشكلةالرئيسية مع نظرية التحديث انها تتجاهل العنصر السياسي للمعارضة»[222].**

**النقد الأول ليس متيناً ما دامت انتفاضة 15 خرداد متأثرة على الأغلب بالتحديثباعتبار أنّ المسار التحديثي هو الذي هيّأ الأرضية للإمام الخميني لأنْ يقف ضد النظام.وكما نعلم، أن جدل الإمام مع الشاه كان على محاور مهمة كمجالس البلديات والمحافظات. الحركات المعارضة الأخرى، كحركةتأميم النفط، رغم أنها مهمة جداً في سياق معارضة سياسات النظام، وان لها اختلافاتجذرية مع الثورة الإسلامية إلاّ أن زعماءهالم يحاولوا تغيير النظام وتأسيس جمهورية إسلامية في إيران، ولم يكونوا قادرين علىتعبئة جميع الناس لما يحقق أهدافهم.إن نظرية التحديث، في الحقيقة، لا تستطيع توضيح أسباب انتصار الثورة، ولكنها تستطيعتعريف أو تحديد أرضية بدايتها. وفيالحقيقة لو كانت أحداث الستينات لم تقع، وما يُسمى (الإصلاحات الإمبراطورية) لمتحصل، فان أرضية المواجهة عند الإمامورجال الدين ضد الشاه، ولحدّ إسقاط الحكم، ما كانت لتكون بالشكل الذي حصلت فيه. كماأنّ فرصة تعبئة جميع الناس ما كانيمكن أن تتوفر.**

## ****3 ـ النظرية الاقتصادية:****

**هذه النظرية كانت أكثر انتشاراً بين الكتّاب الإيرانيين المتغرّبين أو الماركسيينوأنصاف الماركسيين.وفي هذا السياق يقول زيباكلام:«أن أرضية نظرية المجموعة الأولى ترتكز على زيادة واردات النفط وتضاعُف هذه الزيادةإلى أربعة أضعاف عام 1973. إنالتضخّم الناشئ عن العجز الاقتصادي، أجبرَ النظام أن يضع في الحسبان سياسة مضادةلمواجهته.[223]**

**وكما يوضح زيبا كلام، في المقام الأول، إنّ وضع الناس الاقتصادي إبّان سنّي ما قبلالثروة، أصبح أفضل نسبياً، وليس أسوأ.**

**صحيح، أنّ الركود كان عتّم على اقتصاد البلد عامي 1976 ـ 1977، ولكن هذا الركود لميكن ملحوظاً جداً بلحاظ حالة الرفاهالنسبي التي كان يتمتع بها الناس. وثانياً، إذا كنا نقبل بأن هذا السؤال كان له أيمقدار من التأثير على تذّمر الناس وعدم قناعتهمبالنظام، يجب أن يُلحظ أيضاً في ما إذا كانت العناصر الأخرى، ذات تأثير، أو إنتأثيرها قد أُخذ بنظر الاعتبار أم لا. ماذا كانفعلا دور رجال الدين وقائد الثورة في تعبئة الناس؟ إلى أية درجة كان استشهاد نجلالإمام والمقالة المهينة لرشيدي مطلق مؤثرةفي استفزاز الناس في قم وتبريز؟ ألم يكن ملحوظاً، وفق التحليل المقارن، بأن شعاراتالناس والرسائل المرسلة من قبل زعماءالثورة كانت تتمحور حول المشاكل الاقتصادية؟**

## ****4 ـ النظرية الدينية:****

**الثورة الإيرانية، بلا شك، كان لها إطار ديني وإن تأثير الأيديولوجية ‏أدهش لعديدمن المفكرين الغربيين وأجبرهم على تبنّي أو تصوّر رأي ثانٍ ضمن أفكارهم.**

**وكما يرى عميد زنجاني، فان سياسة الشاه المناهضة للإسلام، وحب الشعب للإسلام كانالسبب الأهم في الثورة الإسلامية.**

**[224]إنّ استبداد الشاه وأدواته في إصلاحات الأرض في أوائل الستينات انتجت آثارها فيسياسته المناهضة للإسلام. يعتقد محمدي أيضاً أن الشعب، والقيادة والأيديولوجية هي العوامل الرئيسية في انتصار الثورة، ومعذلك، فإنه يعطي الأولوية الأكبر لعنصرالدين.[225]**

**على العموم، يمكن القول أنّ النظرية الدينية هي الأكثر واقعية من كل النظرياتالسابقة والأكثر انسجاماً مع واقعيات المجتمعالإيراني. حميد عنايت، هو الآخر، في مقالته (الدين كأيديولوجية سياسية)[226] يشيرإلى آثار الدين والأيديولوجية الشيعية فيالثورة.مع ذلك، فان هناك غموضاً غير قليل حول هذه النظرية يسمح بعرض النظرية الجديدة.**

**أولاً: أن الشعب الإيراني كان أكثر تديناً بكثير في الخمسينات والستينات منه فيالسبعينات. بكلمات أخرى، أن التنمية ومسار الإصلاح، الاقتراب أكثر من الغرب وثقافته، استيرادالبضائع والسلع من الغرب، تواجد أعدادمتزايدة من القوى الأجنبية تحت غطاء خبراء عسكريين وما أشبه ذلك، بثْ برامجتلفزيونية وسينمائية مصبوغة بالثقافة الغربيةوقيمها. كل ذلك يشير، أنّ مجتمعنا، وفيما هو يتجه نحو السبعينات، بدأ يفقد ثقافتهوتقاليده، وقيمه الدينية النبيلة.إنّ الثورة الإسلامية في إيران حدثت في حقبة زمنية كانت المشاعر الدينية للشعبخلالها تتناقص وبدأت تُستبدل بشكل متزايدبتقاليد غربية، مع حصول فراغ ثقافي وأزمة هوية.هذه الدعوى يمكن الاستدلال عليهابسهولة بدراسة ميدانية واستخدام طريقة التحليل المقارن. عدد الأفلام المبتذلة والفاسدة في دور السينما ومحطات التلفزيون،أماكن اللهو والفساد، السفر إلى الخارج،درجة محدودة من الميل نحو المناسبات الدينية والطقوس مثل محافل العزاء والصلوات والصيام وأمثالها. الفترة المحصورة بين 1960 وإلى 1979 يمكن أن تقيّم وتقاس بشكل تقريبي.وثانياً: إن أطروحة عميد زنجاني في نظريته، وكما يراها زيبا كلام هي إن النظام لميكن عرضةً للانتقاد زمن وقوع الثورة، فيمايبدو الموقف هو العكس تماماً.**

**ثالثاً: إنّ هذه النظرية هي مثل الأخريات، لا تعرض الثورة الإسلامية في سياقالتحولات السياسية والاجتماعية والدينية المعاصرة[227]، وعموماً، ليس هناك منهجية محددّة لترسيخ هذه النظرية يمكن أن يُوجّهالباحث أو يقوده من بداية النقاش حتىنهايته.**

**وأخيراً: فإنّ هذه النظرية لا ترى أي تمييز بين المرحلتين، مرحلة ضمور شرعيةالملكية، ومرحلة انتصار الثورة في الوقتالذي نرى ضرورياً جداً الفصل بين العامل الأكثر أهمية في كلّ من هاتين المرحلتين.**

## ****5 ـ نظرية الدكتاتورية:****

**بعد أن يبيّن زيبا كلام ضعف النظريات الأربع المذكورة يحاول أن يضع الاستبدادوالدكتاتورية كعنصر ضروري في أسباب انتصار الثورة الإسلامية.** **إنّ الأرضية الدينية، في كل من إيران والعالم، إنما تترسخ كلما عاشت الأغلبيةالساحقة من الشعب دواعي القهر وعانت الحرمانمن الحقوق السياسية والاجتماعية من قبل الحكومات الشمولية المستبدة. إنّ إيرانالمعاصرة زمن محمد رضا شاه لم تكن تختلفكثيراً عن إيران المتخلّفة زمن ناصر الدين شاه قبل مائة عام.[228]**

**ورغم أن زيبا كلام يوجّه الاتهام إلى النظريات الأخرى في كونها تفتقد الدليلالمرجِّج، وإنها مجرّد طرح تنظيري، إلاّ أن نظريته البديلة هي الأخرى تواجه نفس الضعف أو نفس الاتهام.إذْ لا مكان خلال عرضهوحواره يستطيع المرء العثور فيه علىأي دليل يقوده إلى فكرة أن السبب الرئيسي في وقوع الثورة هو الدكتاتورية وليس الدينأو الاقتصاد أو التحديث أو المؤامرة.الذي يجادل لإثبات نظرية الدكتاتورية، لا يكشف أكثر من تأثير أوّلي للاستبداد فيمسار الثورة الإيرانية، ولكنه غير قادر بالمرّةعلى أن يبرهن إن الاستبداد هو العامل الأهم فيها. كيف، وبأي دليل يمكن القول بأنميول الناس نحو الحريّة كانت أكثر منتطلّعها نحو الدين؟ ألا يمكن القول أن عشق الناس للحرية هو ببساطة بسبب تأثرهمبالأفكار الدينية؟ كيف حصل أن دكتاتوريةأنور هوكسها في البانيا تستمر 40 عاماً رغم استبداده الموحش الفظّ؟ بخصوص الدعوىالقائلة بأن القاسم المشترك لثوراتالجزائر ونيكاراغوا وإيران والدول الأخرى المحيطة بها في العالم هو الجو الخانقالذي يسبق الثورة، فأولاً: كيف يمكنالاستدلال على أن هذا العامل هو الأهم؟ثانياً: ما هو السبب الذي يجعل هذا العامل هو الأعمق تأثيراً من العوامل الأخرى؟ ثمكيف يمكن أن نعرف بأن تأثير هذا العامل لم يكن له نفس المستوى من تأثير العناصر الأخرى التي عجّلت بوقوع الثورة؟ والأكثر أهمية من الجميع: هل الدكتاتورية هي التي هيأت الأرضية لضمور شرعية النظام، أم إنها العامل الأكثر أهمية في انتصارالثورة الإسلامية في إيران؟!**

**في الحقيقة، يمكن القول، بأن الكاتب كان تعامل مع موضوع الاستبداد بطريقة التعريففقط، وترك الاستدلال جانباً على الأسباب لفرصة أخرى أو زمن آخر. على أية حال، وبمقدار ما يخّص الثورة يبدو انه خارجمجال البحث القول بأن عامل الدكتاتورية سيغطي عامل الدين، وبالأساس، فان موضوع التحرير أو الحرية أصبحت لهالأولوية الثانية بالنسبة للناس الذين كانوا يعيشون حياتهم اليومية في أجواء الراحة التي توفرها حكومة الإقطاع.**

**صحيح أنّ الناس في السعودية والكويت مثلاً يتطلعون إلى الحرية والانعتاق منالاستبداد، إلاّ أنّ حياة الراحة والدعة التي يوفرها الدولار جعلتهم يتجهون إلى الاهتمام بأولويات أخرى.**

**إنّ أثر الاستبداد في الثورة الإيرانية يكمن في الغالب في إعداد الأرضية لانتقاضةالشعب. وليس في تهيئة أسباب انتصار الثورة. في نهاية هذه المقالة سوف نكتشف لماذا يجب أن يُميَّز هذين الوجهين عنبعضهما الآخر. بالإضافة إلى ذلك، إن نفس النقد الذي يقدمه الكاتب للأفكار الأخرى، صحيح مع نظريته هو أيضاً. فإذا كانالاستبداد هو العنصر الأكثر أهمية للثورة، إذن** **لماذا لم تحدث مثل هذه الثورة في الفترة الواقعة بين 1964 ـ 1978؟ أيهما كانت أقوى: دكتاتورية رضا خان، أم دكتاتورية محمد رضا شاه؟**

**وأخيراً ما هي العناصر الأخرى وإلى أي درجة، كانت مؤثرة في مسار تحوّل إيران باتجاهالثورة لتحدث عام 1978؟**

**وعلى طول البرهنة على صحة نظرية هذا البحث، فإننا سوف نرى بأن الاستبداد والحاجةإلى التنمية السياسية كانا عاملين مهمين في تعبيد طريق الثورة، ولكنهما لم يكونا العنصران الأهم في انتصارها.** **الافتراض في البحث:**

**واحدة من المشاكل مع أغلب النظريات المذكورة سابقاً هي أن هذه النظريات لا ترسمخطاً واضحاً بين العناصر التي أدّت إلى إضعاف النظام الملكي، وتلك التي سبّبت انتصار الثورة الإسلامية. فالعوامل المؤديةإلى تدمير النظام القديم ليست بالضرورة هي نفسها التي أدت إلى انتصار الحرية. إن مسألة تهديم نظام الشاه يجب أن تُميّز عنمسألة تصاعد الثورة وانتصارها. نظرية التحديث توضح أرضية انبثاق الثورة، وقادرة بشكل جيد على تصوير الأزمة التي حصلتبسنين قبل الحدث. ومع ذلك لا يمكن القول بأن التحديث هو السبب أو العامل الأهم في انتصار الثورة الإسلامية. إن باحثة مثل كدي، ربما حاولت كذلك التركيز مبدأياً على جذور الثورة أكثر من توضيحالعناصر المشتركة في انتصارها.**

**أمير أرجمند في مقاله «الثورة الإسلامية الإيرانية في رؤية مقارنة» يظهر تمييزاً واضحاًبين هاتين المجموعتين من العناصر: الأول المسار السياسي للتحول السريع لهيمنة البناء الاجتماعي في إيران (الذي انتهى فيسقوط هيبة النظام الحاكم، والثاني، الغاية من الثورة أو الأيديولوجية الثورية الشيعية التي شكّلت مصير الثورة الإسلامية»[229].**

**إن النقاط التي تستحق الاعتبار في هذا البحث هي التمييز بين مقدمات أسباب الثورةوغاياتها، وذلك بمنح اعتبار مهم للعوامل المتباينة التي ساهمت في صناعة الانتصار. ومع ذلك، وبلحاظ العناصر المختلفة، فانهأولاً لم يبذل جهداً جاداً في فرز العوامل المتباينة وفقاً لأهميتها، وثانياً لا توجد هناك خطوط لتعيين الحدود بين دورالأيديولوجية (أي الدين) والمؤدلجين (أي القيادة الدينية).**

**في الدين، تحتاج النظرية إلى منهج معمّق في ما إذا كان الدين سبباً رئيسياً وحاسماًفي انتصار الثورة الإسلامية، أم إنه لعب فقط الدور الأكثر أهمية في تفتيت شرعية النظام، وبهذا عبّد الطريق أمام انتصار الثورة،أم أن العنصر الديني كان مهماً على الصعيدين؟ في ما يلي من هذه المقالة سوف نبيّن أنه بلحاظ تهشيم هيبة النظام الملكي،فان التحديث كان أكثر تأثيراً من الدين.**

**كذلك. عند توضيح انتصار الثورة، فان ارتباكاً يُثار بلحاظ آثار الدين والقيادة (الدينية).**

**بالتأكيد لم يكن هناك أي دور لأي عامل خارجي خارج إطار المساعدة، والمؤامرة حقيقيةفي الثورة الإيرانية. الاقتصاد والدوافع الاقتصادية، كانت نسبتها الأقّل في الأولويات.إذا كان ثمة أي اعتبار لدور التحديثوالمسائل الاقتصادية، فإنه لا يعدو إعداد الأرضية للثورة، ولكن ليس لانتصارها. التحليلات النفسية لا يمكنها أن تتنافس معالتحليلات الاجتماعية إلاّ قليلاً. العوامل الأخرى، مثل مرض الشاه بالسرطان، أزمته الشخصية، ضغط كارتر على مسألة حقوق الإنسان،نشر المقالة المهينة في صحيفة اطلاعات (7 يناير 1978)، قطع الإنفاق (في وزارة آموزگار)، الفساد في المؤسسةالحاكمة، شيوع الرذيلة في الأمة وزيادة في مستوى تعلّم القراءة والكتابة، كلها لعبت دوراً بسيطاً يمكن النظر إليها كعواملمساعدة للثورة. أما بلحاظ التحدّيات التي واجهت الأفكار المذكورة فعلى الباحث أن يجيب على عدة تساؤلات منها:**

**1 ـ إذا كنا نقبل وبالإضافة إلى إزاحتنا الثقافة الغربية من الخمسينات والستينات،مع كافة أدواتها المتباينة التي اخترقت حياة الناس، فإن سؤالاً هنا سيُثار وهو: كيف، وفي مثل هذه الأجواء، التي ضعف فيها الدينبشكل واضح، يمكن أن تظهر ثورة دينية؟**

**2 ـ كيف تستطيع أمة لا تمتلك أي نوع من أنواع السلاح ولا تعتمد على أية قوى أجنبيةأن تربح معركة ضد نظام مدجّج بالأسلحة ومدعوم بجيش قوي قوامه 000ر700 عسكري ومدعوم من قبل جميع القوى الأجنبيةويقف على (بوابات الحضارة العظيمة)؟** **كارتر سمّى إيران (جزيرة الاستقرار). إذن، كيف ومن أين بدأت الأزمة في (جزيرةالاستقرار) هذه التي أدهشت كلّ شخص في الدولة الامبريالية، وأسكتت المحللين والسياسيين الغربيين؟**

**3 ـ لماذا لم تبذل الولايات المتحدة الأمريكية، رغم كل مصالحها في إيران، أي جهدلحماية الشاه؟ ولماذا بقيت صامته تماماً أمام انتصار الثورة الإسلامية؟ ألم يكن الأمريكان يدركون ان مصالحهم في إيران ستكون فيخطر كبير في حال انتصار الثورة؟**

**4 ـ إنّ الثورة وُلدت في حقبة زمنية كان الناس فيها يتمتعون نسبياً بمستوى معيشيجيد ووضْعٍ اقتصادي مريح، ترى، ماذا جرى لكي يجعل الناس ينهضون ويقدمون شهداء، متجاهلين مصالحهم الماديّة ومقدمين مثل تلكالتضحيات الكبيرة المعروفة؟**

**5 ـ كيف ينبغي أن يُفهم مشوار السنين المحصورة بين 1963 ـ 1978؟ بكلمات أخرى، كيفكان وضع الثورة في تلك الفترة؟**

### ****الفكرة المطروحة****

**هنا تأتي في موازاة التساؤلات الخمسة المذكورة وكما يلي:**

**«إن التحديث في الستينات، وكذلك التحولات الاقتصادية السريعة المختلفة وغيرالمتوازنة وبدون الالتفات إلى الحاجات** **السياسية والثقافية للتنمية، كلها ظهرت كعامل ممهّد أو مفتاح مهم ساهم في إسقاطالنظام الملكي وقاد إلى انبثاق الثورة الإسلامية في إيران. وفي هذا الإطار فإن العنصر الرئيسي في انتصار الثورة هو القيادة الدينية (للإمام الخمني)».**

### ****أ ـ انهيار شرعية النظام الملكي:****

**إنّ الاستدلال على الافتراضات السابقة سوف يتكامل في قسمين:** **الأول: توضيح أسباب ضمور شرعية النظام الملكي وظهور عوامل الثورة.** **والثاني: تعريف أو تحديد أكثر العناصر أهميةً في انتصارها. بعض الأدلة يمكن ذكرهابخصوص التحديث باعتباره سبباً من أسباب فقدان النظام لهيبته ووقوع الثورة الإسلامية:**

**1 ـ يجب علينا أولاً إلقاء نظرة سريعة على بداية حركة الإمام السياسية. في بدايةالستينات، حاولت الولايات المتحدة الشروع في بعض الإصلاحات من خلال رئيس الوزراء علي أميني. الشاه، من جانبه لم يكن راغباً فيظهور منافس له، فتبنّى مسؤوليته في الإعلان عن برنامجه الإصلاحي الخاص به. وقد تزامن هذا الحدث مع رحيل آية اللّه‏البروجردي عام 1961.وبلحاظ المرجعية غير المسؤولة لآية اللّه‏ البروجردي واقتصارها على الفقه وبصرف النظر عن الزعامةالدينية، فإن الإمام الخميني لم يتخذ أي إجراء ضد ما أطلق عليه برنامج الإصلاح. ولذلك ففي بداية الستينات وما تبعها وبعدرحيل آية اللّه‏ البروجردي لم يكن هناك** **إجماع على الزعامة الدينية أولاً. وثانياً: إنّ الشاه كان توّاً قد شرع فيإصلاحاته.** **مما لا شك فيه أنّ بداية حركة الإمام الخميني تزامنت مع بداية التحديث في إيران. إنّ نظريتنا هي ما بعد حدود هذين الحدَثين.**

**وعلى هذه القاعدة، يجب القول أنّ التحديث يسّر حركة الإمام في الستينات ومهّدَلثورة الإسلام في 1357 (1979).** **في كتاب (تاريخ إيران السياسي المعاصر) نقرأ: «أن الإمام كان يتطلّع إلى وقت مناسبأو فرصة للشروع) في المرحلة الثانية أو الطور الثاني في حركته، وانّ هذه الفرصة توفرّت بعد موت آية اللّه‏ البروجردي،حيث أراد الشاه أن يربط المركز اللاهوتي في قم مع ما سمّاه (الثورة البيضاء)[230].** **وكما يذكر السيد حميد روحاني، فإنّ الإمام في هذه المرحلة لم يستطع الإعلان عنأهدافه السياسية بوضوح، لأنه كان سيُتّهم بأنه سياسي، وبذلك فأنّه قدّم أهدافه على إنها برنامج ديني.**

**«ومع ذلك، كان ضرورياً للفكرة، والدوافع والمحفزات أنّ توجد أولاً من أجل أن تُلفتانتباه الجماهير العامة، أنّ الحركة كان يمكن أن تكون مهمّة مستحيلة بدون موضوع تحريضي أو استنهاضي للجماهير لأنْ تتحرك،ولطبقة رجال الدين أنْ يجدوا موطئ قدم مع الجمهور»[231].**

**كانت الحادثة الأولى المثيرة للنزاع هي اللائحة المقدّمة للبرلمان من قبل وزارة (أسد اللّه‏ علم) حول مجالس البلديات والمحافظات. لقد كانت الصحف قد نشرت تفاصيل اللائحة الجديدة في 16 مهر 1340 (7أكتوبر 1961).**

**2 ـ الآن، نحن نزعم الموقف المعاكس: هل كان بالإمكان تأسيس أو إيجاد أسُس لحركةالإمام عام 1963، أو أسس لعناصر الثورة عام 1979 لو لم تكن للولايات المتحدة وللشاه النيّة في تحديث وإعادة تجديدإيران أو تجديدها؟**

**لا تستطيع الدكتاتورية والطغيان بنفسيهما أن يكونا سببان للثورة. أنّ توفّر الظروفالاقتصادية والثقافية والاجتماعية ضروري كذلك. العديد من المستبدين عاشوا طويلاً وحكموا بطغيان ودكتاتورية إلاّ أنّ أنظمتهملم تتعرض لخطر السقوط. إنّ الوعي الجماهيري والإحساس بالدكتاتورية، أكثر أهمية من شيوعها أو انتشارها.** **الظروف الاقتصادية والاجتماعية يمكن أن تخدم هذا الوعي أو إثارة الإحساس به. انالتحديث هو الذي لعب هذا الدور في انتصار الثورة الإسلامية.**

**إنّ مسار الدكتاتورية ترسّخ بعد انقلاب 28 مرداد 1332 (16 آب 1953)، وكان قد تقوىبمجيء السافاك إلى الوجود. على العموم إنّ المجتمع الإيراني كان قد تنفّس بعض نسائم الحرية في الفترتين اللتين حكمفيهما الديمقراطيون في الولايات المتحدة (كندي عام 1961 وكارتر عام 1977). ولو لم يكن التحديث بشكله المحدد في أوائلالستينات، لكان مسار الأحداث في حركة الإمام الخميني قد اتجهبالتأكيد إلى منحى آخر مختلف.**

**صحيح أنّ مستوى المعيشة العام شهد هبوطاً عام 1977، ولكن هذا وحده لا يمكن أن يكونسبباً لنهضة الناس أو انتفاضتهم.**

**الظروف الاقتصادية كانت لا زالت يمكن تحمّلها، المجتمع الإيراني المتدين التقليدي،في مواجهة العالم المعاصر، استلم العصرانية بصورة مشوهّة وغير كاملة أولاً. وثانياً أنّ هذه العصرانية قد أوجدتللمجتمع أزمة هوية أو انتماء. إنّ الدكتاتورية السياسية لا تسمح بإيجاد توليفة واعية بين التقليد والحداثة.هذا العامل يُعتبرعنصراً مهماً وربما مجرد عنصر في الثورة ولكنه ليس سبباً في انتصارها.**

**إن سرعة التحديث كانت عالية جداً بحيث إن الطبقات التقليدية لم تكن قادرة علىتحمّلها أي مجاراتها أو التسامح معها. بالطبع أنّ التأثيرات التي أقحمت من قبل الدين وعلماء الدين وجماعات الضغط والتحالفاتالمناهضة للحكم وأمثالها، كانت هي الأخرى مؤثرة في هذا المسار. إنّ نظرية التحديث لا تعدو كونها قادرة على التدليل على الأسسأو على تأسيس الإطار التحليلي للباحثين.**

**ووفقاً إلى حقيقة التنمية الاقتصادية (المتعثرة) تدريجياً، فان أزمات حادة كانتوُجدت وظلت كالنار تحت الرماد. وفي الحقيقة إن الشاه قد زاد وبدون وعي عدد أعدائه في قلب نظامه.**

**3 ـ جزء آخر من الدليل على هذا الإفتراض هو أنّ الإمام الخميني لم يُعارض حكم الشاهفي المراحل الأولى من تحركه وراح ينظّم حركته في ثلاث مراحل: نصح الشاه، الوقوف ضد نظامه، وأخيراً الثورة.[232]**

**البعض يعتقد أنّ الإمام كانت لديه النية للإطاحة بالشاه منذ البداية، وان نصيحتهللشاه كانت مجرد أداء تكليف. بكلمات أخرى، إنّهم يقولون أنّ الإمام كانت لديه رسالة، تماماً مثل الأنبياء ليحذر وينذر فرعونونمرود العصر قبل إسقاطهما. ولكن هناك دليل يضعّف هذا الاحتمال. لو كان الشاه، وبسبب خوفه من الدين أو قوة رجال الدين، أو لأيسبب آخر، كان قد نسي قضية التحديث،** **ومثل أبيه وملوك القاجار، قد عقد صلحاً مع المرجعية الدينية والنظام الاكليركي (الديني)، يبدو أنه ليس من المؤكد بأن مسار الحركة والثورة الإسلامية كان سيسير على نفس المسار الذي سار عليه.**

**وحول موضوع لائحة المجالس البلدية ومجالس المحافظات، فإن آية اللّه‏ الإمامالخميني، وآية اللّه‏ شريعتمداري وآية اللّه‏ گلبايگاني كانوا التقوا في بيت آية اللّه‏ الحائري في 16 مهر (8 أكتوبر 1963)، وبعداللقاء أرسل كلّ واحد منهم وعلى انفراد برقية إلى الشاه. السيد حميد روحاني، ومن أجل أن يبرهن بأن الإمام الخميني لم يكنفي الأصل عازماً على إسقاط النظام، يشير** **إلى برقية الإمام للشاه هذه قائلاً:** **«(علَم) (أي أسد اللّه‏ علَم) أرعب الأمة المسلمة في إيران التي أرادت أن تعرض علىجلالته مشاكلها وكذلك على العلماء.. هذا الرجل كان انتهك الدستور بذريعة الظروف الدولية القاهرة، وزعمه إنه من قبلالكومنولث. فمن أجل الأمة الإسلامية ولتوجيه اهتمام جلالته إلى حقيقة واضحة خلاصتها إن الشاه لا ينبغي أن يثق بتلك العناصرالذين بملقهم وتزلّفهم وطاعتهم الكاذبة، يريدون تنفيذ جميع النشاطات اللادينية وغير القانونية التي يرغبون في تنفيذها، وبعدذلك ينسبونها إلى جلالته»[233].**

**وفقاً إلى روحاني، فإن الإمام الخميني، في رسالته حاول تحاشي الاعتراض المباشر علىالشاه نفسه وحاول التأكيد على الدستور.**

**4 ـ دليل آخر على افتراضنا هو تحليل الشعارات المستخدمة في رسائل الإمام الخميني فيمسار حركته وفي المظاهرات التي قادت إلى الثورة. الطريقة الأكثر علميةً لتحقيق هذا الشيء هو التحليل المقارن،والذي مع الأسف وبسبب محدودية هذه المقالة، لا يمكن أن يقدّم هنا تفصيلاً. ومع ذلك إننا نستطيع بشكل تقريبي مقارنة الشعاراتوالرسائل في الفترة المحصورة بين 1961 ـ** **1979. وكما رأينا، في موضوع لائحة مجالس البلديات والمحافظات، فلا الرسائل ولااحتجاجات الزعامات الدينية كانت تستهدف الشاه فعلاً. ونفس الشيء ينطبق أيضاً على شعارات الناس في مظاهراتهم ضد حذفثلاث بنود من اللائحة المذكورة.**

**وكلما اقتربنا أكثر من عام 1977 فإنّ سلوك الحكومة الإسلامي العام، يصبح أكثروضوحاً في الشعارات، إلى أن يأتي تقديم أو طرح موضوع ولاية الفقيه ومن ثم الولاية المطلقة للفقهاء الكبار بعد انتصار الثورة.**

**إذا كان بالإمكان البرهنة على هذا الزعم، بالتحليل المقارن. فيمكن القول**: **أولاً: إنّ عموم أبناء الشعب الإيراني لم يكن لديهم صورة واضحة عن الحكومةالإسلامية وتغيير النظام الحاكم في 1962 ـ 1963.**

**وثانياً: لم تُطرح لهم صورة واضحة عن نظام ولاية الفقيه قبل انتصار الثورة. وثالثاًإن (التحديث)، كمجرى للثورة، كان عبّدالطريق لحركة الجمهور بمرور الأيام. كما ان الأفكار المبكرّة لم تكن تهدف لإلغاءنظام حكم الشاه وإقامة حكومة إسلامية، وإنهذه الفرصة بدأت تتشكل تدريجياً بمرور الزمن ومن سنة 1962 ـ 1979.**

**بسبب هذه الأشياء الغامضة كانت الجماعات المختلفة تتحرك جنباً إلى جنب لحين مرحلةانتصار الثورة. ولكنْ وبعد الانتصار،فإن هذه الجماعات شعرب بأنها إما أن تَخرج أو تُخرج. وبطبيعة الحال، أنّ هذهالظاهرة طبيعية نسبياً، لأن جميع المعارضينعادةً يتوّحدون حتى مرحلة الانتصار ولكن القضية دائماً بعد ذلك فبعد انتصار الثوراتتبدأ السجالات الداخلية بالظهور ويبدأالصراع.**

**5 ـ إنّ هذه الفكرة يمكن توضيحها بسهولة بمشاهدة حالة التعثّر المحصورة بين سنتي 1963 ـ 1979.كما ان هذا السؤال يثاردائماً ليكشف عن كيفية تبرير 16 سنة من هذا التعثر أو التلكؤ، فإذا كان الدين هوالعامل الرئيسي للثورة بلحاظ النظرية الدينية.وإذا كان للثورة جذور في أحداث عام 1962و 1963 إذن كيف يمكن توضيح هذه الفترة منخلو كرسي الحكم؟ وهل كان الدينغائباً من موضع ضعف أو قوة خلال تلك الفترة؟**

**إنّ الإجابة على هذا النوع من الأسئلة من قبل دعاة النظرية الدينية يبدو ضعيفاًللغاية، ولكن هذه المشكلة يمكن حلّها بسهولةبالنظرية الحالية: ان التحديث مهدّ الطريق للثورة الإسلامية الحاجة إلى الانسجامبين النمو الاقتصادي (السريع وغير الكاملوالمختلق) وبين التقدم السياسي والثقافي، وفي فترة زمنية أوجدت أزمة سنتي 1978 ـ 1979.**

**بالطبع، إننا لا ننكر الدور الذي لعبته العوامل الأخرى مثل الدين والإمام الخمينيوقيادة علماء الدين، والحركات السياسية، والأزمات الاقتصادية وما إلى ذلك في بناء أسس الثورة.**

**6 ـ دليل آخر على هذا الافتراض، هو ما مقدار درجة الانسجام بين التحليل السياسي ـالاجتماعي، فالنظريات المطروحة حولالثورة الإسلامية الإيرانية.هبشيرية يعتقد بأن نظرية التحديث يمكن أن تكون مفيدة في تحليل الثورة الإسلامية منمنظور تحليلي طبقي، فيقول:**

**«إنّ إيران ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومع التسليم بالأسباب البنيويةوالاجتماعية كتركيز القدرة وخصائصالاستبداد الشرقي، وضُعف الملكية وإضعاف الطبقات الاجتماعية، ولكنها لم تستطع أنترسو على شاطئ التجديد الديمقراطي. الحكم البهلوي أخذَ المسؤولية على عاتقه إلى النهاية وقام بتأسيس مشروع دولة مطلقة.**

**«التجديد في الحقبة البهلوية كان له نتيجتان أساسيتان هما: إضعاف الطبقاتالرأسمالية السابقة والمؤسسة التقليدية الحاكمةوبعدها إيجاد نظريات لظهور حالة جماهيرية من خلال الإصلاحات الاقتصادية أولاً،وتوسيع الحالة المدنية بالهجرة ثانياً.هاتان الظاهرتان شكّلتا الانعطاف الرئيسي في الثورة الإسلامية. التقليديون،البازاريون والجماعات الدينية، والذين راح كلٌّبطريقته الخاصة، يُسحق بمسار التحديث، ولكنه في الوقت نفسه مُنح فرصة مناسبة لتعبئةالجمهور. على أية حال، يستطيعالمرء أن يختصر الثورة الإسلامية في مثل هذا البُعد»[234].**

**تأسيساً على ذلك، ان كتّاب نظرية التجديد لم يكونوا مخطئين جداً في قراءتهم للنظريةوتصورّهم لها على أنها (صانع لأساسالثورة). نقدُنا المهم لنظرية التجديد هذه، هو أنها لمتكن قادرة على توضيح السبب أوأسباب انتصار الثورة بشكل وافٍ. وبنظرةثانية إلى مسار التحديث كمحرّض لثورة عام 1979، يستطيع المرء أن يجد بعض النقاطالإيجابية، وإذا نحّينا جانباً بعض التحليلات المبالَغ فيها أو المتطرفة لكدي، في كون الثورة انطلقت بسبب هجرةالقرويين إلى المدن، فان الكثير من استنتاجاتهايمكن أن يكون مفيداً في البرهنة على افتراضيات بحثنا.[235]إنها توضّح كذلكأهمية أستخدام منحنى J للوجه التمهيدي للثورة.[236] إنّ المداخلالتي لها رأي حول أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية، يمكن أن تكون مفيدة كذلك بخصوص بيان أسس الثورة. وكما ذُكرآنفاً، فان روبرت لوني، مشيراً إلىاستراتيجيات التنموية المعيبة وإلى المشاكل الناتجة عن التضخّم والوسائلوالغايات،يختتم بأن هذه المشاكل قادت إلى توزيعغير عادل للثروة وإلى تذمّر عام في الوسط الجماهيري. وبوضوح لا لبس فيه أنمناقشته تشرح أصول الثورة ولكنْ ليس أسباب انتصارها.كاتوزيان يثبّت أيضاًأنّ (دكتاتورية النفط) و(التجديد الزائف) يشكّلان جذور الثورةفي إيران، إنّ جدليته صحيحة بلحاظ تعريفبعض أصول الثورة. في الحقيقة، انه بسبب التمييز بين أصول وأسباب انتصارالثورة الذيأثارته سكوكبول رغم مدخلهاالاقتصادي والاجتماعي (للدولة الإقطاعية)، فإنها تُلفت الأنظار إلىالأيديولوجيةالشيعية أيضاً.**

**ابراهاميان راح يؤشّر هو الآخر إلى آثار التحديث على المستويات الاقتصاديةوالاجتماعية[237]. والتي لا تتقاطع بأية وسيلةمع جدليتنا حول الموضوع.ميشيل فيشر يدرس الموضوع بشكل أكثر دقّةً، مؤكّداً إن أسباب الثورة وتوقيت حصولهاكانت اقتصادية وسياسية، بينما شكلهاومكانتها، وبدرجة كبيرة يرجعان إلى تعاليم المقاومة الدينية أو الرفض الديني[238].**

**لقد ميّز جيداً بين العوامل السياسية والاجتماعية من جهة، الرفض الديني من جهةأخرى، ومع ذلك فقد عزا الأول للزمان، والثاني للمكان.**

### ****ب ـ دور القيادة الدينية في الثورة الإسلامية:****

**من جانب ما، إنه من الصعوبة بمكان أن نرسم خطاً واضحاً ومميزاً يفصل بين الدين ودورالقيادة الدينية. فقد نهض الإمام كزعيمديني، بدافع صيانة الدين المقدس، مجسداً التشيّع في زعامته الدينية. من جانب آخر،أو على صعيد آخر، أننا يجب أن نميّز بينهذين العاملين، فكما ذُكر سابقاً، ففي ثورةٍ كالثورة الإسلامية، هنالك ثلاث عوامليمكن أن تلعب دورها: الأيديولوجية والقيادةوالناس، فإذا أخذنا الأيديولوجية كعامل رئيسي، فهذا يعني بأن هذه الأيديولوجية هيضد الظلم بطبيعتها، ومن أوامرها ونواهيهايمكن أن يُفهم إلغاء أو إقصاء النظام القديم وفي هذه الحالة يكون دور الزعامة دوراًثانوياً. وهنا يمكن القول بأن الثورة كانتستنتهي إلى النص حتى لو أخذ بزمام قيادتها شخص آخر ما دام الدين قد أخذ دوره فيتفعيلها وقد فعل.** **ومع ذلك، وإذا أخذنا الزعامة الدينية كعامل**

**رئيسي في الثورة، فهذا يعني حينئذ، انهوبرغم الدور العظيم للدين والأيديولوجية،فان الأداء النموذجي للقائد وخصائصه الروحية هو الذي مكّن الأيديولوجية من تأديةذلك الأداء في الزمان والمكان المحدّدين،وكان له الدور الحاسم فعلاً. وفي هذه الحالة، فان للأيديولوجية قيمتها الخاصة،ولكنها قيمة ثانوية بالمقارنة مع دور القيادةوقيمتها، وما دام منهجنا هو التعدد ـ ألسببي فإننا لا نريد هنا الانتقاص من العناصرالمؤثرة الأخرى وفي ظاهرة فريدة كظاهرةالثورة الإسلامية. إنّ مناقشتنا سوف تتركز على تجلية العامل الأكثر أهمية في انتصارالثورة.وكما ذُكر توّاً، إن التجديد أوجد فراغاً وأزمة ساهمتا في تسريع أحداث الثورةوتحقيق انتصارها عام 1979.**

**إنّ قيادة الإمام الخميني لعبت دوراً مهماً وضرورياً وحشدت كافة الناس وبكافةأصنافهم وطبقاتهم ومصالحهم المتباينة في دائرةالنضال.نثبّت بعض الأدلّة (وليس الأسباب) على النظرية الآنفة الذكر، وكما يلي:**

**1 ـ بمقارنة عاملي الدين والزعامة الدينية، وبتقديم الدليل على الدعوى الثانية،يكفي القول أنه في السنوات التي سبقت الثورة،كانت تجليات الدين قد خسرت خسارة كبيرة، وفي مثل هذا الظرف، لم يكن هناك أي دافع أوقدرة لثورة دينية لأنْ تأخذ دورها أوتفعل فعلها لوحدها، العديد من المراكز والمسارح غير الملتزمة، أعداد متزايدة منأجهزة العرض التلفزيونية، برامج تلفزيونيةومسرحيات هابطة متأثرة بالثقافة الغربية، أعداد كبيرة من الخبراء الأمريكانوالسوّاح الأجانب، هبوط التوجّه منخفض نحوالقيم والطقوس الدينية كالعبادات الخاصة والصلوات وأمثالها، كل ذلك، وبدرجة ما،يمكن قياسه وتثبيته‏بالأرقام والمستندات. فقبل‏الثورة، كان هناك أكثر من 000ر40 خبير أجنبي في إيران، كما أن سفر الإيرانيينإلى الخارج كان مسألة عادية، وكمايقول ريجارد كوتام. فان الدين كان قد ضعف بنسبة كبيرة في إيران في الأعوامالمحصورة‏ بين 1977 ـ 1979.** **وعلى العموم يمكن القول بأن الانتقادات الأربعة للنظرية الدينية ليست خالية منالقيمة وفقاً لافتراضاتنا..**

**2 ـ هناك دليل آخر على هذا الافتراض وهو التحليل المقارن لشعارات الناس ورسائلوبيانات القائد في مجرى الأحداث (أي أحداث الثورة). ففي ذلك الوقت، لم يكن موضوع ولاية الفقيه معروفاً ولم تكن مسألةالولاية المطلقة للفقهاء مرفوعة أو معروفةأصلاً. وحتى مسألة الدولة الإسلامية فكانت غامضة وغير محددة. ويمكن أن نبيّن أيضاًبهذا العرض، أن الأغلبية النسبية منالشعارات كانت حول القيادة الدينية للإمام. وأكثر من ذلك يمكن أن يُضاف بأن الإماموآية اللّه‏ مطهري، وحتى في عام 1990كانا يؤكدان أنّ علماء الدين ليس لديهم النية أن يحكموا. كان مطهري يقول إن ولايةالفقيه تأخذ دور المنظّر الأيديولوجي وليسالحاكم. وفي رأيه، لا أحد في بحر التاريخ كان يتصور أنّ ولاية الفقيه تعنيالحكم.[239]**

**3 ـ بعد حادثة انتفاضة التنباك أثناء حكم ناصر الدين شاه تحوّلت المعارضة ضدالاستعمار إلى معارضة ضد الاستبداد والدكتاتورية. وفي الحقيقة، وجد الإيرانيون الشجاعة الكافية لاتّخاذ مواقف مناهضةضد الحكومة الوطنية أيضاً. انّ المعضلةالرئيسية في الحركة الدستورية وحركة تأميم النفط هي فقدان القيادة الفريدة الكفوءة.**

**وهذه ليست مشكلة مع الثورة الإسلامية. كان الإمام الخميني يمتلك الشخصية الشجاعةالمبرّزة صاحبة الإرادة، وكان سياسياًوفقيهاً ورشيداً، ورجلاً عارفاً بالزمن الذي كان يعيش فيه. أنّ روحية الإمام كانتواضحة لكل إنسان. العديد من الذين يستمعونإليه كانوا يبكون عندما يستمعون إلى خطاباته ومواعظه.**

**إنّ قيادة الثورة كانت على عاتق الإمام بشكل رئيسي وإذا كان لرجال الدين حصة كبيرةفي قيادة الثورة، فإنها كانت على الأغلبلكونهم أتْباع وأنصار لقائد الثورة العظيم. مطهري، في استدلاله بأن التجمعاتالسياسية وغير السياسية الصغيرة لم تلعب دوراًكبيراً في الثورة، يرجع إلى النظريات المختلفة حول أسباب الثورة. إن مطهري وبشكلممتع وصريح، وبدون قصد، جلّي القيادةالدينية في توضيحه للعامل الديني.[240]**

**إن الخصائص الفريدة عند الإمام جعلت الناس يثقون بشخصه أكثر من قناعتهم برسالته. أما هيكلية الدولة الإسلامية فلم تكنواضحة للناس، ومع ذلك ووفقاً للثقة والاعتقاد الكبيرين اللذين شعر بهما الناس بقائدديني شبيه بالنبي، فأنهم تحركوا بذلكالاتجاه. وعندما قال الإمام: «فقط جمهورية إسلامية، لا كلمة أقل ولا كلمة أكثر» فانالناس حينها لم يكن لديهم فهماً كاملاً أواستيعاباً كاملاً لهذه العبارة، ولكن كلمة الإمام لا نقاش فيها بالنسبة لديهم.**

**يقول زيبا كلام:«إن الإمام كان قائداً وطنياً وضد الامبريالية ولم يكن زعيماً للقوى السياسيةالدينية وحسب. انه قائد ضد الدكتاتورية بالنسبةللمثقفين، وقائد جماهيري محبوب للملايين من عموم الإيرانيين رجالاً ونساءً ووفقاًللصورة التي كانت مرسومة في أذهانهم عنالشاه ونظامه»[241].كدي، أيضاً، تقول بأن الإمام الخميني أصبح رمزاً لقائد ثورة ومثالاً للكثيرين منالناس غير المتديّنين[242]. محمدي، الذي يؤكدبأن القيادة والأيديولوجية والناس هي عناصر الثورة، يوضح بشكل غير مقصود أو بدونوعي دور العامل القيادي في محاولةتوضيح دور الأيديولوجية.[243] عميد زنجاني، هو الآخر، في توضيحه لعناصر الثورة،يدخل مباشرة في موضوع القيادة.**

**4 ـ إن الإسلام والتشيع إنما هما نصّان يمكن أن ينطويا على قراءات مختلفة وعديدة. فقد لعبت المرجعيات الشيعية أدواراً مختلفةفي مجرى التاريخ ولم يكن لديها نفس التصورات والقراءات للعلاقة التي يجب أن توجدبين السياسة والدين. فالتشيع الذي رُوّجمن قبل مرجعيات غير سياسية، مثل آية اللّه‏ الخوئي، لا يمكن أن يكون بأي حال منالأحوال جذراً أو أصلاً في ثورة، فضلاً عنموجدٍ لها. قراءات مختلفة للتشيع عُرضة متوازية بعضها مع البعض الآخر، وبالتالي فلايمكن القول على الإطلاق بأنالأيديولوجية لوحدها كانت السبب الرئيسي للثورة.**

**إن قراءة الإمام الخميني للإسلام والتشيّع هي التي منحت الناس الطاقة الثوريةوالقوة. إنه أجاب على السجالات المتعلقة بالمواجهة بين الحضارة الغربية والحداثة، تماماً كما فعل الراحل آية اللّه‏النائيني. وبوضوح، علينا ألا نتوقع أننا نستطيع العثورعلى أية قراءة واضحة لظاهرتي التشيع والإسلام المعاصرتين. ولمواجهة الحداثةوالظاهرة الجديدة، يحتاج الدين، أي دين، إلىقادة ومترجمين (أي قرّاء) له، يُفترض أن يكونوا من القادرين على توظيفالنصّ القديمفي ظروف جديدة. هذه المهمة الصعبةوالتي تبدو مستحيلة، لم تكن في قدرة أي أحد سوى الإمام الخميني.إن إسلامالإمام كان إسلاماً ثورياً ولم يستطع الائتلاف مع القراءات التقليديةوالمحافظة. بالتأكيد إن آثار الدكتور شريعتيوخطاباته يجب ألاّ يجري تجاهلها إطلاقاً.لقد كانت مساهمتها عظيمة جداً فيتعبئة الجماهير وخاصة الشباب. أنّ قراءة كقراءةالإمام، كان لها بُعداً ثورياً ساعد كثيراً فيتعبئة الناس. جدير ذكره أيضاً، إن التشيّع كان دائماً دين الرفض والثورة.**

**قبل قراءة الإمام للدين وعلاقته بالسياسة، كان الإسلام والتشيّع، وحتى مفهوم (ولايةالفقيه) كلّها حاضرة بمعناها العام فيالأذهان. مع ذلك، فان شخصية الإمام هي التي منحت هذا الوجود النصف ميت في جسمالتشيع والفكر السياسي في إيران حياةجديدة وبثّت فيه روحاً جديدة.**

**5 ـ بالإضافة‏ إلى الأسباب الرئيسيةللثورة الإيرانية، توجد هناك عوامل عديدةثانوية ومسرّعة ساهمت في توفير التعبئة الممكنةفي الوسط الجماهيري، وأخيراً في انتصار الثورة. واحد من هذه العوامل هوإدارةالرئيس الأمريكي كارتر وضغطها على ماسُمّي حقوق الإنسان عام 1356 (1977) وعدم مبالاة الولايات المتحدة في إبداءمعارضةعملية تجاه انتصار الثورة. وكلما كانالنظام يتراجع والقوى العالمية لا تُبدي معارضة واضحة تجاه تصاعد رياحالثورة، فانالناس الثوار والذين كان أغلبيتهم منالشباب من مواليد الستينات 1961، أصبحوا أكثر جرأة وجسارة وشجاعة. ومع ذلكفانالثورة الإيرانية، لم يكن لديها، وخلافاًللعديد من ثورات العالم، عدداً مهماً من الثوار القتلى.العامل المساعدالمسرّع الآخر، كان مرض الشاه (بالسرطان). فقد كان الشاه قد أُخبربمرضه منقبل طبيْبين فرنسيْين، الأمرالذي ترك أثراً سلبياً على شخصيته. لقد كان دائماً يُهاجم المعتقداتالمقدسة للناس،ولم يكن قادراً على اتخاذ قرارات سليمة. بالإضافة إلى ذلك، إن عقله كان قدأصيب بعدوى وهم المؤامرة. وبما انه لم يكن قادراًعلى تصوّر أو الاعتقاد بأن الجمهورالخالي من أي سلاح، وبأيدي فارغة يستطيع أن يكتسح جيشه ذي 700000 رجل، فانهأصرّعلى فكرته الموهمة القائلة بأنهذه الحركة الثورية كانت مؤامرة أو مخطط لها من قبل القوى الأجنبية، بمافيهاالولايات المتحدة الأمريكية.الناس، شاهدوا ضعف النظام وخوائه مع التزامالولايات المتحدة جانب الصمت من جانب،ومن جانب آخر، أعجب هؤلاء الناسبإصرار الإمام الخميني وتألّقه وقاطعيته. وكما يقول وليم لانجر «إن انتصارأية ثورةيأتي نتيجة لضعف واندحار القوة الحاكمة،أكثر منه نتيجة قوة وتصميم الثوار».**

**6 ـ من منظور علم الاجتماع السياسي، يُعتبر الموروث أو القوة الموروثة نمطاً منأنماط الحكم السياسي التقليدي حيث تفرضالعائلة الامبريالية (المالكة) حكمها الظالم من خلال منظومة فكرية تصنعها علىمذاقها الخاص. وفي المنظومة الوراثيةالامبريالية (الاستبدادية) هذه، توضع القوة السياسية بشكل كامل بين يدي الحاكمالدكتاتور وتحت قبضته، بحيث لا تسمح بإقامةأي وجود سياسي متين، له امتيازات خاصة في الساحة السياسية للبلد. إن إمبراطوريةإيران كانت من هذا النوع الوراثي. وبخصوص بديل عن هذا النظام، يُقال بأن أحد الطرق أو الوسائل لإيجاد تغييرات فيالنظام الملكي هو الاستفادة من القوة والفظاظة الثورية.وفقا لـ برنتون وفيلا «في مسار تحوّل النظام الوراثي، تأخذ الطبقة الوسطى دائماًجانب المعارضة». ويقول هنتنغتون أيضاً: « إنّ النموذج البديل يفترض وجود معارضين أشدّاء لتغيير ميزان القوة لصالحهم وفرضالغلبة على النظام» ويبدو في هذا المساربوضوح، أنّ القيادة الساحرة التقليدية يمكن أن تكون إحدى هذه البدائل. وعلى اعتبارأنّ أحد ملامحنا الثقافية السياسية هو خلّقالأبطال، فان هذه الخصيصة ينبغي أن تصبح مفهومة وأكثر مقبوليةً.**

### ****استنتاج:****

**في بداية توضيح هذا البحث، أثيرت خمس تساؤلات يبدو أنها تتحدى النظريات القائمةبخصوص الأجوبة المتعلقة بـ (كيفولماذا) الثورة الإسلامية. ورغم أنّ الجواب على هذه الأسئلة يمكن استخلاصه منالإيضاحات المارّة الذكر، فإننا هنا، معمراجعة سريعة تقول:**

**1 ـ كيف حدثت ثورة دينية في حقبة زمنية، كان الدين فيها وعلى جميع الأصعدة ضعيفاً.** **إنّ تأثير القيادة الدينية كان أقوى بكثير من الدين نفسه في مسار انتصار الثورةالإسلامية، وإنْ كان من المستحيل رسْم خط واضح للتمييز بين هذين العنصرين. وبلحاظ ظهور العوامل المسرّعة، مثل سياسة كارتر فيحقوق الإنسان وفقدان الموقفالعملي للولايات المتحدة، وضعف شخصية الشاه، والجو المنفتح نسبياً الذي ساد بعدفترة قمع، كلها ساعدت على إيجاد ظروفساهمت في تكريس الزعامة الدينية للإمام الخميني. الجماهير هي الأخرى، معتمدةً وبلاقصد على القيم الدينية الأصيلة والنبيلة،سارت خلف قائدها وأطاعته، وساعدت فيتفتح أزهار الثورة الإسلامية.**

**2 ـ كيف استطاع الشعب الإيراني الأعزل، الخالي من كل أنواع الأسلحة إلاّ الإيمانباللّه‏ والقبضات الخالية أنْ يقتحم نظاماًمسلّحاً مدعوماً من كافة القوى الأجنبية؟**

**صحيح أنّ أبناء الشعب لم يكونوا يملكون سلاحاً، ولكنهم استُنهضوا بزعامة الإمامالخميني، وراحت قلوبهم تنبض من أجل قيمهمالدينية فيما لم تُبدِ الولايات المتحدة أي فعل علني أو صريح للوقوف في وجه الثورة. الشاه، هو الآخر وبفقدانه لتوازنه النفسي قامبعدة قرارات خاطئة منها تسرّعه في تبديل رؤساء وزرائه الضعفاء، الأمر الذي منحالشعب اندفاعاً مضافاً لمواجهته مسبّباً بذلكللنظام صعوبات أخرى.**

**بالطبع، كانت هناك حوادث أخرى ساعدت في تحويل (جزيرة الاستقرار) إلى مركز للثورةالإسلامية.**

**3 ـ لماذا لم تقم أمريكا، التي شاهدت أنّ مصالحها في إيران والمنطقة أصبحت في خطر،بأي عمل عسكري لإيقاف انتصارالثورة؟**

**لقد كانت الولايات المتحدة تأمل إنها ستكون قادرة على التعاطي مع قادة الثورة،وخاصة بزرگانأو حكومة بزرگان المؤقتة. لحدّما، إن تردّد الولايات المتحدة يرتبط بفقدان الأمريكان لفهم حقيقي لظروف إيران. إنّالتقارير التي كانت تُرسل إلى واشنطن منقبل السفارة الأمريكية في طهران، وحتى آخر الأيام، لم تكن تُعِر أي اهتمام باحتمالحصول ثورة.من ناحية أخرى، وعندماأصبحت الانتفاضة واسعة الانتشار، فإن سياسات الانقلاب العسكري وأمثالها لم تعُد ذاتجدوى.**

**4 ـ كيف ولماذا اختار الناس طريق الثورة والاستشهاد والتضحية على حساب مصالحهمالماديّة؟**

**رغم إنّ الناس (طبعاً ليس دائما) كانوا يعيشون ظروفاً معيشية جيدة نسبياً، إلاّأنهم لم يكونوا مقتنعين بالأوضاع السائدة كما أنالفقر والثراء لم يكونا بنفسيهما سبباً في الثورة، ولكن عدم القناعة بالأوضاعالمعاشية دفعهم أفراداً وجماعات (كجسد واحدمتكامل)على النهوض.كان الاعتقاد الشائع أنّ الشاه وعائلته الخاصة يبدّدون ثروة البلد. وإن الرجل كاندمية بيد أمريكا وكانت لديه النيّة على استغلالواستغفال الأمة، وهكذا.ورغم أنّ نظام الشاه كان يواجه أزمة اقتصادية نسبية عام 1977 مقارنة بالسنواتالسابقة وخاصة سنة 1973 التي ارتفعت فيهاأسعار النفط فجأة إلى أربعة أضعاف، إلا أنّ مما يجب توضيحه، وقبل كل شيء، أن مجردالتضخم والمشاكل الاقتصادية لم تكنهي العوامل الرئيسية المحفزة للثورة. هذا أولاً.**

**وثانياً، ورغم أنّ الناس كانوا يعانون بعض المعاناة الاقتصادية، إلاّ أنّهم مازالوا في وضع اقتصادي ليس سيئاً جداً، أي أنهم لميكونوا يعانون بشكل حاد للحدّ الذي يدفعهم إلى تغيير الوضع عن طريق الثورة. إنّ منغير المنطقي أن نزعم بأن الناس ثارواوضحّوا بدمائهم وحياتهم وتحمّلوا تضحيات جسام عديدة لمجرّد تحقيق مستوى معيشي أفضلأو لمجرّد أن المستقبل الاقتصاديللبلد لم يكن واضحاً لديهم تماماً.**

**وبكلام أكثر دقّة إنّ الناس كانوا يجهلون وضعهم الاقتصادي المستقبلي في تلك الفترة.**

**5 ـ كيف يمكن تفسير أو تبرير الانكسار في الأعوام المحصورة بين 1963 ـ 1977؟ إنها لحقيقة واقعة بأن الثورة الإسلامية في إيران لها جذورها في أحداث 15 خرداد 1342 (6 يونيو 1963)، ولذلك، فمنالضروري بعض الشيء الإجابة على السؤال المتعلق بفترة الهدوء النسبي في الأعوامالمحصورة بين عامي 1963 و 1977.**

**إن تحقيق حالة الانسجام بين التنمية الاقتصادية (الناقصة والظاهرية) والتقدمالثقافي والسياسي كان بحاجة إلى وقت كافٍ منأجل أن يتكامل لتأسيس الأرضية المناسبة للثورة. نعم، إن متطلبات هذه الظاهرة كانتقد توفرت في بحر السنين المذكورة،ولكن الحاجة إلى إزالة الحواجز وإيجاد العوامل المسرّعة لم يبدأ الإحساس بهما بعد. وفي عام 1977 كان كلا المطلبين قد وُجدافي وقت واحد وكانا بحاجة إلى تنسيق العلاقة بين التنمية الاقتصادية والسياسية منجهة، وإزالة العوائق (كالتدخل الأمريكيالمفتوح، أو حضور الجيش القوي الموالي للشاه) من جهة أخرى. إضافة إلى ذلك، أنّالعناصر المسرّعة (مثل حملة حقوقالإنسان لكارتر وسرطان الشاه) كانا عملا كمحفزين للثورة وعجلا بردّ الفعل. وأخيراًيمكن القول إن القيادة الدينية للإمام الخمينيبرزت كأهم عنصر من عناصر انتصار الثورة وإنها وجهت اللطمة الأخيرة أو الضربةالقاضية للجسد نصف الميت للملكيةوبالأخرى للنظام الملكي المشلول.**

**الهوامش**

**-----------------**

**[1] في رسالة شهيرة للإمام الخميني موجهة إلى العلماء في 15 رجب 1409 جاء فيها: «لو استمرت هذه السياسة في الحوزة العلمية لأصبح وضع العلماء كوضع كنائس القرونالوسطى... ففي 15 خرداد عام 1963 لم تكن المواجهة فقط مع رصاص وبنادق الشاه وإنما كانت هناك رصاصات الطعن بالألسنوالازدواجية والنفاق.. وهكذا تلقى الإسلام من ضربات هؤلاء المزيّفين ما لم يتلقّه من أية جماعة أخرى...».**

**[2] منوچهر محمدي طهران: أمير كبير 1989.**

**[3] عباس علي عميد زنجاني طهران: نشر كتابهاي سياسي 1989.**

**[4] مجموعة مقالات، المجلّد 1 مطبوع.**

**[5] Rozaneh Publisher,Spring 1993.**

**[6]**

**[7]**

**[8] Ibid, Sullivan. نفس المصدر السابق**

**[9] محمد رضا بهلوي: جواب للتاريخ ترجمة حسين أبو ترابيان ـ طهران 1371.** **[10] انظر: فريدون هويدا: سقوط الشاه ـ ترجمة مهران ـ طهران ـ إطلاعات 1364. وحسين**

**فردوست: بوادر سقوط حكم الشاه ـ اطلاعات 1367. وعباس غارة باقي: الاعترافات العامة. وبرويز راجي: عرش الطاووس** **اطلاعات 1364.**

**[11] هويدا: مصدر سابق ابتداءً من صفحة 89.**

**[12] محمود طولوي: قصة الثورة ـ طهران 1370.**

**[13] ورغم أن كتاب هيرو هذا لم يقتصر على تحليل الثورة الإسلامية، وان القسم الأكبرمنه قد خُصص لأحداث ما قبل الثورة.**

**إلا أن الفصول الثلاثة الأولى منه والتي تشكّل بمجموعها فصلاً كاملاً، كانت عرضاًشاملاً للثورة وعوامل تفجيرها وطريقة تشكلّها. راجع Dlip Hero في كتاب إيران تحت الآيات (Iran under the Ayatollahs) / (London and New** **).York : Routledge and Kegan Paul , 1987**

**[14] جاك گولدستون: نظريات الثورة: الجيل الثالث ج 32 ـ 1980 ص 425 ـ 453.**

**[15] كرين برنتون: تشريح أربع ثورات ـ ترجمة محسن سالاسي 1363.**

**[16] راجع آراء منوچهر محمدي في تحليل الثورة الإسلامية ـ طهران أمير كبير 1365.**

**[17] م. هادي سماتي: قوة، تذمر، مقاومة ـ أطروحة دكتوراه غير مطبوعة 1993.**

**[18] انظر: على دواني (تحرك المؤسسة الدينية في إيران) المجلد 1 ـ 10 مؤسسة الإمامالرض الثقافية.**

**[19] حامد الگار: جذور الثورة الإيرانية (لندن سنة الطبع 1983 Open Press).**

**[20] غسان حسين: إيران الإسلامية ـ ثورة ومواجهة (London : 1985).**

**[21] نفس المصدر السابق ص 54 ـ 104.**

**[22] سيد أمير أرجمند: العمامة أمام التاج ـ الثورة الإسلامية في إيران ـ نيويوركمطبعة جامعة اكسفورد 1988 ص 189 ـ 191.**

**[23] جون فوران: الثورة الإيرانية 1977 ـ 1979 ـ تحوّل في النظرية الاجتماعية: (Boulder : Westview Press,** **1993 )p. 163**

**[24] روبرت لوني: الأصول الاقتصادية في الثورة الإيرانية ـ طبعة نيويورك 1982.**

**[25] المصدر السابق ـ صفحات مختلفة.**

**[26] انظر فريد فارهي: التحليل المدني ـ الأزمة الثورية بحث دكتوراه غير مطبوع / جامعة** **كلورادو 1986 ص 253 ـ 283.**

**[27] المصدر المذكور: النظرية والمجتمع ج 11 مايو 1982 ص 256 ـ 283.**

**[28] نفس المصدر السابق ص 267.**

**[29] نفس المصدر السابق ص 286.**

**[30] حسين بشيريه: الدولة والثورة في إيران ـ 1962 ـ 1982: (London:Croom Heim, 1984 P.85)**

**[31] فاروق مشيري:الدولة ‏والثورة‏ الاجتماعية في إيران/نيويوركp.102(Peter Lang,1985).**

**[32] نفس المصدر السابق ص 105.**

**[33] أروند ابراهيميان: الأسباب البنيوية للثورة الإيرانية / بحوث حول الشرق الأوسط /** **البحث رقم 81 مايو 1980 ص 21.**

**[34] أنظر: Semati, op cit.**

**[35] أنظر: ميثاق بارسا: الأصول الاجتماعية في الثورة الإيرانية، New Brunswick and London: Rutgers** **University Press 1984.**

**[36] جيرولدگرين: التعبئة المضادة ـ تشكيل ثوري/ ج 16 يناير 1984.**

**[37] مهران كامروان: الثورة في إيران لندن ونيويورك Routledge 1990, p.8.**

**[38] ميشيل فيشر: من الجدل الديني إلى الثورة Combridge ـ مطبعة جامعة هارفارد 1980.**

**[39] أنظر، نيكي كدي: جذور الثورة ـ قراءة تأويلية لتاريخ إيران / نيويورك 1982.**

**[40] انظر: فريد هاليدي / المصدر المذكور ج 26 شتاء 1982 ص 83.**

**[41] انظر فريدة فارهي، مصدر سابق/ تحليل مقارن بين إيران ونيكاراغوا / دراساتسياسية** **مقارنة ج 21 ـ 1988 ص 231 ـ 256.**

**[42] انظر: فوران Foran,op. cit. , p.165.**

**[43] نفس المصدر السابق ص 165.**

**[44] حول الرأسمالية في إيران، راجع: فريد / إيران ـ الدكتاتورية والتنمية / نيويورك 1979،** **وحول الإصلاحات راجع: سياسات إيران ـ التنظيمات، الطبقات، التحديث لـ بيل 1972،الفصل السادس.**

**[45] راجع أرلوني Looney: التطور الاقتصادي في إيران ـ نيويورك 1973.**

**[46] حسين مهدوي، بحث مقدم إلى جامعة هارفارد عام 1965.**

**[47] راجع: إحصائيات كدي في القرية الإيرانية.**

**[48] يمكن مراجعة إحصاءات تفصيلية حول هذا الموضوع في «الزراعة الإيرانية وتطورها» بين 1952 ـ 1973/ تايمز ج 7 العدد 3 عام 1976. وكذلك «السياسة الزراعية والتنميةالسياسية في إيران / صحيفة مدل** **إيست ج 31 العدد 4 عام 1977. و «النفط، السياسة الاقتصادية والصراع الاجتماعي فيإيران» مقال لـ نيكي كدي. و«إيران تواجه السبعينات» نيويورك 1971 بحث لـ أي. كي. لا مبتون.**

**[49] انظر أم. أي. كاتوزيان «النفط مقابل الزراعة» في فصلية دراسات فلاحية ج 5 عدد 3 عام 1978. و «آثار حجم** **المزرعة والنظام الإداري على الإنتاج الزراعي في إيران» كلية سومر فيلا 1978.**

**[50] أشارت الإحصائيات الرسمية إلى أن أكثر من 8 بالمائة من مجموع سكان إيرانهاجروا من مناطق الريف إلى المدن بين** **عامي 1972 ـ 1973، علماً بأن نسبة الهجرة عام 1970 كانت أعلى من السنين التي قبلها. راجع مجلة كامبرج الاقتصادية ج** **4 العدد 3 1980.**

**[51] أنظر لويس بيك: التحولات الاقتصادية بين قبائل القشقاء في 1972 ـ 1977. ودانمورغان: تجارة الحبوب / نيويورك** **1979.**

**[52] جي. بي. بولدونْ: التخطيط والتنمية في إيران 1967.**

**[53] الكثير من التحليلات المذكورة اعتمدت على تقديرات خاصة وتقارير منشورة من قبل** **منظمات إيرانية وعالمية، وكان من بينها والأكثر فائدة فيها أعمال كل من:R. Looney, EconcmicDevelopment;** **International Labour Organization.Employment and Income Policies for Iran (Geneva,** **1973); D. Housego, "Quiet Thee Now and Rest, "The Economist, August 28, 1976; R.** **Graham, Iran: The Illusion of Power, Revised ed, (London, 1979); and Halliday, Iran.** **[54] أنظر M.H.Pesaran و F.Gahvary: التنمية وتوزيع الدخل في إيران. وكذلك، لوني: Loony: التطور الاقتصادي** **في إيران: نيويورك 1975.**

**[55] أنظر ـ گراهام: وهم القوة ـ الفصل 5.**

**[56] أنظر، كدي: النفط ـ السياسة الاقتصادية والصراع الاجتماعي / مصدر سابق.**

**[57] أنظر، سامبسون: السلاح والبازار ـ من لبنان إلى لوكهيد نيويورك 1977 الفصل 14.** **وتسليح الشاه في الستينات J. G. Hurewitzنيويورك 1969 الفصل 15.**

**[58] حول المرأة الإيرانية 1960 ـ 1977 أنظر المقدمة والمقالات بقلم M. Fischer و L. Beck و M. Good وكدي في** **مقالها: المرأة في العالم الإسلامي / كامبرج.**

**[59] أنظر، هاليدي: القوى اليسارية في إيران مارس ـ ابريل 1980، وابراهيميان: الحركة المسلحة في إيران 1963 ـ 1977** **ص 3 ـ 15.**

**[60] انظر فيشر: إيران من الجدل الديني إلى الثورة ـ مصدر سابق، والدين والسياسة فيإيران المعاصرة لـS. Akhavi،** **1980، الفصلان 5، 6.**

**[61] يمكن العثور على دراسات نقدية للفكر الإسلامي المعاصر في إيران في مقالات مهمة** **بأقلام فلور W.Floor وكاتوزيان وكديوريچارد Y.Richard: التشيّع في إيران/ باريس 1980 وترجمات وكتابات بني صدر** **ومختارات من مقالاته باللغة الفرنسية.**

**[62] ابراهامان: الحركة المسلّحة في إيران 1963 ـ 1977 ـ مارس ـ ابريل 1980.**

**[63] جرى إتمام هذا البحث في معهد الدراسات العالي في برنستون وتمّت الاستفادة من تعليقات وملاحظات عدد من الأخوة الأعضاء في ملتقى العلوم الاجتماعية عام 1984 ـ 1985. وهنا أسجل شكري لعدد من** **الأخوة الذين نظروا في مسودته الأصلية وخاصة Lewis Coser و Jack Goldstoneو Juan Linz و James** **Rule.**

**[64] إنّ منطق التحليل يتطلب استبعاد النتائج غير المقصودة للثورات وحصر نقاطالمقارنة بتلك العواقب المشخّصة في الأهداف التي يتبناها أصحابها التاريخيين الذين تواءموامع الثورة إلى الأخير.**

**[65] أنظر، چارس تيللي: من التعبئة إلى الثورة Addison - Wesley 1978 وكذلكثيداسكوسبل: الدول والثورة الاجتماعية لندن ونيويورك مطبعة جامعة كامبرج 1979.**

**[66] أنظر Jean Baechler: الثورة Revolution، نيويورك (Harper and Row 1975).**

**[67] أنظر، Alexis de Tocqueville: الثورة الأوربية نيويورك 1959 ص 82، 109.**

**[68] Otto Hintze. "The state in Historical Perspective," in Reinhard Bendix** **and Others, eds, State and Society: A Reader in ComparativePoliticalSociology (Berkeley** **University of California Press, 1968): Bertrand Badie and Pierre Birnbaum, The Sociology** **of the state (Chicago: University of Chicago Press, 1983), 93. 110 - 11** **[69] كان الشاه مدركاً لهذه المساوئ والمطاعن وفي عام 1978، وبعد أن عَرف بانه مصاببالسرطان بدأ يضيف بعض** **الإصلاحات الديمقراطية على النظام تمهيداً لتولية نجله محمد رضا بهلوي، راجع جوابللتاريخ ـ نيويورك 1980.**

**[70] Ibid, 168 - 71; William H. Sullivan, Mission to Iran (New York: W. W,** **Norton 1981), 190: Jerrold J. Green, Revolution in Iran: The Politics** **ofCountermobilization (New York: Praeger, 1982), 92- 124.**

**[71] أُخذت هذه الأرقام من رسالة قُدّمت إلى جامعة طهران تحت إشراف الدكتور أحمد** **أشرف، وأنا بدوري أسجل شكري إلى الدكتور أشرف على هذه المعلومة. Sullivan (FD.7), P212.**

**[72] أنظر، Gary Sick : الجميع سقطوا ـ نيويورك ص142 ـ 143 (Random House, 1985)**

**[73] تيلي ـ مصدر سابق ص 20.**

**[74] سوليفان ـ مصدر سابق 199 ـ 247.**

**[75]**

**[76]**

**[77] أنظر ماكس ويبر: الاقتصاد والمجتمع ـ جامعة كاليفورنيا / طبعة سنة 1978 ص 54 ـ 56 والفصل 15.**

**[78] أنظر المصدر السابق وأتوهنتز: الدولة في منظور تاريخي 1968.**

**[79] أنظر، سيد أمير أرجمند: ظلّ اللّه‏ والإمام الغائب ـ جامعة شيگاغو 1984.**

**[80] هذا ما حصل عام 1520 حين شخص الرهبان الفرانسيسكانيون والدومنيكانيون بين قادةالكومينروس. نفس الشيء مع القس بادكلارس الذي زعم قيادة الثوار في صيف 1640 ضد الرئيس كاتلان دبيوتاشيو. وعندما انتفض الشعب الاسباني ضد نابليون عام 1808 بدون ملك أو حكومة فقط. تمت قيادته من قبل الكنيسة والقساوسةوالرهبان :** **See Gerald Brenan, The Spanish Labyrinth: An Account of the Social and Political** **Background of the Spanish Civil War (Cambridge University Press, 1943), 42; Perez** **Zagorin, Rebels and Rulers, 1500 - 1660 (New York and Cambridge:Cambridge** **University Press, 1982),I.pp.266-67.**

**[81]** **[82] جاءت ثورة عام 1640 ضد التاج البريطاني الذي نفّر أو عزل جزءاً كبيراً منالنخبة التي ضمّت رواد معروفين في** **الدستورية الارستقراطية ممن ناهضوا سياساته المتشدّدة :** **See Lawrence Stone, The Causes of the English Revolution (London: Routleage& Kegan** **Paul, 1972), 30, 57, 92, 124.**

**[83]** **[84] نفس المصدر السابق ص 94.**

**[85] أنظر: Ann K.S. لامبتون: مالك الأرض والمزارع في بلاد فارس اكسفورد جامعةاكسفورد 1953 الفصل 15.**

**[86] إن تهديم العلاقة بين الملاك والفلاحين كانت تُممت في الستينات إبان المرحلتينالثانية** **والثالثة من‏الاصلاح تحت شعار تقسيم الأرض بين الطرفين، ورغم‏ان‏اثر هذاالتقسيم‏لميكن مهماًالاّانه ساهم‏فيفصم‏العلاقة السياسية** **والاجتماعية التقليدية بينهما، وترك أثراً عميقاً فيها Ahmad Ashraf "Dehqanan, Zamin va Enqelab" (The** **Peasantry, Land and Revolution, in Kitab-e Agah (1982, 136), 1, 11-12; Eric Hooglund,** **Land and Revolution in Iran, 1960 - 1980 (Austin: University of Texas Press, 1982), 79,** **31: Ann K.S. Lambton, :Land and Revolution in Iran" (Review Article), Iranian Studies 17** **(No.1, 1984), 76-77.**

**[87] أنظر، سعيد أمير أرجمند: الإسلام الشيعي والثورة الإيرانية ـ الحكومةوالمعارضة صيف** **1981 ص 293 ـ 316.**

**[88] أنظر لامستون: إصلاح الأرض في بلاد فارس ـ أكسفورد ـ جامعة أكسفورد 1969 ص102ـ 113.**

**[89] وفقا لـ باخاش تم اعتقال 8000 صاحب محل، واحتجاز ما يقارب 25000 أثناء حملة** **1975 و 1976 شاؤول باخاش: حكم آيات اللّه‏ ـ إيران والثورة الإسلامية ـ نيويورك 1984. ويبدو أن الرقم الأخير مبالغ فيه.**

**[90] من الممتع مقارنة ما حصل للطبقة الوسطى الجديدة في إيران مع نفس الملامح التي** **حصلت لأقرانها الغربيات أنظر، ألفن گولدنر: مستقبل المثقفين وبزوغ الطبقة الجديدة ـنيويورك 1979.**

**[91] انه اكتشاف جيد أن تُعتبر المرحلة المشخصة من قبل تيلي علامة تحوّل أو انتقالمن** **الشكل التقليدي الحديث لرد الفعل التضامني في منتصف القرن التاسع عشر والتي تتطابقمع غايات العصر الطبقي للثورات.** **أنظر: چارس تيللي: عصرنة الاحتجاج في فرنسا 1845ـ 1855 والثورات والعنف الشمولي.**

**[92] Trevor-Roper's idea, see J. H. Hexter, Reappraisals For an assessment of** **in History 2d ed. (Chicago: University of Chicago Press, 1970). 129-31.**

**[93] Alfred Cobban, Social Interpretations of the French Revolution(Cambridge:** **Cambridge University Press, 1964): Jack A. Goldstone,"Reinterpreting the French** **Revolution," Theory and Society 13 (September 1984.)**

**[94]** **[95]** **[96] Tilly (fn: 30, 1972), cited in Zimmermann (fn. 2), 374 - 75**

**[97]** **[98]** **[99]** **[100] Parish وهم أبناء الأبرشية وأصلها إحدى وحدات التقسيم الإقليمي الإداري فيانكلترا ـ عن قاموس المورد الكبير** **المترجم. راجع .Dunn (fn, 13), 152-53**

**[101] وهم جماعة من صغار مالكي الأرض من أبناء الطبقة الوسطى. وتطلق الكلمة علىالحرس الوطني من الفرسان الانكليز** **الذي انشأ عام 1761. المترجم ـ عن قاموس المورد الكبير.**

**[102] الرهبان والقساوسة هم الذين قادوا المجاميع المسلحة في الحرب الكارلسيةالثانية 1870 ـ 1876 راجع: برنهام ص** **206 ـ 211.**

**[103] راجع: الفاشية والجماهيرية في أمريكا اللاتينية ـ بيركلي ـ مطبعة جامعةكاليفورنيا 1976** **ص 280.**

**[104] راجع معجم الفاشيون؟ وكذلك الجذور الاجتماعية للفاشية الأوربية، ومن صوّتلهتلر؟ مطبعة جامعة برنستون 1982.**

**[105]** **[106]** **[107] راجع: قراءات في الفاشية: فرانسر كارستن ص 416 ـ 419، وكذلك مقارنات في** **الحركات الفاشية، والجذور الاجتماعية للفاشية الهنغارية ص 444 ـ 455.**

**[108] جيمس سي ديفيس: نحو نظرية في الثورة، مجلة أمريكية اجتماعية العدد 1 سنة 1962.**

**[109] روبرت گراهام: إيران، وهم القوة (لندن ـ 1978 Croom Helm).**

**[110]** **[111]** **[112]** **[113]** **[114]**

**[115] وهي حركة إصلاحية دينية قادها جارلس وجون ويزلي في اكسفورد عام 1729 حاولافيها إحياء كنيسة انكلترة. المترجم** **ـ عن قاموس المورد الكبير.**

**[116]** **[117]** **[118] Linz (fn. 45), 50.**

**[119] Fundamentalism وهو مذهب العصمة الحرفية، وهي حركة عرفتها البروتستانتية فيالقرن العشرين تؤكّد على** **أن‏الكتاب‏المقدس معصوم من الخطأ لا في قضايا العقيدة والأخلاق فحسب، بل أيضاً فيكلّ ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب،** **كقصة الخلق وولادة المسيح من مريم العذراء ومجيئه إلى العالم ثانية والحشر الجسدي. المترجم عن قاموس المورد.**

**[120] ميشيل ولزر: ثورات القديسين ـ كامبرج ـ جامعة هارفارد 1965 ص140 ـ 143.**

**[121] راجع، هيوك ستون ـ واتسون: ثورة أوربا الشرقية ـ نيويورك 1956 والحركةالفاشية في** **رومانيا ص 385 ـ 387.**

**[122] أحمد أشرف وعلي بانو عزيزي: الدولة والطبقات الاجتماعية وأساليب التعبئة فيالثورة** **الإيرانية. والدولة والثقافة والمجتمع العدد 3 سنة 1985.**

**[123]** **[124]** **[125]** **[126]** **[127]Ouoted in Ervand Abrahamian, "Stuctural Causes of the Iranian** **Revolution" Middle East Research and Information Object 87 (May1980),26.** **[128] إنها ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي لم تروّج فيها الثورة لمصالحالطبقات الاجتماعية** **الرئيسية المشاركة فيها. وكما وضح بارنگتون مور، في كون الفلاحين هم دائماً الضحاياالرئيسيين للتحديث وخاصة ذاك الذي** **ظهر على أيدي الحكومات الشيوعية والذي لم يكن ليوجد لولا مشاركتهم في الحركاتالثورية:** **See Moore, Social Origins of Dictatorship and Democracy: Lord and Peasant in the** **Making of the Modern World (Boston: Press. 1966), 428 - 29; also see Zimmermann (fn.** **2), 339 \_ 41, 356. Similarly, the outcome of the French Revolution was not especially** **favorable to the Petite bourgeoisie, the sans culottes, Who most vigorously participated** **in it. Ibid., 387, 407.**

**[129]** **[130]** **[131]** **[132]** **[133]** **[134]** **[135] Hexter (fn, 31). 178.**

**[136] وهي فكرة لجماعة سياسية متطرفة عُرفت بنشاطها الإرهابي خلال الثورة الفرنسية،ومفردها يعقوبي Jacobin.** **المترجم عن قاموس المورد الكبير.**

**[137]** **[138]** **[139] Dunn (fn. 13), 8 - 11.**

**[140]** **[141]** **[142] Mosse (fn. 65), 21.**

**[143] في محاولة لتصدير الثورة الإسلامية التي تراجعت مرحلياً في الحرب العراقية ـالإيرانية،** **والمدعاة تماماً، يسمع المرء رنيناً وطنيناً أكثر في أفكار الفاشست الإيطاليين حول «امبريالية الفقراء» و «الامبريالية** **البروليتارية» Zeev Sternhell, "Fascist Ideology," in Laqueur (fn. 41), 334 - 35; Joseph** **Baglieri, "Italian Fascism and the Crisis of Liberal Hegemony: 1901 - 1922," In Larsen (fn.** **42), 322 - 23.**

**[144] Linz (fn. 45), 5.**

**[145] Ibid, 20 - 21.**

**[146]** **[147] سيد أرجمند: التقليدية في إيران القرن العشرين، وكذلك من الوطنية إلى الإسلامالثوري** **(لندن ـ ماكملان، الباني مطبعة سوني 1984.**

**[148] Sternhell (fn. 78), 320 - 21, 326, 335 - 37.**

**[149] Sternhell (fn. 78), 320 - 21, 326, 335 - 37.**

**[150] أبو الأعلى المودودي: منهج في الثورة الإسلامية ـ البنجاب ـ مكتبة الجماعةالإسلامية** **1947. المفهوم المودودي للإسلام ـ دراسات شرق أوسطية 17 أكتوبر 1981.** **[151] سيد أمير أرجمند: الثورة الأيديولوجية في التشيّع 1987.**

**[152] أحد علماء الدين المعروفين في إيران. المعرّب.**

**[153] لطف اللّه‏ صافي: الإمامة والقيادة ـ طهران ـ بنياد بعثت 1982 ص 16 ـ 18.**

**[154]** **[155]** **[156] Baechler (fn. 3), 108.**

**[157] Hennessy (fn. 41), 258.**

**[158] Arjomand (fn. 80).**

**[159] Walzer (fn. 56), 92 - 113.**

**[160]** **[161] Stone (fn. 20), 90.**

**[162]** **[163]** **[164] الذين يؤمنون بالعصرالألفي السعيد عند المسيحية، أي ظهور السيد المسيحوقيامه ألف سنة المترجم.**

**[165] Presbyterianism نظام يدبر شؤون الكنيسة، فيه شيوخ منتخبون يتمتعون كلهمبمنزلة** **متساوية المترجم Tai Liu, Discord in Zion: The Puritan Divines and the Puritan Revolution 1640-** **1660 (The Hague: Nijhoff, 1973), 50 - 51, 94 - 97,146 - 60: Zagorin (fn. 18), II, p. 166.**

**[166]** **[167] Monnerot (fn. 75): Eric Voegelin, Science, Politics and Gnosticism: Two** **Essays Chicago: Regnery Gateway, 1968).** **من الطريف الإشارة إلى ما قاله مونوروت عام 1949 واصفاً الشيوعية بـ «إنها إسلامالقرن العشرين».**

**[168]** **[169] Stanley Hilton, "Acao Intergralista Brasileira: Fascism in Brazil, 1932 -** **1938." Luso - Brazilian Review 9 (No. 2, 1972), 12: Margaret T.Williams,"Integralism and** **the Brazilian Catholic Church," HispanicAmerican Historical Review 54 (No. 3, 1974), 436** **- 40.** **في هذا البحث النموذجي عن «الطريق الثالث» راح سالكادو يبحث بعمق لبرزلنة الفاشيةالايطالية أي تأطيرها بالبرازيلية اذ** **وجد كلا البعدين في هذا المشروع متناقضان ولذلك أعلن قائلاً: «ان قوميتي مفعمةباللّه‏»**

**[170]** **[171] Chilialism وهي العقيدة الألفية التي يعتقد معتنقوها بالعصر الألفي الذيسيملك فيه السيد المسيح على الأرض ألف** **سنة المترجم عن قاموس المورد الكبير.**

**[172] Lewy (fn. 41), chap. 70.**

**[173] Arjomand (fn. 17), 269 - 70.**

**[174] بطبيعة الحالة يمكن استثناء فترة حكم أميني القصيرة بين عامي 1961 ـ 1962المؤيدة** **أمريكياً من هذه الفترة.**

**[175] حركة المرأة المسلمة ـ مواقف الحركة التحررية تجاه الثورة الإسلامية 1361 ص 128.**

**[176] Marvin Zonis, Op cit, P. 606.**

**[177] Shah's Confessions, P. 21.**

**[178] نفس المصدر السابق ص 58.**

**[179] راجع اعترافات الشاه ص 12.**

**[180] الغرور والسقوط ص 15.**

**[181] رسالة إلى إيران، مصدر سابق ص 121.**

**[182] Ref to: Oriana Fallaci, Interview with World's History Makers, Trans. by** **Bidar Nariman, p12.**

**[183] Ref to: Foebiss W; The Confessions of Shah; and also, Orianan Fallaci's** **Interview with World's History Makers.**

**[184] Ref to: Oriana Fallaci, Interview with the Worls's History Makers.**

**[185]** **[186] روبرت گراهام: وهم القوة ـ مصدر سابق ص 28.**

**[187] راجع المجلة الفصلية العالمية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميمرداد 1365** **ص48 ـ 449.**

**[188] مقابلة مع صانعي التاريخي العالمي لـ فالآسي ـ ترجمة نيرمان، بيدار ص 16.**

**[189] الثورة الإيرانية في حركتين ـ مهدي بازرگان، حركة الحرية ص 25.**

**[190] رسالة إلى إيران: سوليفان ص 14. مصدر سابق.**

**[191] تحليل للثورة الإسلامية ـ مصدر سابق.**

**[192] صحيفة راستاخيزـ 14 آذر 1356 1977.**

**[193]** **[194] نفس المصدر السابق.**

**[195] راجع تقارير وكالة مخابرات وزارة الدفاع.**

**[196]** **[197] وليم سوليفان: رسالة إلى إيران ـ الفصل 5.**

**[198] Sick, Gary. All Fall Down: Ameriem's Tragic with Iran, New York** **Random House, 1985, P. 41.**

**[199] صحيفة كيهان 21 حزيران 1977.**

**[200] Sullivan, Op cit, PP. 110 - 111.**

**[201] انتوني بارسونز: الزهو والسقوط ص 158 ـ 159. مصدر سابق.**

**[202] كيف انقلب عليّ الأمريكان ـ مجلة Now ـ ديسمبر 1979 ص 21 ـ 34.** **[203] Dorman A. William and Omeed. Ehsan (Mansur Farhang), @ Reporting** **Iran Shah's Way@, Columbia Journalism Review, January - Februry, 1979.**

**[204] نفس المصدر السابق.**

**[205] Cottam. Op cit.**

**[206] Bakhash. Op cit, P. 11.**

**[207] صحيفة مار وهي نشرية خاصة لفدائيين خلق السنة الأولى، العدد 47 فبراير 21 عام** **1979 ص 7.**

**[208] صحيفة كار 10 فبراير 1979.**

**[209] صحيفة مجاهد وهي فصلية خاصة لمنظمة مجاهدين خلق الإيرانية، السنة الأولى** **العدد 12 الصادر في 1 أغسطس سبتمبر 1979.**

**[210] صحيفة مردوم الفصلية لحزب تودة، السلسلة 7 ـ السنة الأولى ـ العدد 164.** **[211] تهران ايكونوميست ـ حزيران، 1976.**

**[212]** **[213] أبراهاميان أروند: إيران بين ثورتين ص 85.**

**[214] كاظمي، فرهاد: الفقر والثورة في إيران، الفقراء المهاجرون ـ مطبعة جامعةنيويورك** **U.S.A1980.**

**[215] زيباكلام، صادق، مقدمة للثورة الإسلامية ص 100 ـ 102.**

**[216] تحليل مقارن في العلوم الاجتماعية والإنسانية، هولستي، ترجمة سالار زادةأميري** **طهران ـ جامعة العلامة الطباطبائي سنة 1373 ص 13 ـ 16.**

**[217] منوچهر محمدي ـ تحليل‏ في الثورة‏ الإسلامية طهران: أمير كبير سنة 1365 ص85 ـ 117.**

**[218] راجع. حميرا مشير زاده (لمحة خاطفة نحو المداخل المتنوعة لدراسة الثورةالإسلامية،** **مجلة راه ‏بورد العدد 9 ربيع 1375.**

**[219] لمراجعة هذا الموضوع، انظر مقالة مشيرزاده في هذا الكتاب.**

**[220] صادق زيبا كلام، مقدمة للثورة الإسلامية ـ طهران، روزنه 1372 ص 23 ـ 94.**

**[221] انظر أحمد أشرف وهم المؤامرة ـ مجلة گفتگو العدد 1 صيف 1374.**

**[222] زيبا كلام ـ مصدر سابق ص 36.**

**[223] نفس المصدر السابق ص 37 ـ 39.**

**[224] انظر عميد زنجاني: الثورة الإسلامية وجذورها ـ طهران هامش 1 ص 256**

**[225] نفس المصدر السابق ص 88.**

**[226] 3 ص 256**

**[227] نفس المصدر ص 65.**

**[228] نفس المصدر السابق ص 93 ـ 105**

**[229] مشيرزادة ـ مصدر سابق.**

**[230] جلال الدين مدين (التاريخ السياسي المعاصر لإيران) ج 1. قم ـ دفتر انتشاراتإسلامي** **1361 ص 371.**

**[231] السيد حميد روحاني تحليل في حركة الإمام الخميني ج1 ـ قم. دفتر انتشاراتإسلامية** **1982 ص 107 ـ 109.**

**[232] عميد زنجاني / مصدر سابق ص 73 ـ 74 أي في أصل الكتاب باللغة الانكليزية.**

**[233] سيد حميد روحاني ـ مصدر سابق ص 155 ـ 158.**

**[234] ه بشيرية: انتخابات 1976 في إيران من منظور النضال الطبقي ـ مجلة راه نوالطريق** **الجديد العدد 8.**

**[235] انظر نيكي كدي: الثورة الإيرانية من رؤية مقارنة:مجله‏إيران فردا أي إيران‏غداً العدد 17.**

**[236] نفس المصدر السابق.**

**[237]** **[238] انظر ميشيل فيشر: إيران من الجدل الديني إلى الثورة See: Michael Fisher, Iran:** **From Religious Dispute to Revolution, (Cambridge: MA: Harvard UniversityPress, 1980).**

**[239] مرتضى مطهري: حول الثورة الإسلامية ـ قم ـ صدرا ص 87.**

**[240] نفس المصدر السابق ص 49 ـ 50.**

**[241] زيبا كلام: مصدر سابق ص 90 ـ 91.**

**[242] كدي: مصدر سابق.**

**[243] محمدي: مصدر سابق ص 95 ـ 112.**